

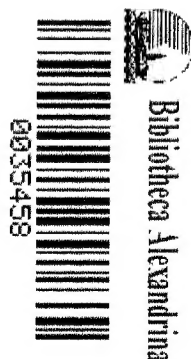
المُسَامُوهُ فِي جِهَاتِ ضَلَالٍ وَهَرَمٍ

في أرمينية والتغور الجذرية والشامية
خلال القرن الرابع الهجري

وكتبه صابر محمد يابوت
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
جامعة القاهرة - المخطوط

٥١٤٠٤/١٩٨٤م

مكتبة السلام العالمية
٣٢ من الفلكي ت ٣١٠٧٣



المسألة وجها لوجه

في أرمينية والثغور الجزيرية والشامية
خلال القرن الرابع الهجري

| |
|--|
| المكتبة العامة لمكتبة الاسكندرية |
| تم الاخذ من المكتبة العامة لمكتبة الاسكندرية |
| دي. م. |
| رقم التسجيل: ٧٦٤١ |

دكتور صابر محمد دياب
أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد
جامعة القاهرة - المحظوظ

١٩٨٤/٨١٤٠٤ م

مكتبة السلام العالمية

٣٢ من الطلوى ت ٣١٠٧٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

المقدمة ١

التمهيد : الحدود العربية - البيزنطية ٩

الفصل الأول :

- الأوضاع السياسية في أرمينية بين القرنين الثالث والرابع الهجريين ٤٥
- (أ) بنو السلاج في أرمينية واذربيجان (٣٦٦-٣١٨هـ / ٨٧٩ - ٩٣٠ م) ٤٦
- (ب) الإمارات العربية الأخرى في أرمينية ٤٩
- (ج) الممالك الأرمينية في مستهل القرن الرابع الهجري ٥٧

الفصل الثاني :

- الحمداونيون وجهادهم ضد الروم بقيادة سيف الدولة « الفترة السورية الجزيرية (الميزوبوتامية) » (٣١٩ - ٣٣٣هـ / ٩٣١ - ٩٤٥ م) ٧٧
- (أ) مرحلة المواجهة الأولى في الثغور الجزيرية وأرمينية (٣١٩ - ٣٣٣هـ) ٧٨
- (ب) مرحلة المواجهة الثانية في الثغور الجزيرية وأرمينية (٣٣٣ - ٣٣٤هـ) ٨٧

الفصل الثالث :

- سيف الدولة وجهاده ضد الروم في الثغور الإسلامية
 ١٢٧ (٣٣٣ - ٣٥٦هـ / ٩٤٤ - ٩٦٧م)
 ١٢٨ المرحلة الأولى : حماية الثغور في عهد سيف الدولة (٣٣٣ - ٣٤٣هـ)
 المرحلة الثانية : الانقضاء على البيزنطيين وهداية أقول نجم
 ١٣٨ سيف الدولة (٣٤٣ - ٣٤٩هـ / ٩٥٤ - ٩٦٠م)
 المرحلة الثالثة : مجاولات نقفور فوكاس انهباء الوجود
 الاسلامي من مناطق الثغور الشامية (٣٤٩ -
 ١٤٨ ٣٥٦هـ / ٩٦٠ - ٩٦٧م)

الفصل الرابع :

- جهاد المسلمين ضد الروم خلال النصف الثاني من
 ١٩٧ القرن الرابع هـ (٣٥٦ - ٣٩٤هـ / ٩٦٦ - ١٠٠٣هـ)
 ١٩٩ (أ) خلاء سيف الدولة وجهودهم في صد الروم
 ٢١٣ (ب) موقف الخلافة العباسية من الأحداث
 ٢٢٩ :
 ٢٣٠ ١ - ثبت بالخلفاء العباسيين في القرنين الثالث والرابع الهجري
 ٢٣٣ ٢ - ثبت بامراء الحمدانيين في الموصل وحلب
 ٢٣٣ ٣ - ثبت بملاباطرة البيزنطيين في القرنين التاسع والعاشر
 ٢٣٣ الميلايين
 ٤ - الخرائط :

- (أ) الجزيرة وثورها وأرمينية ٢٣٤

(ز)

| الموضوع | الصفحة |
|--|--------|
| (ب) البنود (التيمات) البيزنطية في آسيا الصغرى من القرن السابع حتى القرن التاسع الميلادى والثغور والعواصم الاسلامية | ٢٣٥ |
| (ج) الشام وثغورها البرية والبحرية | ٢٣٦ |
| (د) البنود البيزنطية في أواسط القرن العاشر الميلادى تقريبا | ٢٣٧ |
| (هـ) سورية البيزنطية | ٢٣٨ |
| أولا : المصادر والمراجع العربية | ٢٣٩ |
| ثانيا : المراجع الأجنبية | ٢٥١ |

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد بن
عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه ، وكل من تبعه
باحسان الى يوم الدين . . وبعد :

فالمعروف أنه منذ بدأ نور الاسلام يصطب على العالمين خارج
الجزيرة العربية — بعد تأسيس النبي الكريم صلوات الله وسلامه
عليه ، دولته في يثرب ، ودعوته الملوك والإباطرة والأمراء المعاصرين
له الى الاسلام — والحرب قائمة والصراع مستمر ضد المعانم
الاسلامى من جانب الروم . فتارة يشتد أواره وأخرى تهدأ حدته ،
الى حالة أشبه ما تكون بالهدنة المؤقتة ، التى تكون غالباً لانشغال
الروم بمشاكل داخلية أو خارجية على الجبهات البيزنطية الأخرى
سواء فى الشمال أو الغرب .

وعلى هذا نستطيع القول أن موقف الروم من العالم الاسلامى
ودولته وأمته تأرجح صعوداً بين الحرب والسلام ، وبين العداء
والمهادنة . وذلك وفقاً لمقتضيات الظروف والأحوال فى العالمين الاسلامى
والبيزنطى .

وابتداءً من منتصف القرن الثالث الهجرى ، اتخذ البيزنطيون
من الحالة السيئة التى وصلت اليها الخلافة العباسية — بسبب
استيلاء الاتراك ، والبويهيين بعدهم ، بالسلطة دون الخلفاء — فرصة
سانحة للاغارة على بلاد هذه الدولة وتخومها المجاورة لحدود دولتهم .
فغزوا ميناء دمياط سنة ٢٣٨ هـ (فى عهد ولاية غنيم بن اسحاق
الضبي) (٢٣٨ — ٢٤٢ هـ) ، كما آغاروا على عين زربة — على مقربة من
المصيصة سنة ٢٤١ هـ ، وأمروا من كان فيها . ثم تبذل الأسرى بين

المسلمين والروم في نفس السنة ، وذلك في عهد ميخائيل الثالث (٨٢١ - ٨٢٧م / ٢٢٨ - ٢٣٥هـ) ، وكان عدد الأسرى المسلمين عشرين ألفا ، تعرضوا لمصنوف العذاب والهوان ، حتى اضطر معظمهم للتصحر ، وقتل من أبى منهم القنصر ، بيد ثيودور الأم الإمبراطور ميخائيل الثالث . وكان عدد من قتل نحو اثني عشر ألفا - ومن دخل في النصرانية حول سبعة آلاف (١) .

ثم أغار الروم على شمال العراق حتى بلغوا آمد وأسروا حول عشرة آلاف مسلم . لكن المتوكل العباسي ثار منهم فاستولت قواته على بعض بلادهم جنوبي آسيا الصغرى سنة ٢٤٤هـ (٢) . وفي سنة ٢٤٥هـ أسر المسلمون أحد بطارقة وقادة الروم ، الذي أسره القائد المسلم على بن يحيى الأرمني ، كما استولوا على مدينة لؤلؤة . وقد عرض ملك الروم لعدائه أن يبدل مكانه ألف رجل من المسلمين الأسرى لديه (٣) . ولما زاد تقلص نفوذ الخلافة العباسية في عهد المعتمد العباسي (٢٥٦ - ٢٧٩هـ) إلى حدود الجزيرة والعراق ، اشتد تجرؤ الروم على بلاد المسلمين وأرواحهم ، فتمكنوا في عهد إمبراطورهم باسيل الأول (٧٦٧ - ٧٨٦م / ٢٥٣ - ٢٧٣هـ) من الانتصار على بعض أمراء المسلمين مستغلا ضعف الخلافة العباسية ، واستبداد القواد بالخلفاء ، وتؤرّة الجند عليهم (٤) .

كما أتاح اشتغال العباسيين ، بمحاربة قرامطة زكروية في شمال العراق وبادية الشام وبعض المدن الشامية ، الفرصة للروم ، فأغاروا سنة ٢٩٢هـ على الثغور الشامية في مائة ألف جندي ، وعاثوا في الكثير من المدن مثل الحدث ، فخرج إليهم المسلمون من طرسوس ، وفتحوا

(١). الطبري : ج ١١ ص ٥١ - ٥٢ .

(٢). الطبري : ج ١١ ص ٥٥ - ٥٦ .

(٣). الطبري : نفسه ج ١١ ص ٦٠ .

(٤). الحسن إبراهيم : الإسلام السياسي ٢/ ٢٣٣ .

أنطاكية — شبيهة القسطنطينية على حد قول ابن الأثير^(١) — وقتلوا منهم خمسة آلاف وأسروا مثلهم ، واستنفذوا أسارى المسلمين فيها ، وأخذوا نحو ستين مركبا ، وغنموا الكثير من الأموال والمتاع والسبى . وكانت مغانم المسلمين وفيرة حتى بلغ نصيب الجندي المسلم ألف دينار . وقد بلغ المسلمون قونية (قمونية) سنة ٣٩٤هـ ، حتى اضطر الأمبراطور البيزنطى الى طلب الصلح والمهادنة ، وتبادل الأسرى بين الفريقين^(٢) .

وفى مستهل القرن الرابع الهجرى ، استغل الروم فرصة ثورة الحسين بن حمدان على بنى يوية ، فأغاروا على مناطق الثغور الجزرية . وقصدوا حصن منصور سنة ٣٠٣هـ وسبوا من كان فيه ، وأوقعوا بجند المسلمين فى طرسوس ، وعاثوا بمرعش فسادا^(٣) . فسار القائد العباسى مؤنس الخادم فى السنة التالية الى ملطية ، حيث فتح كثيرا من حصون الروم . وقد كان من أثر هذا النصر المؤزر الذى أحرزه مؤنس ان خلف عليه الخليفة المقتدر بالله لقب المظفر . واضطر الروم الى طلب المهادنة من المسلمين سنة ٣٠٥هـ^(٤) .

ولما زاد ضعف الدولة العباسية فى عهد المقتدر بالله (٢٩٥ — ٣٢٠هـ) وعجزت عن امداد الثغور وتدعيمها بالرجال والعتاد ، أرسل الأمبراطور قسطنطين السابع بورفيروجنتس (٩١١ — ٩٥٩م / ٢٩٩ — ٣٤٨هـ) ، الى أهل الثغور الاسلامية يطلب منهم أداء الخراج اليه ، كما دخل الروم ملطية بعد أن هجرها أهلها واستغاثوا بالخليفة سنة ٣١٣هـ^(٥) .

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ١٩٠ .

(٢) ابن الأثير : المصدر نفسه ١٩٧/٧ .

(٣) ابن الأثير : المصدر نفسه ٢٣/٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٣٧ .

(٥) ابن سكوبه : تجارب ١٤٦/١ وحسن ابراهيم : الاسلام

السياسى ٢٣٥/٣ .

وهذا الكتاب الذى أقدمه بين يدى القارئ الكريم يتناول بالدراسة فترة هامة من فترات المواجهة بين المسلمين والروم ، ونعنى بها القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) • ووجه الأهمية فيها يكمن فى بروز قوى إسلامية نشطة حملت عن الخلافة العباسية — رغم خلافها معها مذهبيا — عبء مواجهة الهجمات البيزنطية المتلاحقة ، على أراضى وثغور العالم الإسلامى المتاخمة للحدود البيزنطية • ونعنى من هذه القوى بالذات دولة الحمدانيين فى الموصل وحلب ، والاختشيديين فى مصر وجنوب الشام ، ثم الفاطميين من بعدهم •

والحق أن منطقة الثغور الإسلامية — البيزنطية ، شهدت معارك طاحنة ، خاضها الطرفان دفاعا عن مصالحه • بحيث يمكن القول أنه لا يوجد منطقة ثغرية ، أو مناطق حدود ، شهدت مثل ما شهدته منطقة الثغور الإسلامية البيزنطية على مدار التاريخ ، وبصفة حادة وقوية فى القرن الرابع الهجرى • ولعل هذا ما دفعنى لتخصيص الدراسة وحصرها فى القرن الرابع الهجرى • لأننى اعتبرها — والى حد ما — إحدى حلقات الحروب الصليبية الموجهة ضد عالم الإسلام •

وقد تناولت هذه الدراسة من خلال تمهيد وأربعة فصول ، دعمتها بالخرائط •

فتمدثت فى التمهيد عن الحدود العربية البيزنطية ، ذاكرا أهمها • ثم تكلمت فى الفصل الأول عن الأوضاع السياسية فى أرمينية بين القرنين الثالث والرابع الهجريين • وذلك لأن بيزنطة حاولت التصدى للوجود الإسلامى هناك ، بل حاولت تصفية الحساب مع المسلمين على أرض أرمينية باعتبارها جبهة أمامية ، وهو ما لم يتحقق لها ، حيث باءت محاولاتها جميعا بالفشل • وقد تحدثت فى هذا الفصل عن بنى الساج فى أرمينية وأذربيجان باعتبار أنهم كانوا القوة الرئيسية المؤثرة سياسيا هناك وقتئذ (٢٦٦ — ٨٣١٨ / ٨٧٩ — ٩٣٠ م) •

ثم تكلمت عن الامارات العربية في أرمينية وعلاقتها بالأمران الأرمن، ودورهم في مواجهة أو تأييد التحركات البيزنطية ضد الوجود الاسلامي على أرض أرمينية . وتكلمت عن الممالك الأرمينية في مستهل القرن الرابع الهجري . وأوضحت دورها في مواجهة محاولات التدخل البيزنطية ضد المسلمين ، تحت دعوى حماية مصالح الشعب الأرميني .

وفي الفصل الثاني تحدثت عن الحمدايين وجهادهم ضد الروم في الثغور الجزرية والسورية بين سنتي ٣١٩ هـ و ٣٣٣ هـ / ٩٣١ — ٩٤٥ م ، وهي الفترة التي يسميها المؤرخون الأجانب الفترة « الميزوبوتامية » ، بسبب دوران رحى الصراع أبانها على أرض إقليم الجزيرة (مابين النهرين) . وقد قسمت حديثي في هذا الفصل إلى قسمين :

أولا : مرحلة المواجهة الأولى في الثغور الجزرية وأرمينية (٣١٩ — ٣٣٣ هـ) .

ثانيا : مرحلة المواجهة الثانية في الثغور الجزرية وأرمينية بين سنتي ٣٣٤ و ٣٣٣ هـ وهي ما تسمى بفترة ما قبل سيف الدولة .

ثم تناولت في الفصل الثالث مرحلة الصراع البيزنطي ضد العالم الاسلامي من ٣٣٣ هـ حتى ٣٥٦ هـ (٩٤٤ — ٩٦٧ م) وجعلت عنوان الفصل هو : « سيف الدولة وجهاده ضد الروم في الثغور الاسلامية » . وقد سار الصراع البيزنطي ضد المسلمين آنذاك على ثلاث مراحل : المرحلة الأولى : اتسمت بمحاولات سيف الدولة حماية الثغور الاسلامية (٣٣٣ — ٣٤٣ هـ) .

المرحلة الثانية : الانقضاخ البيزنطي على مناطق الثغور ، ويدل على أفول نجم سيف الدولة وهي تشمل الفترة من ٣٤٣ هـ حتى ٣٤٩ هـ / ٩٥٤ — ٩٦٠ هـ .

والمرحلة الثالثة : محاولات الروم إنهاء الوجود الاسلامي كلية

من مناطق الثغور الشامية ، وهي تشمل الفترة بين سنتي ٨٣٤٩ و ٨٣٥٦ م (٩٦٠ — ٩٦٧ م) ، أى حتى وفاة سيف الدولة الحمداني بطل الجهاد الاسلامي ضد الروم في مناطق الثغور .

بعد ذلك تناولت بالحديث في الفصل الرابع الفترة التي جاءت بعد خلو المسرح العسكري والسياسي في بلاد الشام من شخصية سيف الدولة الحمداني وجعلت عنوانها : « جهاد المسلمين ضد الروم في النصف الثاني من القرن الرابع » فيما بين سنة ٣٥٦ هـ و ٣٩٤ هـ / ٩٦٦ — ١٠٠٣ م أى حتى سقوط دولة الحمدانيين في بلاد الشام .

وفي هذا الفصل تحدثت عن خلفاء سيف الدولة وموقفهم من الروم . كما أوضحت موقف الخلافة العباسية والقوى الاسلامية الاخرى من الاحداث الدائرة ، على مسرح المواجهة — بين المسلمين والروم — في بلاد الشام . ونتائج هذا كله على العالم الاسلامي عامة ، موضحا العوامل التي ساعدت على تمكن الروم من رقاب المسلمين آنذاك .

ثم ختمت الكتاب بخلاصة استنتاجية لما سبق دراسته من تطورات وأحداث بين المسلمين والروم .

وقد زودت الكتاب بثبت للخلفاء العباسيين ، وآخر لأمراء الحمدانيين في الموصل وحلب ، وثالث للإباطرة البيزنطيين ، وذلك ليسهل على القارئ متابعة وربط الأحداث .

كما وضعت فيه خرائط توضح أماكن الثغور الاسلامية في الجزيرة وبلاد الشام ، ومناطق الثغور البيزنطية ، وذلك ليسهل على القارئ معرفة الأماكن والبقاع البوارد ذكرها في ثنايا الكتاب .

وبعد ...

فهذا جهد المقل ، وأدعو الله أن أكون قد وفقت في اللقاء المضروء على احدى الحقب التاريخية التى شهدت صراعا داميا ورهييا ، قاده الروم ضد المسلمين فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، وهى فترة هامة فى تاريخ العالم الاسلامى ، لما تخللها من مظاهر عديدة متباينة سياسيا وعسكريا فى كل من العالمين الاسلامى ، والبيزنطى (المسيحى) ، فى شرق البحر المتوسط .

أسأل الله أن ينفع بهذا الجهد ، ليستبين للمسلمين مواطن الضعف فيتجنبوها ، ويثلمسوا مواضع القوة وأسبابها ، فيسعوا اليها ليتزودوا بها ، وما أظنها الا فى اعتصام المسلمين بدينهم — المورد والمصدر الرئيسى لقوتهم — وأن يكونوا كما قال الله فى صفات من مع نبيه محمد ﷺ « أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

والله المستعان ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

المؤلف

صابر دياب

٢٧ رمضان ١٤٠٤هـ

٢٧ يونيو ١٩٨٤م

التحيد

الحدود العربية - البزنطية

تمهيد

الحدود العربية — البيزنطية

١ — عن البنود البيزنطية بين القرنين التاسع والعاشر الميلاديين :

نالت منطقة سوريا والفرات اهتماما بالغاً لدى الرومان منذ فتحهم لها ، بحكم موقعها الجغرافي ، ومتاخمتها لأعداء الدولة في الشرق . وكانت القواعد العسكرية الرئيسية بشمالى سوريا فى مراكز مثل : انطاكية والملاذقية وكيرسوس (قورس Cyprius) والاسكندرونة Alexandrette (١) .

وقد قنع الرومان باعتبار جبال آسيا الصغرى الشرقية ، وبادية الشام تشكلا ن حاجزين طبيعيين ملائمين . واكتشفوا — فى هذه المناطق — بانشاء قلاع موزعة فى مواقع معينة ، لحماية الطرق ، والجسور ، والممرات الطبيعية . وبذا أصبح حدهم الشرقى منطقة مراقبة محصنة تبدأ عند طرابيزون ثم تتجه جنوبا حتى مجرى الفرات الأعلى ، فمصب الخابور ، فحدود البادية حتى العقبة . وكان خط الدفاع الممتد نحو ٨٠٠ كم — بين قرقيسيا عند مصب الخابور وبين العقبة — يتألف من طريق معبدة موازية للحدود ، محمية من الجانبين بأبراج كثيرة عند مفارق الطرق . وكانت تدمر ، ودمشق ، والبتراء ، تدخل بقلاعها وحصونها والطرق الموصلة اليها فى هذا الخط الدفاعى (٢) .

(١) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ، ج ١ ، ص ٨٧/٧٥

ومنه راجع :

Chapot : La Frontiere de l'Euphrate de Pompée a la Conquete Arabe, pp. 71 - 77.

(٢) اسد رستم : الروم ج ١ ، ص ١٩١ — ١٩٢ .

Bury : Hist. of Later Rim. Emp. I, p. 945.

وقد والى الرومان والبيزنطيون اهتمامهم بتحسين المدن الهامة في سوريا ، فبنوا لدمشق — مثلاً — سوراً أحاط بها منذ مستهل القرن الثالث الميلادي^(١) . ثم اضطرت الدولة البيزنطية — فيما بعد القرن السابع الميلادي — الى اتخاذ وسائل حاسمة لحماية حدودها الشرقية لمواجهة هجمات كل من الفرس ، والغرب (المسلمون) . وزاد من أهمية هذه الوسائل ظهور القوة البحرية للدولة الاسلامية ، وتفوقها الظاهر في أمواه البحر المتوسط ، لدرجة هدت الروم في منطقة آسيا الصغرى نفسها ، وجزر الارخبيل ، وإيطاليا ، وصقلية معا^(٢) .

لذلك أقام الروم نظام البنود (الثيمات) البيزنطي . فظهر في الشرق أربعة أقسام بيزنطية عسكرية حملت فيما بعد اسم البنود (الثيمات) Thema وهي بند ارمنية (Armeniaci / Armeniacoi) شمالى شرق آسيا الصغرى عند الحدود الارمنية ، وبند الأناضول (Anatolikoi) وبند الأوبسيكون (Opsikion) في آسيا الصغرى حول بحر مرمرة لحماية العاصمة البيزنطية ، والبند البحرى كرافيزيوناروم (Caravisionarum) أو كبرايورت أو كيرهايويتس (Cibyraiotte) على الشاطئ الجنوبى لآسيا الصغرى والجزر المجاورة . وكان قادة البنود يسمون استراتيجوى (Strategoi) مما يدل على الطابع الحربى لهذه البنود^(٣) .

وفي مستهل القرن الرابع الهجرى كان تنظيم أقاليم الحدود البيزنطية يعتمد على تقسيم الاقليم البيزنطى الى دوائر اقليمية كبيرة يحكمها قائد عسكري يسمى « استراتيجوس » يجمع في يده السلطات المدنية والعسكرية معا . وكانت هذه الدوائر الاقليمية تسمى لواءات أو ثيمات (Themes) أو ايالات . وهى كلمة كانت تطلق في البداية على

(١) أسدرستم : الروم ج ١ ص ١٩٣ .

(٢) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ج ١ ص ٩٠ .

(٣) راجع للمعدوى : دراسات في التاريخ البيزنطى (مقال بالمجلة التاريخية م ٢ ع ٢ أكتوبر ١٩٤٩) .

وحدة عسكرية كبيرة ، مستقرة في منطقة ما ، يتكفل بالدفاع عنها (١) .

وكان الثيم (اللواء) ينقسم الى وحدات (Turmes) (وحدات تكتيكية) على رأس كل منها Turmarque (أي قائد وحدات ، يحكم مجموعة من الوحدات التكتيكية (Turmes) . هناك بعض مناطق لها أهمية خاصة لأنها تحرس ممرا جبليا (Clisure, Kleisura) وتتكفل بنع العدو من اجتيازه ، هذه أخرجت من مجموعة الثيمات ومنحت مرتبة **Cleisurarchies** المستقلة (٢) .

وكما أن القسمين الكبيرين الأولين للحدود الشرقية وهما لواء (ثيم) الارمني (الارمن) Armeniaques ، ولواء الأناضول (anatoleques) جزءا مكونا من عدة لواءات جديدة . فذلك انفصلت من هذا اللواء (الثيمات) وحدات من نوع الـ **Cleisurarchies** وحولت بالتالى الى ثيمات (٣) .

على هذا النحو شهد القسم الأخير من القرن التاسع ، وأوائل القرن العاشر الميلاديين ، ظهور ثيمات (لواءات) جديدة على الحدود ، لم يكن من السهل في كل الأحوال تحديد تواريخ ظهورها . ولكن ظهر بعضها في عهد الامبراطور ليو السادس (الحكيم) (٨٨٦ — ٩١٢م) وكانت اسماءها شائعة طوال القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) (٤) .

وكانت قوات الثيمات (الحدود أو الثغور) — أو كما عرف بالجيش الثيماتي (الثغرى) — المكلفة بالدفاع عن الحدود بصفة دائمة ، الى جانب عمليات أخرى محدوده — تنضم لتنفيذ عمليات على نطاق واسع ، الى مجموعة من القوات تسمى تاجماتا

Canard : Hist. de la Hyn. des Hamd., P. 727.

(١)

Canard : Ibid., P. 727.

(٢)

Canard : Ibid., P. 727.

(٣)

Brehiere : Le Monde. Byzantine, II, P. 121.

(٤)

Tagmata أو Tagmes ، وكانت تقيم في القسطنطينية مشكلة الحرس الامبراطورى . وكانت التاجماتا هذه من أشد وحدات الجيش البيزنطى صلابة . أما قائد التاجماتا — الاسكول - Scholes — ويسمى الدومستيق Denestique ، فقد تقدم في النهاية على سائر القواد العسكريين . وذلك رغم انه كان حتى القرن العاشر الميلادى — نظريا — أدنى مرتبة من الاستراتيجوس على لواء الأناضول . وقد ظهر الدومستيق في القرن العاشر ، قائدا عاما ، تسند اليه ادارة العمليات الهامة على الجبهة الشرقية (الاسلامية) بصفة رئيسية في حالة عدم قيام الامبراطور بادارة هذه العمليات بنفسه^(١) .

على هذا الاساس كانت ثيمات وكليسوراشيات الجبهة البيزنطية من الشمال الى الجنوب^(٢) هي :

١ — خالديا أو كالديا Chaldia عاصمة طرابزون . وكان اقليمها يمتد حتى جوار وادى الفرات الاعلى تجاه كيليكيا (قاليقلا) ، وكانت جزءا من كلترين Keltzène قبل أن تندمج كلترين في لواء الميزوبوتاميا (ما بين النهرين) .

٢ — كولونيا Coloneia وعاصمته بنفس الاسم . وهى متفرعة من لواء الأرمن (الأرمنياق) Armeniakues وقد امتدت هذه أيضا حتى الفرات . وربما الى ما بعده قليلا . وكان هذا الثيم يشمل في البداية كمخ Kamakh التى ضمت بعد ذلك الى لواء الميزوبوتاميا .

٣ — ميزوبوتاميا (بين النهرين) : يقع في الجنوب الشرقى من اللوائين السابقين . وهو يقع بين الفرات — قره صو — ونهر ارسناس

Brehier : Monde. Byzantine. II. P. 121, 353.
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 728.

(١)

Brooks E.W. : Arabic Lists of Themes. P. 67.
(J. of Hellenic Studies, 21, 1901).

(٢)

Arsanias * ومن ثم كان اسمها — وهو لا علاقة له بالجزيرة أو العراق في منطقة درسم Dersim الحالية * وقد تشكل هذا اللواء باقليم دجيق Degik — أو تكيس Takes — الذي تتنازل عنه مانويل الارمنى للامبراطور ليوا السادس (الحكيم) (١) *

وقد ألحق بهذا اللواء أو النيم التيرمان — أى الوحدتان — المكونتان من كلترين وكمخ (كمكا) Camacha أو Kamach الذى كان تابعا في البداية للوائى كالديا وكولونيا *

أما لواء تشمنشجزيك Tchinchgezek على الضفة اليمنى للنهر الذى يحمل نفس الاسم ، فكانت تابعة لاقليم خوزن Khozen الشرقى *

٤ — سبسطية (سبسطية) Sebastiea وبها عاصمة بنفس الاسم — وهى نفسها سيواس Siwas — وهذا اللواء (الثيم) كان تابعا في البداية للواء الارمنياك (ق) ، الذى كان ملحقا به أقاليم منطقة أبرأ Abara التى كانت تعرف فيما مضى باسم بوليشية Paulicenne ولا يعرف موقعها تحديدا * وكانت تمتد حتى عقفة نهر الفرات * اذ كانت (أبرأ) على طريق سبسطية — ملطية ، عبر وادى فورتنس QuruTchai (نهر جر جاريا) في الشمال الشرقى من منطقة «حسن بطريق» * ويتبعها أيضا غربى هذا الموضع ، وجنوبى سيواس ، ولاريسا Larissa ، التى كانت على ما يحتمل ، في منطقة نهر تخفة صوالا على Tokhama Su (٢) *

٥ — خارسيان (خرسيون أو خرشنة) : Charsiane

هذا اللواء تكون أيضا من تجزوء لواء أرمنييا (الأرمنياك) ، ولم يكن — على ما يبدو — متصلا بخط الحدود ، في عصرنا الذى نحن

Brooks, E.W. : Arabic Lists of Themes, P. 67 etc. and Canard : (١)
Hist. de la Hyn. des Hamd., P. 728 - 729.

Canard : Ibid., P. 729, Brehier : Le Monde Byz. II, P. 353.

(٢)

بصدده ، الا من عند طرفه الجنوبي • وكان القسم الأكبر منه في منعطف نهر هاليس Halys وفي الشمال يمتد شرقا على ضفة نهر هاليس العليا حتى صارخه Cārikha ، التي كانت على مسيرة يومين من كمكا (كمخ) والتي كانت تعتبر — في منتصف القرن التاسع الميلادي — قلعة من قلاع لواء خارسيان (خرسیون) • وفي قسمه الشرقي كان اللواء مفصولا عن خط الحدود الصحيح بلواء ليكاندوس • أما قيصرية مازكا Cesaree Mazaka ، التي كانت جزءا من كبادوكيا في البداية ، فانها التحقت في هذا العصر بلواء خرسیون (خارسيان أو خرشنة)^(١) •

٦ — ليكاندوس Lykandos : تكونت في عهد ليو السلاش في المنطقة الواقعة شمالى عربسوس Arabissos ، حيث تلتقى بثلاث قنوات مائية ، فتكون نهر جيهان • وقد جعلت لواء في مستهل عهد زوى Zoe وقسطنطين بورفيريوجنتس (٩١٣ — ٩٥٩ م) وقد سرد قسطنطين تاريخ انشاء هذا اللواء سردا تفصيليا^(٢) • وكان يتبع اللواء أيضا من ناحية الغرب تزاماندوس Tzamanados ، والاقليم المسمى « صحراء سمبوزيون » الذي يذكر كنارد نقلا عن هونجمان أنه في منطقة نهر تخمه صوا الأعلى ، ومن الصعب تعيين حدود اللواء بالضبط^(٣) •

وكان تنظيم هذا اللواء وتهيئته لأغراض الدفاع — باعتباره موقعا شديد الأهمية — يرجع الفضل فيه الى القائد البيزنطى ملباس المعروف غد العرب باسم مليح الأرمنى ، الذى تذكره المصادر العربية والسريانية بتاريخ ٢٩٩ هـ / ٩١١ — ٩١٢ م على أنه صاحب قلعة هي اما قلعة

Brookes : Arabic Lists of Themes, P. 89 +
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 729.

(١)

وراجع بورفيريوجنتس : ادارة الامبراطورية : ٢٠٥ — ٢٢٥ •

(٢) راجع قسطنطين بورفيريوجنتس : ادارة الامبراطورية ص ١٩١ — ١٩٢ •

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 730

(٣)

تزامندوس Tzamandos أوليكاندوس^(١) • وقد سماه العرب باسم « صاحب الدروب » ، أى سيد منطقة المضائق (الدروب)^(٢) • وقد ورد ذكره فى حملات ٩١٥ م ٣٠٢/٣٠٣ هـ و ٩٢٨ م ٣١٦ هـ ومات عام ٩٣٤م — ٣٣٢هـ^(٣) • وكانت ليكاندوس وتزامندوس أيام الحمدانيين تتبعان بطريقا واحدا^(٤) •

٧ — كابادوكيا : أو على الأصح كابادوكيا الصغيرة — Mikra Kappadokia

وكان هذا اللواء — فى البداية — كليسورارخى أو وحدة فى لواء الاناطوليك (الاناضول) • وكان فى قسمه الجنوبى ملاصقا للحدود عند مخرج بوابات كيليكيا Pyles Calyiennes

وكان يتبع كابادوكيا الصغيرة — فيما مضى — بعض المواقع التى فصلت منها ، ربما حينما صارت لواءا • من هذه المواقع : قيصرية ، ونيسا Nyssa • أما عن الأماكن المجاورة لمخرج بوابات كيليكيا وهى رودنتن Rhodnton (غراثشة) ولولن Lulon — أو لؤلؤه — وحتى بودندوس Podandos بداخل المرتفعات ، فان بورغيروجنتس يذكر بأنها واقعة على حدود اللواء (لواء كبا دوكيا)^(٥) ، وان كل ما هو موجود على الجانب الآخر يتبع كيليكيا • وربما كانت هذه المناطق تكون وحدات مستقلة • وفى هذه الحالة فان اللواء لم يكن يمتد شرقا حتى طورس • أما من الناحية الشمالية فان اللواء كان يضم منطقة المطامير (وهى مساكن فى الكهوف) التى ورد ذكرها عند ابن خرداذبه •

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ٢٢٨٦/٣ — ٢٢٨٧ وعريب ، صلة الطبرى ٣٦ و قدامة بن جعفر : كتاب الخراج •

(٢) راجع ابن الاثير : الكامل ٣١٦/٨ •

(٣) راجع ابن الاثير : حوادث ٣٠٢ ، ٣٠٣ و ٣١٦ هـ ٣٢٢ •

Canard : Hist de la Dyn. des Hamd., P. 730.

(٤)

(٥) راجع بونفروجنس : ادارة الامبراطورية ص ٣١ و ١٨٩/١٩٠ والخرائط فى آخر الكتاب •

٨ - لواء سيلوقية Séleukeia : يقع غربى كيليكيا العربية ونهر اللامش المار على الحدود الاسلامية - البيزنطية • ولم تكن سيلوقية حتى عهد ليو السادس لواء أوثيما • وانما كانت وحدة حاضرتها مدينة سيلوقية الواقعة على نهر كاميكادنس Calycadnus (١)

عن البنود البيزنطية في المصادر العربية :

ناجز المسلمون الروم في الشام ، ودارت الحرب سجالات بين الفريقين عبر ممرات جبال طوروس • وعرف المسلمون شيئا مذكورا عن نظم الادارة والحرب عند عدوهم • من ذلك ما كتبه ابن خرداذبه - الذى ألف كتاب المسالك والممالك حول ٢٣٢ هـ (٨٤٦ م) - نقلا عن « مسلم بن ابي مسلم الجرمي » ان اعمال الروم التى يوليها الملك عماله ١٤ عمالا (٢) •

ثم جاء قدامة بن جعفر بعد ابن خرداذبه - حوالى ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م - فأورد قائمة بأعمال الروم ، خالفت النسق الوارد - في كتاب ابن خرداذبه - سواء في الترتيب أو في بعض التسميات • فالعمل الذى نقله ابن خرداذبه عن قائمة الجرمي « طافلا » سمى قدامة « طافلا » وسمى الافرطى مافى باسم « الابطباط » وجعل اسم الناظوس « الناظليق » ، كما أورد قدامة أيضا اسم خرشنة مقابلا لاسم خرسيون عند ابن خرداذبه ، وسمى خالديا باسم الخالدية (٣) •

كما ذكر قدامة ان القوة البيزنطية المربطة في كل بند أو عمل كانت ما بين أربعة آلاف وستة آلاف رجل ، عدا عمل فلاغونية الذى

(١) Canard : Hist de la Hyn. des Hamd., P. 730 - 731.

(٢) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص ١٠٥ - ١٠٨ وفتح عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ١٠٤/١ - ١٠٦ .

(٣) قدامة بن جعفر : نبذة من كتاب الخراج وصناعة الكتابة ملحق بابن خرداذبه ص ٢٥٥ - ٢٥٨ (ضمن مجموعة ذى غوية : المجموعة الجغرافية العربية Bibl. Arab. — Geogr. ط . بريل ، ليدن ، ١٩٦٨ م) •

كان يرباط فيه عشرة آلاف ، وعمل الناطليق (الناطلوس) حيث رابط خمسة عشر ألفا لاهميته واتساعه . أما العاصمة فكان فيها نحو ٢٤ ألف^(١) .

هنا ، ويذكر اليعقوبي أن « جميع جيش بلاد الروم من الجند الموظف على الرساتيق والقرى أربعين ألف فارس ، وليس فيهم مرتزق ، وإنما هم — حينئذ — رجال يخرجون مع بطريقها وقت الحرب . فبعض البنود مثل خرشنه (خرسيون) وسلوقية قوتها ٥٠٠ فارس ، وتراقية قوتها ٥٠٠٠ فارس ، بينما كانت قوة مقدونية ٣٠٠٠ فارس »^(٢) . بينما يورد ابن خرداذبة « أن ديوان الروم مرسوم على ١٢٠ ألف رجل . وهناك ست بطارقة في العاصمة ، وستة في الأعمال عمورية وأنقرة والأرمسينياق (أرمينية) وتراقية ، وصقلية وسردينية » ، ويذكر أيضا أن « الخيل المقيمة على باب الملك (الإمبراطور) أربعة آلاف فارس ولعسكر الملك مقيما كان أوراخلا — أربعة بنود عليها أربعة بطارقة في الخيل ، كتيبه كل واحد منهم اثنا عشر ألفا : ستة آلاف مرتزق وستة آلاف شاجرد . فان خرج الملك نحو بلاد العرب عسكر بدرولييه على مسافة أربعة أيام من قسطنطينية وهو مجمع العرب والروم »^(٣) .

أما المسعودي (ت ٣٤٥هـ / ٩٥٦م) فيذكر لنا قائمة معدلة معرفا البنود بقوله : « أرض الروم واسعة في الطول والعرض ، آخذة في الشمال بين المشرق والمغرب ، مقسومة في قديم الزمان على أربعة عشر قسما ، وأعمال مفردة تسمى البنود — كما يقال اجناد الشام : كجند فلسطين وجند دمشق ، وجند حمص ، وجند قنسرين — غير أن بنود الروم أوسع من هذه الاجناد وأطول . وهناك تسعة بنود دون الخليج ،

(١) قدامة بن جعفر : نبذة من كتاب الخراج ص ٢٥٨ .

(٢) اليعقوبي : البلدان (ملحق بالاعلاق النفسية لابن رسته) ص ٣٢٣ .

(٣) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٠٩ — ١١١ وللمزيد عن تنظيم فرق الجيش البيزنطي : راجع بينز : الامبراطورية البيزنطية ص ١٧١ — ١٧٣ .

مما يلى الثغور الشامية والجزرية وغيرها من بلاد الاسلام ، والتسعة
المباقية من البنود وراء الخليج متصلة بالقسطنطينية^(١) .

٢ — مناطق الثغور والعواصم في الدولة الاسلامية : (بين القرنين الثالث والرابع الهجريين) •

(١) الثغور^(٢) :

يعد اقليم الثغور خطوة جديدة وهامة في التنظيم الادارى للدولة
الاسلامية • وقد رأى الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ — ١٩٣ هـ) فصله
عن جند نسرين ، لتأمين الحدود الاسلامية ، على غرار منطقة الاطراف
البيزنطية التي كان يحكمها حكام الثغور (كليسيوريارخى
Kloisuriarcha)^(٣) •

و قد كانت الحدود بين المسلمين والروم حتى العصر العباسي
الأول تتألف من سلسلتى جبال طوروس ، وطوروس الداخلية
Anti-Taurus وكانت الثغور تمثل خطا طويلا من القلاع يحمى ما
وراءها • ويميل من ملطية على الفرات الأعلى الى طرسوس بالقرب
من ساحل البحر المتوسط • وقد تبودلت هذه القلاع بين المسلمين
والروم ، فكان الفريقان فيها بين كر وفر^(٤) • وينقسم خط القلاع هذا
الى مجموعتين : احدهما تحمى الجزيرة وتسمى الثغور الجزرية ،

(١) المسعودى : التنبية والاشراف ص ١٥٠ — ١٥٣ .

(٢) الثغور : مفردا ثغر • وهى كل موضع قريب من ارض العدو •
وهو مأخوذ من الثغرة أى الفرضة أو الفرجة في الحائط • ومنه ثغر الشام ،
وجمعه ثغور الشام • وهو يشمل بلادا كثيرة • ومن أهم المدن الثغرية ببلاد
الشام : بياس ، المصيصة • عين زربة ، أفنه (أطنه) طرطوس ، الجوزات ،
اولاس ، الكنيسة السوداء ، الهارونية ، انظر : ياقوت : معجم البلدان ج ٣
ص ١٦ و ج ٦ ص ٢٣٦ — ٢٣٧ والبلادى : فتوح البلدان •

(٣) فتحى عثمان : الحدود — الاسلامية البيزنطية ج ١ ص ١٣١ •

(٤) لى سترانج : بلدان الخلافة الشرقية (ترجمة بشير فرنسيس
وكوركيس عواد) ص ١٦٠/١٦١ ،

وهى الشمالية الشرقية • والثانية تحمى الشام وتسمى الثغور الشمالية
وهى الجنوبية الغربية (١) •

وكان من ثغور الجزيرة : ملطية ، وزبطرة ، وحصن منصور ،
وبهسنا ، والحدث ، ومرعش ، والهارونية ، والكنيسة ، عين رزية •
ومن الثغور التى تحمى الشام — وكانت قرب الساحل الشمالى لخليج
اسكندرونة — : المصيصة ، وأذنه ، وطرسوس (٢) •

أما لفظة « العواصم » فالمقصود بها سلسلة الحصون الداخلية
الجنوبية ، بطرقها الحربية • وسميت عواصم « لأنها كانت تحمى أو
تعصم الحدود وتعينها على صد غارات الروم • ولذلك تتميز عن
الحصون الشمالية الخارجة الملاصقة للحدود البيزنطية المسماة بالثغور •

ولم تكن الحدود الاسلامية البيزنطية خطا مفردا ، وانما كانت
تقومها غير محدودة وليست ثابتة • تمتد على عمق كبير أو يسير
مسايرة فى معظمها منحنى جبال طوروس ما بين البحر المتوسط حتى
سلسلة طوروس الأرمينية • وكانت أرمينية تعد اقليم حدود بيزنطى ،
وبخاصة منذ بداية القرن العاشر الميلادى (أواخر الثالث الهجرى) إذ ان
الجزء الغربى من أرمينية فيما بين الفرات وأرسناس كان قد غدا اقليما
بيزنطيا • وكان لدى المسلمين — فى المؤخرة — ممر حر يخرقونه فى
أرمينية حتى منطقة قاليقلا (ثيودوسيوبوليس أو أرصروم) التى
فتحوها ، وارتبطوا مع أهل تلك البقعة — التى يخرقها الممر — بعهد
يضمن لهم حرية المرور (٣) •

وقد عدد قدامة بن جعفر الثغور المختلفة ، التى تضمنتها مناطق
الحدود بين المسلمين والروم ، وفرق بين الثغور والعواصم فقال :

(١) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ج ١ ص ١٣٢ •

(٢) فتحى عثمان : المرجع السابق ج ١ ص ١٣٢ •

« ان الثغور المقابلة لبلاد الروم — منها برية تلقاها بلاد العدو وتقاربه من جهة البر ، ومنها بحرية تلقاه وتواجهه من جهة البحر ، ومنها ما يجتمع فيه الأمران . . . وعواصم هذه الثغور وما وراءها اليينا من بلدان الاسلام ، وانما سمي كل واحد منها عاصما لأنه يعصم الثغر ويمدده في أوقات النفير ، ثم ينفر اليه من أهل أنطاكية والجومة والقورس » (١) .

والجدير بالذكر أن اتساع نطاق الدولة الاسلامية وفتوحاتها ، أدى الى لفت أنظار المؤرخين المسلمين الى أهمية الجغرافية في دراساتهم . فقدم البلاذري (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) في كتابه فتوح البلدان ايضا حات جغرافية قيمه . كما مزج المسعودي (ت ٣٤٥هـ / ٩٥٦م) في كتابه التنبيه والاشراف بين التاريخ والجغرافية العلمية . فنراه يقدم ببيان لشكل الأرض ، ومواقع المدن ، والظواهر الجغرافية الهامة والمحيطات والانهار والجزر والبحيرات والمباني وما أصاب الأرض من تغييرات طبيعية وما الى ذلك (٢) .

على أى حال ، فان الثغور الجزرية والشامية تتركز الى أرض الجزيرة في شمال العراق من جهة وأرض الشام من جهة أخرى . كما تتصل من ناحية الشرق والشمال الشرقي بأرمينية ، ومن ناحية الشمال بآسيا الصغرى ، ويقع الى الغرب منها ساحل البحر المتوسط الذى سماه العرب « بحر الروم » . وكان اقليم الجزيرة وشمال الشام يمثلان وحدة تتمم بعضها بعضا ، من حيث ارتباط حصونهما وتعرضهما لاغارات البيزنطيين . والجزيرة هى المنطقة الشمالية الخصبة بين دجلة والفرات ، وتمتد الى منطقة الدروب عند سلاسل جبال طوروس كما تمتد الى جبال فارس (٣) .

(١) مقدمة بن جعفر : نبذة من كتاب الخراج وصناعة الكتاب ص ٢٥٣ (ملحق بابن خرداذبة ضمن المجموعة العربية الجغرافية ، نشر دى غوية ط : بريل ، ليدن ، ١٩٦٨م) .

(٢) Rosenthal : A Hist. of Muslim Historiography, P. 94-96.

(٣) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ج ١ ص ١٣٦ ، ١٤٢ .

وقد تهيأ — لاقليم الجزيرة — بحكم موقعها الجغرافي المتوسط ، وكونها معبرا بين العراق والشام والامبراطورية البيزنطية وأرمينية واذربيجان ، وبحكم أنهارها ومواصلاتها ومواردها الطبيعية ومدنها الالهة — أن تكون ذات أهمية خاصة بين اقاليم الخلافة العباسية . فقد كانت الجزيرة — مع العراق — بمثابة جسر أرضي يصل بين طرق المواصلات البحرية في جنوبى آسيا وطرق المواصلات البحرية في جنوبى أوروبا ، وذلك بحكم الموقع بين البحر المتوسط والخليج الفارسى . وكانت أهميته في العصر العباسى كبيرة بالنسبة لتجارة الشرق والغرب^(١) .

أما بلاد الشام فتكون معبرا بين البحر المتوسط والصحراء . ويدعوها البحر تارة للتجارة والملاحة ، في حين تخط دروب جبال طوروس ممرات نحو آسيا الصغرى حيث الدولة البيزنطية . كما يفتح وادى الفرات طريقا للشام نحو الخليج الفارسى . وحد الشام « من الفرات الى العريش المتاخم للديار المصرية ، أما عرضها فمن جبل طىء — من نحو القبلة الى بحر الروم . . . وبها من أمهات المدن : منبج وحلب وحماة وحمص ودمشق وبيت المقدس والمرة^(٢) » .

حلب Aleppo : في جبهة الحدود الاسلامية البيزنطية :

(١) حلب : يشبر الاصطخرى وابن حوقل الى أهمية موقع حلب « عاصمة اقليم قنسرين على مدرج طريق العراق الى الثغور وسائر الشامات »^(٣) وتجاريتها رائجة وأهلها أثرياء وهى مدينة

(١) راجع : د. عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ٢٠٧/١ — ٢١٠ وجاسم الخلف : محاضرات في جغرافية العراق ص ٨ — ١٦ و ٣٨٨ — ٣٩٠ و Cangard : Ibid., P. 143. وابن عبد الحق : مرامد الاطلاع ٢٧/١ ، ١٠٦ وفتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ١٤٢/١ — ١٥٩ ، وجود فروى ديمومبيين :

Le Monde Musluman, P. 40.

(٢) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية : ١٦٠/١ .

(٣) الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٤٦ وابن حوقل : صورة

الأرض .

حدود ، ومدينة اتصال • تلتقى بمنطقتها الوحدات الكبرى : سوريا
ويلاذ الرافدين والآناضول ، وتجتمع في ارجائها مجموعات عرقية هامة •
وهي من اقدم المدن في المنطقة^(١) • قال فيها المقدسي^(٢) : « أما حلب
فبلد نفيس ، خفيف ، حصين ، مبني بالحجارة ، شريهم من نهر قويق
يدخل الى البلد » • ولحلب سبعة أبواب حاول « لى سترانج » تحقيق
اسماء الأبواب السبعة لحلب ومواقعها^(٣) ، وهذه الأبواب السبعة هي :
باب حمص (الآن يسمى باب المقام نسبة لمقام ابراهيم) ،
باب الرقة ، باب قنسرين وهو في الطرف الجنوبي من الحائط الغربى
وقد بناه سيف الدولة الحمدانى ، باب اليهود (حاليا باب النصر)
ويقوم هناك حى اليهود ، باب العراق (أو باب نيرب كما سماه
Russel) ، باب دار البطيخ (لعله باب الجنان عند رسل وهو في
الحائط الغربى الى الشمال بقليل من باب أنطاكية ، وباب أنطاكية
وهو يفتح وسط الحائط الغربى الى الشمال من باب قنسرين وبينه
وبين باب الجنان^(٤) •

وأهم مدن حلب كما يذكر المقدسي (ص ١٥٥) هي : أنطاكية ،
بالس ، السويوية سميساط ، منبج ، بياس ، التينيات ، شيزر ، وادى
مرعش ، اسكندرونة ، أجون ، رفنية ، جوسيه ، حماة ، شيزر ، وادى
بطنان ، معره النعمان معره قنسرين • وهذا التعداد تدخل في مدن تعد
من النغور والعواصم • ويذكر لى سترانج أن افراد الرشيد (١٧٠ —
١٩٣ هـ) العواصم كأقليم منفصل ، جعل جند قنسرين مقصورا على
البلدان المحيطة بقنسرين وحلب ، مع اقليم المعرتين وسرمين^(٥) •

(١) راجع سليمان عادل عبد الحق وعبد العزيز عثمان : نزعات
اثرية في سوريا ص ٨٣ — ٨٥ •

(٢) المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم •

(٣) Le Strange : Palestine Under the Moslems, P. 360-7 +
Canard : 220 - 224.

فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ١/٢١٩ — ٢٢٠ •

(٤) راجع : Russe : Natural Hist., of Aleppo.

(٥) Le strange : Ibid., P. 36.

ب — العواصم :

١ — منبج Hierapolis

أهم العواصم هي : منبج ، وقد لعبت دورا تجاريا ودينيا هاما منذ القدم ، وظلت محتفظة بأهميتها في العصور الوسطى بحكم موقعها كنقطة اتصال بين الثغور الجزرية والشامية ، ومجاورتها للفرات وحلب . ولم تقتصر مهمة منبج على حماية مواقع الحدود . بل اضطلعت بمراقبة صحراء الشام في الجنوب حتى منطقة بلس . وبين منبج وبين الفرات ٣ فراسخ (١٢ ميلا تقريبا) ، وبينها وبين حلب ١٠ فراسخ (٤٠ ميلا) وهي — كما قال ابن حوقل — قريبة الى الثغر منها الى الفرات مرحلة خفيفة ، والى قورس مرحلتان ، والى ملطية أربعة أيام^(١) :

٢ — فلأيا : بين منبج وحلب . وهي من أعمال منبج في جهة قبلتها قرب وادي بطنان .

٣ — بقعاء العيس : من كور منبج ، وبقعاء ربيعة من كور منبج أيضا .

٤ — بلس : في غربي الرقة عند حد أرض صفين ، حيث يتجه الفرات شرقا بعد جريانه الى الجنوب وهي تسمى Barbalissus عند الرومان . وكانت فرضة عظيمة لاهل الشام على الفرات ، ولذلك كانت مركزا لكثير من القوافل . قال عنها الاصطخرى « هي أول مدن الشام من العراق ، والطريق اليها عامر ، وهي فرضة الفرات لاهل الشام »^(٢) .

(١) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٤ ص ١٢٧ وابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢٢٦ — ٢٢٩ .

Canard : Ibid., P. 233.

(٢) الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٤٦ .

٥ — أنطاكية : Antioch يذكر ابن حوقل والاصطخرى أنها قصبة اقليم العواصم وهي انزه مدينة في الشام بعد دمشق • ويذكر ياقوت أن أنطاكية ظلت قصبة العواصم بين الثغور الشامية ، بينما ذكر في موضوع آخر أن منبج مدينة العواصم • وذكر أن بينها (انطاكية) وبين البحر نحو فرسخين (٨ ميل) ، ولها مرسى في بليد يقال لها السويدية Soudin ، ترسو فيه مراكب الافرنج ، عند مصب نهر العاصى Jrontes (١) •

وقد استمرت انطاكية بيد المسلمين الى أن ملكها الروم منهم سنة ٣٥٨/٣٥٩ هـ (٩٦٩ — ٩٧٠ م) • وقد احتفظت انطاكية في عهدها الاسلامى بمكانتها الدينية ، فضلا عن أهميتها العسكرية كقاعدة هامة في الطرف الغربى لخط العواصم (٢) •

٦ — حارم : حصن حصين وكورة جليلة تجاه انطاكية « يحرما العدو وتكون حرما لمن فيها » كما يذكر ياقوت • وهي نقطة استراتيجية هامة استفاد بها الروم عند غزوهم أنطاكية سنة ٣٥٨ هـ (٣) •

٧ — بغراس : في لحف جبل اللكام وهي Pagris القديمة • وقد كانت في العصور الوسطى على طرف الطريق المؤدى الى مضيق بيلان • بينها وبين انطاكية ٤ فراسخ (١٦ ميلا) وهي على يمين القاصد انطاكية من حلب ، في البلاد المطلة على نواحي طرسوس • وكانت لمسلمة بن عبد الملك ثم وقفها على سبيل البر • قال البحتري : (٤)

(١) الاصطخرى : ص ٤٦ وياقوت المعجم ٤٦/٢ •

(٢) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ٢٢٨/١ — ٢٢٩ •

(٣) القلقشندى : صبح ١٢٤/٤ • و

Canard : Ibid., P. 217.

وياقوت : معجم ١٩٩/٣ وابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٦٥
وابو الفدا : تقويم البلدان ٢٥٨ — ٢٥٩ •

(٤) راجع ديوان البحتري •

سيوف لها في كل دار غداردى وخيل لها في كل دار غدا نهب
علت فوق بغراس فضافت بها جنت صدور رجال حين ضاق بها درب

٨ — **دربسك** : قلعة من جند قنسرين شمالي حلب على نحو
٣ أو ٤ مراحل منها ، ولها من شرقيها مروج متسعة كثيرة العشب يمر
بها النهر الاسود . وهذا البلد ليس له ذكر في الفتوح وانما جدد في
دولة الأرمن لما ملكوا الثغور كما يذكر ابن شداد^(١) .

٩ — **حصن بوقا** : بوقا من قرى انطاكية ، أرسل اليها الزط مع
جواميسهم في عهد الوليد بن عبد الملك . وقد بنى هشام بن عبد الملك
حصن بوقا ، وجدد من بعده^(٢) .

١٠ — **قورس** Cyrrhus . تشرف على الطريق من انطاكية
الى الفرات وحلب مارا بعزاز وقويق . وهى خط دفاعى أمامى عن
حلب وأنطاكية . وظلت بيد المسلمين حتى أخذها منهم جوسلين
الفرنجى الصليبي ثم استردها نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى
اتباك دمشق وحلب .

١١ — **برزويه** : حصن قرب السواحل الشامية على سن جبل
شاهق . وقد أخلى الحمدانيون كل القلاع التى تتحكم في طريق
اللاذقية ، خاصة بروزيه وصهيون عند هجوم الامبراطور يوحنا
زيمسكس سنة ٩٧٥م . وكانت بروزيه بيد الصليبيين بعد ذلك الى
فتحها صلاح الدين ٥٨٤هـ^(٣) .

(١) أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٦٠ — ٢٦١ وابن الشحنة :
الدر المنتخب ص ٢٢٢ . وابن شداد : الاعلاق الخطيرة .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ٣٠٧/٢ — ٣٠٨ وابن الشحنة : الدر
المنتخب ص ٢٢٢ والبلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٤ وابن العديم : بغية
الطلب ورقه ٢٨٠ و

Canard : Ibid., P. 229.

(٣) ياقوت : معجم ١٢٦/٢ ، ابن العديم ، بغية الطلب ورقة ٣٧٣ و

Dussaud : Top. Hist. de la Syrie, P. 152-3.

١٢ — الجرجومة : مدينة يقال لاهلها الجراجمة • كانت تقع على جبل اللكام بالثغر الشامي عند معدن الزاج ، فيما بين بياس وبوقة قرب انطاكية • وقد صالح المسلمون الجراجمة عند الفتح ، وكان الجراجمة يستقيمون للولاة مرة ويعوجون أخرى^(١) •

(ج) الثغور الجزرية : أهمها :

١ — شمشاط : يسميها الروم Arsamosata وقد ذكر الاصطخري أن شمشاط هي ثغر الجزيرة على الحقيقة ، معتبرا ملطية من ثغور الشام •

٢ — ملطية : وهي Melitene عند الروم • وهي من أجل الثغور الاسلامية أمام الروم • قال عنها قدامة : « وهو خارج في بلد العدو من جميع هذه الحصون وكل واحد بينه وبين العدو درب وعقبة ، وثغر ملطية مع بلد العدو في بقعة واحدة • وكان يواجه هذه الثغور الجزيرة ويقابلها من بلد الروم خرشنة (خرسیون) وعمل الخالدية » •

ويعتبر سهم ملطية نقطة التقاء طرق عدة ، ومفتاحا لمدخل آسيا الصغرى بالنسبة لجيوش المسلمين القادمة من الشرق ، ولمدخل الجزيرة بالنسبة لجيوش الروم القادمة من الغرب • وتمثل ملطية مركز تقاطع عدة طرق وأودية مثل وادي قباقيب (تخماصو) Tokhma - Su ثم وادي الفرات ومعابره الى هانزيط أنزيتين Anzitene والجزيرة •

واقليم ملطية على رخاء واسع لجودة ريه كما يذكر ابن حوقل • وقد وصف الاصطخري مدينة ملطية في المائة الرابعة للهجرة ، « بأنها مدينة كبيرة تحف منها الجبال » ، وعدها من أكبر الثغور دون جبل اللكام ، كما اعتبرها ثغرا شاميا وليس جزريا • لذلك ذكر ياقوت أنها : « بلدة

(١) البلاذري : فتوح ١٦٦ وياقوت : معجم ٨٠/٣ — ٨١ وابن العديم : بغية الطلب ورقة ٢٨١ •

من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام وهي للمسلمين • وقد ذكرها المتنبى فقال « ملطية أم للبنين ثكول » • وقد أخذها الدمشقي سنة ٣٢٢ هـ وهدم سورها وقصورها : ثم جاء المستوفي فذكرها — بعد ياقوت بقرن تقريبا — بأنها مدينة حسنة ذات حصن منيع ••••• مراعيها مشهورة يكثر فيها القمح والفواكه والقطن • ويسمى كنارد Canard جرجر Gerger أو كركر Kerkor (١) •

٢ — زبطره : عند الروم Zapetra أو Sozopetra تقع الى الجنوب الغربى من ملطية • وهي بين ملطية وسيمساط في طريق بلاد الروم • ويحدد أندرسن Anderson موقعها حاليا بمدينة فيرانشر قرب منابع نهر سلطان صو (قراقيس) ، وجوك صو جنوب النهر الأزرق ، وهو موضع يتفق مع ما ورد عند أبو الفدا (٢) • وكان امتلاك زبطرة بمثابة المفتاح في الطريق الى ملطية • وقد ذكر قدامة ابن جعفر أن زبطرة كانت تلى الثغور الجزرية • وحين زارها أبو الفدا (٧١٥ هـ) ذكر انها كانت خرابا • بينما ذكر ابن شداد أنها كانت في عهده قرية • وأيا كان الأمر فقد احتفظت زبطرة بشئ من أهميتها ، الى أن أخذها الروم أيام الامبراطور باسيل الاول المقدونى ، وكانت لها أهميتها في القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) (٣) •

٣ — الحدث : Adata فتحها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب • ويذكر البلاذرى أن درب الحدث سمى في العصر الأموى بدرب السلامة توقيا للتطير والتشاؤم • وقد ذكر الاصطخرى انه كثير الخيرات • ونوه ياقوت انها قلعة حصينة بين ملطية وسيمساط ومرعش من الثغور • وتسمى الحمراء اما لحمرة تربتها أو لتمييزها عن الحدث

Canard : Ibid, P. 262, 264.

(١)

الاصطخرى : مسالك ٤٧ ، ٥٣ والبلاذرى فتوح ١٩٥ — ١٩٦
وياقوت : معجم ١٥٢/٧ ، ١٥٠/٨ ، وابن الشحنة : الدر المنتخب
ص ١٩٥ .

(٢) أبو الفدا : تقويم البلدان : ٢٣٤ •

(٣) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ١/٢٤١ •

الآخرى الموجودة في صحراء تدمر ، كما يذهب كنارد • وتسمى حدث الزقاق • وكان لسيف الدولة بها وقفات ، وقد خربته الروم فعمره سنة ٣٤٣هـ (١) •

٤ — مرعش : يسميها الروم Narasion ويقال انها قامت في مكان جزمانيك Germanica وهي مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم ولها سوران وخندق ، وفي وسطها حصن عليه سور يعرف بالرواني بناه مروان بن محمد • ثم احدث الرشيد بعده سائر المدينة • وبها ربض يعرف بالمهارونية وهو ما يلي باب الحدث وقد خربها الروم عدة مرات ، وبنها سيف الدولة سنة ٣٤١ هـ ، وأخذها الفرنج ١٩٤ هـ (١٠٩٧ م) ثم صارت مدينة هامة في مملكة أرمينية الصغرى (٢) •

٥ — بهسنا : على أحد روافد الفرات اليمنى الذى يصب أسفل سميساط وهي غربى حصن منصور ورستاقها رستاق كيسوم ١ • وهي « قلعة عظيمة حصينة بقرب مرعش وسميساط » وقد ذكرت في أخبار الحروب الصليبية ، كما وقال الجغرافيون أنها قلعة حصينة لا ترام حصانة في الغرب والشمال من عينتاب • وقيل عنها « هي الثغر المتاخم لبلاد الدروب والمشتعل في جمرة الحروب ، وبها عسكر من التركمان والاكراذ • ولا يزال لهم أثر في الجهاد • ويحمون قرية من أعمال بهسنا من أعمال كيسوم بين الروم وحلب » (٣) •

(١) البلاذرى : فتوح ١٩٨/١٩٧ ، ياقوت : معجم ٢٣١/٣ — ٢ ، الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٤٧ البكرى : معجم ما استعجم ٦٥٦/٢ ،

(٢) لى سترانج : بلدان الخلافة الشرقية ١٦١ والبلاذرى : فتوح ١٩٦ — ١٩٧ وياقوت : نفسه ٢٥/٨ وابن الشحنة : الدر ١٩١ — ٢ وابن العديم : بغية الطلب ورقة ٢٨٥ •

(٣) راجع لى سترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٥٦ وأبو الفدا : تقويم البلدان : ص ٢٦٤ — ٢٦٥ وابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٧١ وابن العديم : بغية الطلب ورقة ٣٧١ •

٦ — كيسوم : من أعمال سميساط في جنوب بهنسنا على نهر كيسوم على ٧ فراسخ (٢٨ ميلا) من الحدث • اعتبرها ابن خرداذيه ثغرا جزريا • وهي تتحكم في الطريق الى بهنسنا (١) •

٧ — كركر : حصن بين سميساط وحصن زياد (خرتبرت) شمال حلب على نحو ٥ مراحل • قال ياقوت : « وهي قلعة حصينة شاهقة في الهواء ، يرى الفرات منها كالجدول الصغير وهو منها في جهة الشرق وكانت من أعظم الثغور زمن التتار » (٢) •

٨ — قلعة سميساط : يسميها العام Samosta ، تقع على ضفة الفرات اليمنى — أى الشمالية — وعندها ينحرف النهر • وكانت حصينة • يذكر المسعودي أنها عرفت أيضا بقلعة الطين • أما ياقوت فيورد أنها « مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات • قال فيها المتنبي ودون سميساط المطامير والملا وأودية مجهولة وهو أجل :

ويعتبر قدامة بن جعفر أن سميساط ثغرا بكريا — نسبة الى ديار بكر — وقد استعادها المسلمون سنة ٣١٨ هـ • ثم أخذها الروم ثانية (٣) •

(د) الثغور الشامية : أهمها :

١ — عين زربي (عين زربة) عرفها الافرنج (الصليبيون) باسم Anazarbus وكانت عاصمة الاقليم الرومانى في كيليكية • قال عنها الاصطخرى • « بلد يشبه مدن الغور بها نخيل وهي خصبة » كان لها سور حصين في المائة الرابعة للهجرة • وقد نقل اليها الزط في أيام المعتصم العباسى (٢١٨ — ٢٢٧ هـ) فانتفع بهم أهل الثغر ، ثم أخذها

(١) فازيليف : العرب والروم (ترجمة شعيرة) ص ١٠٧ •

(٢) ابن عبد الحق : المراصد ١١٥٩/٣ وأبو الفدا : تقويم البلدان ٢٦٤ — ٢٦٥ والقلقشندي : صبح الاعشى ج ٤ ص ١٢٠ •

(٣) قدامة : نبذة من كتاب الخراج (ملحق بابن خرداذبة) ص ٢٥٤ Canard : P. 254 - 7.

الروم وخرّبوها • فانفق سيف الدولة عليها ٣ ملايين درهم لتعميرها ،
ثم أخذها الروم ثانية • قال عنها أبو الفدا في تقويمه « بلد في جبل
ذات قلعة مستعلية عنها ، وهى على مسيرة يوم جنوبى سيبس وفى
جنوبها نهر جيجان » • وقد صار اسمها فى القرن الثامن للهجرة
« زاورزا » •

ومن أهم الثغور الشامية كذلك سيبس أو سيبسيه والهارونية ،
والمكتيسة السوداء • ونيكابوليس Nicopolis (اصلاحية حاليا)
على الجانب الشرقى من أمانوس •

٢ — المصيصة : Mopsuestia وهى من بناء الروم • « وهى من
ثغور الشام بين انطاكية وبلد الروم » وقد اطلق ابن شداد على
المصيصة اسم « بغداد الصغيرة » • وقد انتقلت الى ملوك (أرمنية
الصغرى) •

وهناك من الثغور الشامية كذلك بياس (مدينة ترقى انطاكية)
بينها وبين الاسكندرونة (٦ ميل / فرسخان) ، قريية من جبل
اللكام (١) •

٣ — العينات : تجوز منها المراكب بخشب الصنوبر • وهى بين
بياس والمصيصة وهى قريية من ميدان معركة سوس كما يرى كنارد
Canard (٢) •

٤ — طرسوس : تقع قرب مصب نهر البردان فى البحر
المتوسط • وقد اشتهرت طرسوس فى العصر الاسلامى ، لأهميتها
الحربية وخصائص سكانها • وكانت أجل الثغور وهى تشرف على
المدخل الجنوبى لحرب أبواب قليقية • ذكر ابن حوقل ، أن عليها
سورين من حجارة وبها مائة ألف فارس ، وكان بينها وبين حد الروم
جبال منيعة متشعبة من اللكام • وهكذا كانت طرسوس حانجزا بين

Canard : Ibid., P. 281.

(١) البلاذرى : فتوح ١٧٢ — ٣ و

Canard : Ibid., P. 278.

(٢)

العالمين الاسلامي والمسيحي • وحين زارها ابن حوقل (٣٦٧هـ / ٩٧٨م) رأى المجاهدين الوافدين اليها من مختلف البلدان الاسلامية •

ويذكر ياقوت أن مدينة طرسوس أحدثت في عهد هارون الرشيد على يد سليمان أحد خدامه في سنة نيف وتسعين ومائة^(١) أى قبيل وفاة الرشيد المتى حدثت سنة ١٩٣ هـ • كما يقول عنها الهمداني « وهي مدينة لثغور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم » • وبين طرسوس واذنه ست فراسخ (١٨ ميلا) وظلت بيد المسلمين حتى أخذها نقفور فوكاس سنة ٣٥٤ هـ بعد المصيصة •

ويقول عنها ابن العديم هي « مدينة قديمة من بلاد الثغور الشامية عظيمة ، وبها كان يقوم سوق الجهاد ، وينزلها الصالحون والعباد ، ويقصدها الغزاة من سائر البلاد »^(٢) •

وأبواب طرسوس خمسة هي : باب الجهاد ، باب الصفصاف ، باب الشام ، وباب البحر ، والباب المسدود • وهي — كما يقول ابن حوقل — في غاية الخصب • ويوجد على مرحلة من طرسوس ناحية نهر اللامس Iamos الذي كان يمثل خذا اسلاميا بيزنطيا ، وتمت عنده الكثير من عمليات الفداء وتبادل الاسرى بين الجانبين الاسلامي والبيزنطي •

وأهم دروب جبال طرسوس درب الحدث في الشمال الشرقي من مرعش الى « ابلستين » التي عرفت أخيرا باسم البستان Ablastha (البيزنطية) وباسم ارابيسوس Arabissus اليونانية (عربسوس)

(١) يذكر القلقشندي ان طرسوس بناها الرشيد سنة ١٧٠ هـ اكملها ١٧٢ هـ • فإذا صح هذا ، يكون ما قام به خادمه سليمان ما هو الا التجديد والاستحداث لها • ولعل ما يدل على ذلك كلمة « أحدث » • ياقوت : ج ٦ ص ٢٨ •

(٢) ياقوت : مادة طرسوس ٣٨/٦ — ٣٩ وابن العديم بغية الطلب ورقة ٢٣٥ ، ٢٧٥ وأبو القدا : تقويم البلدان ٢٤٨ — ٢٤٩ والقلقشندي : صبح ٤ ص ١٣٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٨٠/١٨١ و Canard : Ibid., P. 282.

ويليه أهمية درب الابواب القيليقية الضارب شمالا من طرسوس الى القسطنطينية^(١) .

وبعد هذا العرض السريع للعواصم والثغور الشامية والجزرية يجب أن نتساءل عن الوضع الاستراتيجي لحدود الدولة الاسلامية مع الروم ، والى أى مدى كانت حدود الدولة الاسلامية تحقق لها الأمان لان الاجابة على هذا السؤال ستوضح الى حد كبير مغزى اهتمامات المسلمين وبخاصة الحمدانيين بمناطق الثغور الاسلامية المتاخمة أو المطلة على بلاد الدولة البيزنطية .

وبادئ ذي بدء ، فمما لا شك فيه أن الدولة الاسلامية كانت تهدف دائما الى ازالة دولة الروم ، مثلما ازالته دولة الفرس لموقفها العدائي . كما أن الدولة البيزنطية (الرومية) لم تكن فى نوابها ومشاعرها أكثر صفاء للمسلمين ودولتهم . ولذلك فما من لحظة من لحظات الضعف يمر بها المسلمون ، الا وكنا نجد الروم يسارعون للانقضاض على أطراف الدولة الاسلامية ، منتهزين ما تعانيه الدولة الاسلامية من أوضاع غير مريحة سواء خارجيا أو داخليا . وقد انتهز الروم كل الفرص التى سنحت لهم منذ نهاية العصر الأموي ، وبداية العصر العباسي ، وفى أوقات ضعف الخلافة العباسية وتجزؤ أقاليمها الى ولايات مستقلة ، لم يكن كل حكامها من طراز رجل مثل سيف الدولة الحمداني أو نور الدين زنكى ، يصمدون للمطامع والطامعين فيصدونهم ويذودون عن العرين^(٢) .

وقد حرص المسلمون — وهذا أمر طبيعي — أن تحقق الحدود لدولتهم تأمينا كافيا ، لذلك اتجهوا لفتح اقليم الجزيرة وارمنية ، بعد أن أنموا فتح الشام^(٣) . وقد برزت قيمة وأهمية اقليم الجزيرة (أقور كما يذكر المقدسي) باعتبارها « ثغر من ثغور المسلمين ، ومعقل

Le Strange : Palestine Under Moslems, P. 377 - 8. (١)

بلدان الخلافة الشرقية ص ١٦٤ — ١٦٦ وابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٨٠/١٨١ .

(٢) فتحي عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ٢٥٨/١ — ٢٥٩ .

(٣) الطبرى : الامم والملوك ٥٧/٤ ، ١٣٦ ، ١٥٣ ، ١٩٥ .

من معاقلهم ، لان آمد اليوم — عصر المقدسى ٣٧٨هـ / ٩٨٨م — دار جهادهم ، والموصل من أجل أنضادهم ، ومع ذلك (أى وفوق ذلك) هو واسطة بين العراق والشام ومنازل العرب في الاسلام »^(١) .

كذلك عمد المسلمون — تأميننا لوجودهم وحدود دولتهم — الى محالفة بعض الطوائف التي تحتل أماكن حساسة (هامة) على الاطراف . فتعاهدوا مع الجراجمة^(٢) في جبل اللكام ، كما تعاونوا مع البيالقة على اطراف الدونة البيزنطية ، القريبة من حدود المسلمين عند الفرات الاعلى^(٣) .

ولعلنا نتساءل هنا عن الحمدانيين — أولا — الذين تصدوا ، ردحا من الزمن ، لهجمات الروم ، وخاضوا ضدهم غمار حروب ومعارك طاحنة ، زودا عن حياض دولة الاسلام وأمته . كما نتساءل عن سر شهرتهم في الآفاق . تلك الشهرة التي لم يحظ بها مثلهم من الاسرات الحاكمة ، سواء في عصرهم أو بعدهم فيما بنى أيوب الذين قادوا المعارك — دفاعا عن العالم الاسلامى — ضد جحافل البغى الافرنجى القادمة من الغرب الصليبي .

فمن هم هؤلاء الحمدانيين ، وكيف نشأوا ؟ ، وبمن اتصلوا ؟ وكيف فرضوا أنفسهم على التاريخ ؟ وما هي الاحداث التي مروا بها أو مرت بهم ؟ وفي عهد من الخلفاء كانوا ؟ وما هو لون السياسة في عهدهم ؟ . هذا ما سنحاول الاجابة عليه في الصفحات التالية .

(١) المقدسى : احسن التقاسيم ص ١٣٦ .

(٢) ينسب الجراجمة الى بلدتهم الجرجومة . ويسمىهم المسلمون باسم « المردة » Maradate ، لكثرة تمرداتهم وثوراتهم . اذ كانوا عضاة لكل سلطة في بلاد الشام منذ العصر الرومانى ، حتى اعتبرهم الرومان « اعداء دائمين » Hostis Perpetius وقد نجح الروم (البيزنطيون) في جذب عناصر منهم بالمنح والعطايا ، لعرقلة حركة الفتح الاسلامى . وساهم البيزنطيون «القضببان الحديدية» لاعتيادهم السير وفي يدهم قضبان حديدية . راجع : فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ج ١ ص ٣٦٢ .

(٣) فتحى عثمان : المرجع السابق ١/ ٢٦١ .

عن الحمدانيين : تعريف بهم وبطبيعة عصرهم :

ينتسب الحمدانيون — كما يقول ابن خلدون^(١) — « الى قبيلة تغلب — التي قامت بضواحي الموصل — وكان بنو تغلب بن وائل من أعظم بطون ربيعة بن نزار • وكانوا من نصارى العرب في الجاهلية ، لهم محل في الكثرة والعدد ، وكانت مواطنهم في الجزيرة وديار ربيعة ، ثم رحلوا مع هرقل الى بلاد الروم ، ثم رجعوا الى بلادهم وفرض عليهم عمر بن الخطاب الجزية ، فقالوا يا أمير المؤمنين لا تذلنا بين العرب باسم الجزية وأجعلها صدقة هضاعة ففعل • وكان قائدهم يومئذ حنظلة بن قيس بن هرير من بني مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب • ثم كان منهم بعد ذلك في الاسلام ثلاثة بيوت : آل عمر بن الخطاب العدوي ، وآل هارون المعمر ، وآل حمدون بن الحدث بن لقمان ابن أسد » •

وهذا النص يدلنا على ان الحمدانيين بطن من بطون بني تغلب ابن وائل ، وهم عدنانية ، يعنى عرب خلص ، ممن ولدت العربية في كنفهم • وقد استمروا ينتقلون من تهامة الى نجد الى الحجاز الى أرض ربيعة الى ضفاف الفرات حيث انزلوا سهل الرقة الفسيح ، ثم انتقل حمدان بن حمدون منها الى الموصل^(٢) •

وقد توافق ظهور الحمدانيين وبروز نجمهم مع ضعف الدولة العباسية ، وأقول نجمها : بحيث أصبحت الخلافة رسماً فقط ، والخليفة لم يعد أمامه سوى أن يقنع بما يعطى له من راتب سنوى وما يسمح له بمزاويلته من مهام ، وكان ذلك في أواخر القرن الثالث للهجرة بحيث لم يعد الخليفة سوى رئيس دينى لا أمر له ولا نهى ، ولا وزير يعتمد عليه^(٣) •

هكذا شهد الحمدانيون هذا التدهور في صورة وسلطة الخليفة

(١) ابن خلدون : تاريخ العبر ج ٤ ص ٢٢٧ •

(٢) سامى الكيالى : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص ٣١ — ٣٢ •

(٣) ابن الاثير : الكامل ج ٧ ص ١٦٦ — ١٦٧ ، ١٦٩ — ١٧٠ •
وحسن ابراهيم : الاسلام السياسى ج ٣ ص ١١٥ (ط : ١٩٦٥) •

والخلافة ، لدرجة هزت الدولة الاسلامية هزة انتهت بانفراط عقدتها ،
وظهور دويلات وامارات مستقلة في اقاليمها المختلفة .

كذلك شهد الحمدانيون تقلص النفوذ العربى وذوبانه. تحت
سيطرة العناصر غير العربية ، بشكل مزر . لذلك رأوا أن يقوموا
بنصيبهم في حمل هذا العبء ، صونا للتراث العربى ، وزودا عن
الثغور الاسلامية من هجمات الروم . فجرت المنافع المادية بعضهم
الى الهاوية حبث المنافع تغلى وتثور ، وارتفعت المبادئ السامية
ببعضهم ممن كان دفاعهم عن العروبة والاسلام مجيدا .

ظهرت الأسرة الحمدانية ابان ارتقاء المعتضد دست الخلافة
(٢٧٩ — ٢٨٩ هـ) الذى تسلمها وهى في حالة من التفكك والانحلال
لا يحسد عليه . وقد أراد المعتضد بالله العباسى معالجة الامور
نهوضا بالدولة والخلافة ، بكل ما في نفسه من حب الاصلاح ، وما في
شخصيته من سمات الحزم وقوة القلب وشجاعة الرأى . لكن الوقت
كان متأخرا (١) .

ذلك ان اقليم الجزيرة كان يموج باضطرابات دامية ، وكان
القرامطة يعيشون في البلاد فسادا ويهزون العقائد هزا عنيفا ، وقد بدا
الصراع بين العرب والترك للمرة الاولى في عهد المعتضد . وكان تخلى
العباسيين عن العرب ، وتمكينهم الاعاجم من السلطة في الدولة
العباسية ، مما دفع عرب الجزيرة — وبخاصة — ربيعة — الى
المحافظة على استقلالهم ومن هؤلاء بنو شييان الذين جرد لهم
المعتضد جيشا لخماد ثورتهم سنة ٢٨١ هـ ساربه الى قلعة ماردين (٢) .

فلما علم حمدان بن حمدون بذلك ، انهزم وتراجع في جوف الليل
تاركا القلعة لابنه الحسين ، الذى استبسل في الدفاع عنها ، مما دفع
الخليفة المعتضد الى الرجوع للموصل ، فيكتب لحمدان بن حمدون
يستحثه على اعلان الخضوع والاذعان فأبى حمدان ، لكنه سرعان

(١) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ٣٤ — ٣٥ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ٧ ص ١٦٦ — ١٦٧ ، ١٦٩ — ١٧٠ .
وحسن ابراهيم : الاسلام السياسى ج ٣ ص ١١٥ (ط : سابعة ١٩٦٥) .

ما استسلم عندما زحف اليه المعتضد على رأس جيش لجب ثانية ،
وهرب حمدان واختفى من المسرح . وقد تمكن حمدان بن حمدون
من العبور ، في قارب كان له على ضفه نهر دجلة ، الى الجانب الغربى
حيث ديار ربيعة . فنزل هناك عند احد الخوارج طالبا حمايته ، دون
ان يدري أن هذا الذى يستجير به سيسلمه للخليفة المعتضد ، الذى
سيزوج به بعد ذلك فى غياهب السجون . وهكذا نرى ان جد الأسرة
الحمدانية تبدأ سيرته بثورته على الخلافة ، وخوض معارك طاحنة
ضدها ، ثم استسلام ، فسجن .

فى هذا الوقت (أواخر القرن الثالث الهجرى) رأى الخليفة
العباسى ضرورة الاستعانة بالحمدانيين فى حربه ضد هارون الشارى
احد الخوارج ، الذى كانت قواته قد ألحقت بالقوات العباسية هزائم
كبيرة . لذلك قرر المعتضد العباسى (٢٧٩ — ٢٨٩ هـ) الاستعانة بالحسين
ابن حمدان بن حمدون ، الذى وافق بعد تردد ، وشروط ثلاثة وضعها
ان هو وفق فى مهمته . وقد صرح باحد هذه الشروط وهو « اطلاق
سراح والده حمدان بن حمدون » ، أما الشرطان الآخران ، فأجل
الحسين بن حمدان البوح بهما ، لحين الانتهاء من اخماد ثورة هارون
الشارى الخارجى واتباعه^(١) .

وهكذا انخرطت الأسرة الحمدانية فى خدمة الخلافة العباسية ،
وصارت هذه الأسرة دؤوبة على انتهاز الفرص ، لاثبات اخلاصها
ولوائها ، كلما امكنتها الظروف من ذلك^(٢) . وكان الحسين بن حمدان ،
قد نال تقدير الخليفة المعتضد ، الذى خلع عليه^(٣) . واستجاب لطلبه
بتكوين فرقة جيش نظامية ، تكون من بنى تغلب (قبيلة الحمدانيين) .
وقد بلغ تعداد تلك الفرقة خمسمائة فارس يتناولون أرزاقهم من

(١) حسن ابراهيم : الاسلام السياسى ١١٥/٣ وسامى الكيالى :
سيف الدولة ص ٣٦ .

(٢) الكبيسى : عصر الخليفة المعتضد بالله ص ٤٩٩ .

(٣) الطبرى : ج ٤ ص ٢١٥٠ — ٢١٥١ وابن الاثير : الكامل
٨١/٦ والمسعودى : مروج الذهب ج ٤ ص ١٨٨ والكبيسى : المرجع
السابق ص ٥٠٠ .

الدولة ، وقيامتهم الى انحسين بن حمدان بن حمدون^(١) .

ومنذ ذلك الحين بدأت شهرة الحمدانيين في الظهور ، حيث قاموا بدور فعال في احداث ذلك العصر — (القرن الرابع الهجرى • • بدأت دولتهم ٢٩٢هـ وانتهت ٣٩٢هـ) — اذكرس الحسين بن حمدان نفسه لحرب معارضى السلطة العباسية وبخاصة القرامطة • وقد أثبت الحسين ابن حمدان — من خلال المهام التى اسندت اليه — قدرته العسكرية ، مما جعله مثار اعجاب المسئولين في الدولة العباسية ، حتى ليحكى أنه وجد في خزانته — بعد موته — أكثر من عشرين طوقا لفيف وعشرين فتحا يالمشرق والمغرب^(٢) • مما جعله من رجالات الصف الأول في الدولة العباسية ، منذ ذلك الوقت — خلافة المعتضد (٢٧٩ — ٢٨٩هـ) — حتى بداية عهد المقتدر العباسى (٢٩٥ — ٣٣٠هـ) •

ولقد كان طبيعيا ان ينضوى باقى امراء الحمدانيين تحت لواء الطاعة للعباسيين ويعملون في خدمتهم • وبذلك وصلوا الى ارفع المناصب ، حيث منحهم الخليفة أمر الموصل ، فاستقلوا بها ، ثم سرعان ما مدوا نطاق حكمهم الى منطقة ديار بكر وسورية واقليم الجزيرة فيما بعد •

ولما آلت الخلافة العباسية الى المكتفى بالله بن المعتضد سنة ٢٨٩هـ — عقب وفاة والده — سار المكتفى على نمط والده ونهجه ، من حيث الثقة فى آل حمدان ، والاعتماد عليهم فى ادارة وتسيير شئون الدولة ، لأنه رأى فيهم عنصرا عربيا قويا ، يشارك الخلفاء العباسيين مشاعرهم واحاسيسهم^(٣) • ولذلك ولى الخليفة المكتفى أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون الموصل واعمالها سنة ٢٩٣هـ (٩٠٥م)^(٤) •

(١) أبو فراس : ديوانه ص ١٢٨ ، ١٦٥ •

(٢) فيصل السامر : الحمدانيون ج ١ ص ٨٧ •

(٣) ابن خلدون : العبر ج ٢ ص ٣٩٦ •

(٤) ابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ١١١ وابن خلدون : العبر ج ٣

ص ٤٧٨ — ٤٧٩ وسرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ص ٧٢

وحسن ابراهيم : الاسلام السياسى ١١٥/٣ •

واستمروا كذلك الى وفاة المكتفى سنة ٢٩٥هـ (٩٠٧م) حيث بدأ الزمن يقلب ظهر المجن لهذه الأسرة مع الخلافة العباسية .

ذلك ان الحسين بن حمدان (أخو أبو الهيجاء) — كما يذكر المؤرخون — اعترض على تولي المقتدر السلطة لحداثة سنه ، وأنه — لذلك — شارك في تخطيط استهدف عدم توليه المقتدر ، وتعيين عبد الله ابن المعتز خليفة^(١) . بينما هناك رأى يقول ان الحسين لم يشارك في اختيار المقتدر — لا تمردا عليه واستصغارا لشأنه — وانما لأن الحسين عسكى ، والعسكريون ابعدوا عن عملية الاختيار نهائيا^(٢) ، وهذا أيضا محل نظر .

ويدعم أصحاب الرأى الأخير قولهم ، بتحليل توقيت خروج الحسين بن حمدان على الخليفة المقتدر ، بأنه جاء أو ظهر بعد تولي المقتدر الخلافة العباسية سنة ٢٩٥هـ وليس قبل ذلك . ويعلمون ذلك الخروج بأن الخليفة لم يعط العناصر العسكرية في الدولة الأهمية الواجبة أو المطلوبة ، من حيث الاستشارة فيما يعن للدولة من أمور . وأن ذلك دفع العناصر العسكرية للتآمر عليه سنة ٢٩٦هـ ، والسعى لتولية عبد الله بن المعتز^(٣) .

على أى الأحوال ، فلقد فشل تآمر الحسين بن حمدان ومجموعته العسكرية ، مما دفعه للسير هاربا الى الموصل ، تاركا وراءه باقى عناصر التآمر ، ناجيا بنفسه من مصير مؤلم حتما ينتظره لو وقع فى أيدي المقتدر ورجاله . أما شركاء الحسين بن حمدان فتم القبض عليهم ، وصاروا بين مفتول ومنفى وسجين ومصادر^(٤) . والحق ان

(١) السامر : الحمدانيون ١٠٢/١ — والكبيس : عصر الخليفة المقتدر بالله ص ٥٠١ — ٥٠٢ .

(٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٣٧٠ ومروج ٢٢٢/٤ وعريب القرطبي : الصلة ص ٢١ والجوزى : المنتظم ٦٧/٦ ، وابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ١١٧ .

(٣) ابن العبرى : ص ١٥٥ وابن العماد : شذرات الذهب فى اخبار من ذهب ج ٢ ص ٢٢١ وابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ١٠٧ .

(٤) ريب : الصلة ص ٢٨ وابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ١٢٢ .

هروب الحسين ابن حمدان — بعد انفضاح أمر التآمر وعناصره — أدى الى أنهيار معنويات زملائه ، وتشككهم فيه ، واضطرابهم ، وتفكيكهم جديا في الهرب ، معتقدين « ان الحسين بن حمدان قد عرف ما يجرى ، فهرب من الليل ، وهذه مواطاة بينه وبين المقتدر »^(١) .

واثباتا للحق ، فان هذا الاتهام تدحضه وتنقضه الوقائع التي حدثت بعد ذلك ، متمثلة بصفة أساسية في جد المقتدر بالله العباسي في البحث عن الحسين بن حمدان ومطاردته حيث أرسل قوة بقيادة القاسم بن سيما ، كما أمر أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان (أخو الحسين) والى الموصل بمحاربة الحسين بن حمدان — وهو أخوه — وطلب منه القبض عليه^(٢) .

على ان مالقيه أبا الهيجاء من ثقة الخليفة المكتفى (٢٨٩ — ٢٩٥هـ) ثم المقتدر (٢٩٥ — ٣٣٠هـ) ، وأوغر صدر أخيه الحسين بن حمدان عليه . وقد تمكن أبو الهيجاء فعلا ، وبمساعدة القاسم بن سيما ، من أخيه الحسين في جبل سنجار ، وأوشك ان يسلمه للخليفة المقتدر العباسي ، لتأديبه على اشتراكه في المؤامرة ضده ، لولا توسط ابن المرات وزير المقتدر للحسين بن حمدان^(٣) . ثم لم يلبث الخليفة حتى خلع على الحسين بن حمدان ، ومنحه أعمال ديار ربيع سنة ٣٠١هـ فيكون الحسين بذلك مشاركا أخاه أبا الهيجاء في السلطة على إقليم الموصل ، الذي حكمه الأخير منفردا منذ ٢٩٣هـ ، مما أوغر صدره على أخيه الحسين بن حمدان . فهل كانت الخلافة العباسية تريد حقا منح الحسين مناطق ترضيه له وتأليفا لقلبه ؟ وفي هذه الحالة كانت هناك مناطق أخرى يمكن ان تمنحه حكمها غير ديار ربيع . أم كانت تريد — بعد أن أيقنت بخطر الحمدانيين عليها وبدأت تشك

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١٢١ والكيسى : عصر المقتدر بالله

ص ٥٠٧ .

(٢) الذهبي : دول الاسلام ج ١ ص ١٣٢ وابن خلدون : العبر

ج ٢ ص ١٠٥ ، ٣ ص ٧٥٦ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ٦ ص ٨٢ .

Sourdel, D. Le Visirat 'Abbassid T. 2, P. 379.

في ولائهم — أن تضرب أفراد الأسرة بعضهم ببعض لتقل حدهم وتكسر شوكتهم بما تثبته مثل هذه العملية بين الأخوة من عداوة وشحناء • ؟ وهذا ما لم يحدث أو يصل — على الأقل — الى المدى الذى ارادته الخلافة • ولذلك لم يعد مناص من المواجهة الحادة مع الأسرة الحمدانية « فازور (المقتدر) عنهم — أى تحول قلبه عنهم — وألقى القبض على أكثرهم وزجهم فى السجن » حيث ظلوا به حتى سنة ٣٠٦هـ حيث اطلق سراحهم (١) •

أما الحسين بن حمدان ، فقبض عليه ، وأودع السجن بدار زيدان القهرمانة ، وظل حبيسا الى أن مات ميتة غامضة سنة ٣٠٦هـ / ٩١٨هـ — لحظة الافراج عن باقى أفراد الأسرة — مما يدفع المؤرخين الى القول أنه ذبح فى السجن ، وهو أمر غير مستبعد (٢) •

أيا كان الأمر ، فقد وصلت الدولة العباسية فى عصر المقتدر الى مرحلة متناهية فى الضعف والانحلال ، بظهور المتغلبين فى أطراف المملكة والشعور ، مع تصاعد حدة الخطر البيزنطى ، على حدود العالم الاسلامى فى أعالي بلاد الشام ومصر ومنطقة الجزيرة وأرمينية • ففى فارس قامت دولة بنى بويه ، وفى مصر قامت الدولة الاخشيدية سنة ٣٢٢هـ ، كما أعلن الفاطميون خلافتهم فى الشمال الافريقى سنة ٢٩٦هـ ، وسيطر القرامطة على منطقة هجر (البحرين) واستبد الديلم بجرجان وطبرستان ، وسيطر البريديون على واسط والبصرة ، وقام الحمدانيون فى الموصل وديار ربيعة وجزء كبير من العراق •

فكان هذا التشتت والتوزع الذى وقع فى كيان العالم الاسلامى ، مما اطمع البيزنطيين فى مهاجمة تغور الدولة الاسلامية • فهاجموا كيليكيا وسورية بقيادة نقفور فوكاس مثلا ، الذى اشتبك فى معارك

(١) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ٣٨/٣٥ ، الكيسى : عصر المقتدر بالله ص ٥٢٠ •

(٢) الذهبى : دول الاسلام ١٣٦/١ ، ابن الاثير : ١٦٢/٦ ، وعريب : الصلة ص ٧٧ وأبو المحاسن : النجوم ١٩٤/٣ •

طاحنة وضارية مع سيف الدولة على أبواب حلب • وهو ما سنفصله فيما بعد (١) •

وبوفاة الخليفة المقتدر سنة ٣٣٠هـ يتولى أمر الخلافة القاهر ، ثم الراضى بالله الذى تولى السلطة سنة ٣٣٢هـ وظل خليفة حتى سنة ٣٣٩هـ • وكانت خلافة الراضى بالله تمثل فترة مليئة بالفتن والتوترات ، بسبب الصراع على السلطة بين كبار رجال العهد ، مما صرف الانظار والأهتمام عن الأخطار المحدقة بالدولة الإسلامية ، ممثلة فى تربص الروم على ثغور البلاد وحدودها (٢) •

فى هذا الوقت يستقل ناصر الدولة بن حسين بن حمدان بالموصل ، غير عابىء بالخليفة • ثم يدخل هو نفسه فى صراع مع عمه أبى العلاء ابن سعيد بن حمدان • وقد ترتب على استقلاله بالموصل وقوع توتر فى جو العلاقات بين الأسرة الحمدانية والخلافة العباسية • هذا التوتر سرعان ما ينتهى بوفاة الراضى سنة ٣٣٩هـ واعتلاء المتقى لله عرش الخلافة • ثم يسيطر سيف الدولة على حلب الشهباء ، تاركاً أخاه ناصر الدولة يدعم نفوذه فى منطقة الموصل (٣) •

وبينما كان سيف الدولة يؤسس ملك بنى حمدان فى حلب — بعد أنهيار قوائم ملكهم فى الموصل بعد انتصار توزون التركى أمير الأمراء عليهم — أواخر أيام أخيه ناصر الدولة — كان ابنه ناصر الدولة يتقاتلون على السيادة والمال ، وقد اساءوا الى أبيهم ، وانضموا الى غيرهم من الطامعين فى الأرض التى احتفظ بها أجدادهم الحمدانيون نحو أربع وسبعين سنة • وكان خلافهم ، وقيام بعضهم على بعض ، مما دفع عضد الدولة البويهى للتقدم ، وطرده أباً تغلب بن ناصر ، وبسط نفوذه فى البلاد • وبذلك تنطوى راية الحمدانيين فى الموصل وديار بنى ربيعة لتتحقق من جديد راية دولتهم فى حلب الشهباء على يد سيف الدولة (٤) •

(١) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ٤٤ •

(٢) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ٤٤ •

(٣) سامى الكيالى : ص ٤٥/٤٤ •

(٤) سامى الكيالى : ص ٤٦/٤٥ •

فلماذا اختار سيف الدولة أرض حلب • ؟ هل فيها مناعة المدن الحصينة التي تصد هجمات العدو ؟ الواقع انها تقوم على سهل منبسط فسيه وكثيرا ما تغنى الشعراء بجودة تربتها وطيب هوائها ، وجمال سماتها ، وبساتينها الفيحاء التي بزت غوطة الشام • وكانت قلعتها الأثرية التي تجثم في قلب البلد ، وقد عرفت عمر الزمن وخلود الحياة ، موضع اعجاب ودهشة الفاتحين المغزاة • فهل كانت قلعتها هذه سببا في اختيار سيف الدولة لحلب ليبرز فيها بذور دولته •

في الحقيقة ربما كان سيف الدولة يرى ضرورة المقام في حلب ليرصد منها تحركات الروم — وهم وهو في حلب قرييون منه — ولاغرو فالروم كان يَمْضِهم الشوق الى تلك البلاد التي ضاعت منهم منذ عهد الراشدين • فلم يتركوا فرصة الا وأغاروا على ثغور المسلمين محاولين اخذها • مما يبرر نظرة سيف الدولة في الوقوف هنا ليصد هجمات الروم المتربصين بالمسلمين شرا ، فبنى مملكته الجديدة في أرض الشهباء المتاخمة لأرض الروم •

على أى حال ، فلقد دخل سيف الدولة حلب سنة ٨٣٣ ، فأخذها من يد أحد قواد الاخشيد حاكم مصر • وكانت حلب في عهد سيف الدولة ، عاصمة دولة تمتد من الموصل حتى تكريت^(١) • ومن غانته على الفرات حتى البحر المتوسط ، مشكلة — على وجه التقريب خطا مستويا يمر من جنوبى حمص • وقد امتدت ممتلكات الحمدانيين شمالا ، حتى منطقة كيليكيا وملطية وديار بكر حتى مدينة أحيلا (خلاط) الواقعة على بحيرة وان Wan •

ولقد ظلت الدولة الحمدانية مدة تنيف على السبعين عاما (٣٢٣ — ٨٣٩) ثم انتهت كما بدأت ضعيفة تارة وقوية تارة أخرى • على أن نفوذها لم يقو الا في عهد سيف الدولة الذى رفع من شأنها وخذ ذكرها ، مما يجعلنا نقدر باطمئنان أنه اذا ذكرت الدولة الحمدانية فليكن معروفا ان سيف الدولة هو الذى خلقها وفرض اسمها في التاريخ •

(١) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ٥٢ .

الفصل الأول

الأوضاع السياسية في أرمينية

بين القرنين الثالث والرابع

بعد الهجرة

(أ) بنو الساج في أرمينية وأنريجان

• (٢٦٦ - ٥٣١٨ - ٨٧٩ - ٩٣٠ م)

• (ب) الإمارات العربية الأخرى في أرمينية

• (ج) الممالك الأرمينية في مستهل القرن الرابع الهجري

الأوضاع السياسية في أرمينية

(١) بنو الساج في أرمينية وأذربيجان (٢٦٦-٣١٨ هـ / ٨٧٩-٩٣٠ م) :

اتحدت منطقة أذربيجان^(١) مع اقليمى الجزيرة (ما بين النهرين) وأرمينية^(٢) - في معظم الأوقات - تحت سيطرة حكم واحد . وفي نهاية

(١) ذكرها في الأصل البستاني فقال : « قال مطبرون (رحالة) في جغرافيته وكانت - أى أذربيجان - تسمى عند الاقدمين اطروباطينة . . . ومعنى أذربيجان أو اطروباطينة أرض النار ، اما لكون عبادة النار ظهرت ونشأت فيها ، أو لكونها كانت مرضة لوبجان جبال النار . . . وهى أراضى جبلية يابسة منتشرة فيها اودية خصبة كثيرة الفواكه . . . » .
راجع : السيد محمد أمين الخانجى : منجم العبران في المستدرك على معجم البلدان (باب الهمزة والذال وما يليهما) ص ١٨٤ .
وأذربيجان اقليم شمالي ايران يحدها شمالا ومن الشمال الشرقى أملاك روسيا ، ومن الشرق جيلان *Jilan* ومن الجنوب كردستان الفارسية والعراق العجمى ومن المشرق (كردستان التركية وأرمينية . مساحتها نحو ٣٠ الف ميل مربع) . أكبر أنهارها نهرا قرصو والرس . . . وهواؤها غالبا معتدل وصيفها حار جدا ، وشتاؤها في غاية البرد . وبها بحيرة أرمية الكبيرة المشهورة . . . وعلى الجبله هى بلاد قديمة العهد جدا . انظر نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .

وكانت تتداولها ولاية من المسلمين . فقد وليها سنة ١٣٢ هـ أبو جعفر المنصور العباسى (الخليفة بعد ذلك) كما وليها الرشيد سنة ١٦٤ هـ أيام أبيه الخليفة المهدي ، وأقطعها المتوكل ابنه المعتز سنة ٢٣٥ هـ . ثم اتصلت سنة ٢٨٨ هـ الى يوسف بن الساج وكانت بيد أخيه محمد . وان كان ابن الاثير يذكر ان يوسف وليها سنة ٢٩٦ هـ ، ثم نزعته منه أيام المعتذر على يد مؤنس الخادم سنة ٣٠٥ هـ ثم تتداولها أصحاب ابن أبى الساج .

راجع الخانجى : منجم العبران المستدرك ص ١٨٥ - ١٨٧ .

(٢) أرمينية : صقع عظيم واسع يمتد شمالا الى جبال القيق (القوقاز) والبحر الاسود . وبعض اقليم الجزيرة جنوبيا . وبحر الخزر (أو قزوين) *Caspian* وهضبة أذربيجان شرقا ، وآسيا الصغرى والجزيرة غربا . وتشتمل أرمينية على الاراضى الجبلية التى تخترقها أنهار عظيمة أهمها : الجبله والفرات في الجنوب ، ونهر الكر *Kyros* ونهر الرس أراكس *Araxes* في الشمال . وكان يسكن هذه البلاد شعب آسيوى مجهول الأصل يعرف باسم الأرمن . وقد اعتنق الارمن المسيحية في وقت مبكر ، كما ظهرت شخصيته الشعب الأرمنى متميزة عما جاورها من شعوب . كذلك عاش في أرمينية جماعات من اليهود والمجوس ، دفعت الى هذه البلاد من البلاد المجاورة . راجع المقدسى : احسن التقاسيم ص ٣٧٣ - ٣٧٤ وصوابر ديباب أرمينية ص ١ - ٥ . وط

Sterck Art. Armenia (Ency of Islam I. P. 637) ط . عربية وفتحى عثمان :

الحدود الإسلامية البيزنطية ج ١ ص ١٩١ ، ١٩٢ و ١٩٦ - ١٩٨ .

القرن الثالث الهجري (بداية العاشر الميلادي) كانت أذربيجان ضمن منطقة نفوذ الأسرة الساجية (بنو الساج)^(١) . وقد حكمت هذه الأسرة الساجية منطقة أرمينية — التي كانت وقتذاك تابعة لاقليم الجزيرة — بالاشتراك مع عيسى بن الشيخ وحلفاؤه من بنى سيان وابن كنداج . وانتهى بنو الساج من أرمينية وأذربيجان باغتيال « أبو المسافر فتح بن أمشين » بيد أحد غلمانه، ومغادرة آخر أفراد الأسرة الساجية البلاد الأرمينية ، ليصبح مجرد ضابط في الجيش العباسي تحت أمره ابن رائق^(٢) .

والحق أن الأسرة الساجية مرت — بعد سنة ٣١٧ هـ — بفترة مشوبة بالاضطرابات والفتن . وكل ما نعلمه عن هذه الفترة الحرجة في تاريخ بنى الساج بأرمينية هو أنه تعاقب على حكم أذربيجان اثنان من غلمان بنى الساج هما : وصيف شيرواني و « مفلح » الذي ورد ذكره عام ٣١٩ هـ (٩٣١ م) ، ضمن ذكر اغارة على البلاد الأرمينية^(٣) . وان كان من غير الواضح كم من الوقت استمر حكمهما .

والثابت ، أنه في عام ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م) حصل مرداويج بن زيار الديلمي سيد أو حاكم طبرستان و اقليم الجبل — من الخليفة العباسي المقتدر بالله (٣٢٠-٣٣٠ هـ) — على عهد متوليته اقليم أذربيجان والبلاد الأرمينية ، الى جانب طبرستان والجبل^(٤) . ولم يثبت ما اذا كان مرداويج بن زيار قد توجه الى هناك ليدبر هذه المناطق ، أو أنه أرسل أحد ممثليه ليحكم هناك نيابة عنه . بل أن المرجح أن اقليم أذربيجان ، كان — وقتذاك — لا يزال في يد دبسم بن شاذلويه الكردي أحد ضباط

(١) بنو الساج : هم أسرة تنسب الى ضابط تركي من ضباط الخليفة العباسي المتوكل على الله (٢٣٢ — ٢٤٧ هـ) . وقد قتل احد أفرادها البارزين عام ٣١٥ هـ (٩٢٧ م) اثناء القتال ضد القرامطة . راجع : زامبور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي . ج ٢ ص ١٧٧ وابن حوقل : صورة الأرض ٢٣٨

Canard : Hist. de la Dynastie des Hamdanides, P. 454. (٢)

Canard : Hist. de la dyn. des Hamd., P. 454. (٣)

Defermery; Sajides (J. Asiatique, 1947, X P. 436).

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٣٢ .

يوسف بن أبي الساج^(١) . فلما قتل مرداويج بن زيار الديلمى أوائل عام ٣٢٣ هـ (٩٣٥ م) ، واصل أخوه وخليفته « وشمكير » المناداة بمطالبه في أذربيجان^(٢) .

وهكذا يتضح أنه منذ وفاة آخر أمراء الأسرة الساجية في أذربيجان — وهو أبو المسافر فتح بن أفشين سنة ٣١٧ هـ (٩٢٩ م) — انتقلت الأمور في هذا الاقليم الى أيدي مختلف القادة والضباط الساجين الذين بذلوا جهودا كبيرة لاحكام السيطرة على أرمينية ، حتى دون اذن الخليفة العباسى ، علما بأنهم لم يقوموا بأكثر من اغارات على أرمينية لم تسفر عن نتيجة تذكر^(٣) .

والواقع أن عملية اسلاس قياد منطقة أرمينية لم تكن بالمر — اليسير ، وذلك لعدة عوامل أهمها : تضاريس البلاد وصعوبتها . وكان المتعارف عليه بين الأرمن ، أنه اذا أمكن لأحد أن يتوغل في أرمينية ، ويحصل على موافقة أمرائها ، وقبوله أميرا عليهم ممثلا للخلافة العباسية ، أصبح من المبسور بعد ذلك أن ينال من الحكومة العباسية عهدا بتوليته على البلاد ليصير بذلك واليا شرعيا على أرمينية .

وفي هذه الاثناء كان ناصر الدولة الحمدانى — الذى خلف عيسى ابن الشيخ الشيبانى — في ديار بكر يأمل في ضم أرمينية لتصبح ضمن الاقليم التى قلده الخليفة أمر ولايتها وادارتها^(٤) .

ولما كان ما يحكمه ناصر الدولة من بلدان يقع في مواجهة أراضى الامبراطورية البيزنطية عبر ديار بكر ، ومطلوب منه الدفاع عن منطقة

(١) كان والد ديسم بن شانلوية من انصار هارون الشارعى الخارجى . فلما قضى على هارون وحركته بواسطة حسين بن حمدان ممثلا للخليفة العباسى المكتنى (٢٨٩ — ٢٩٥ هـ) هرب شانلويه الى اكراد اذربيجان .

راجع : ابن مسكويه : تجارب الامم ٢/٣٢ — ٣٣ و ٣٨٨/١ و ٤٠٤ وابن الاثير : الكامل : حوادث عامى ٣٢٥ هـ و ٣٣٢ هـ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ج ٤ ص ١١٨٥ مادة وشمكير .

(٣) Canard : Hist. de la Dynastie des Hamdanides, P. 463.

(٤) Canard : Ibid, P. 463.

ما بين النهرين (الميزوبوتوميا) • فقد صار من أهم مصالحه السيطرة على بعض الأماكن أو المواضع الرئيسية ، مع ضمان سلامة حركة المواصلات مع مدينة قاليقلا Qaligala في قلب أرمينية^(١) •

ويسمى كنارد هذه الفترة السابقة لعام ٣١٩ هـ وحتى سنة ٣٣٣ هـ بالفترة « الثقل سيفية » ، أى الفترة السابقة على ظهور سيف الدولة الحمدانى ، كأمر مسئول مسئولية مباشرة عن مواجهة الروم • كما أنه لم يكن قد لقب بعد بلقب « سيف الدولة » • وكان لا يزال مجرد حاكم على مجموعة أقاليم حدودية ثغرية ثم يستدرک موضحا سمات هذه « الفترة الارمنية الميزوبوتامية » من الحرب ضد الروم • وقد سماها كذلك نسبة الى المسرح الذى جرت عليه المواجهة بين المسلمين من ناحية ، والروم والأرمن ومن ولائهم من ناحية أخرى^(٢) • وهو ما سنقصاه بعد ذلك فى موضعه وحينه •

الامارات العربية فى ارمينية ابان القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) :

فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى وجدت فى أرمينية عدة امارات عربية مستقلة ، فى منطقة الابهونيك ، وبحيرة فان • وقد انعزلت هذه الامارات العربية الأربع عن الخلافة العباسية ، منذ ازدياد قوة جيرانها الأرمن ، وسعت بالتالى ، الى التكيف مع هذا الوضع ، باذلة جهودا كبيرة لصد محاولات الغزو من جانب كل من البيزنطيين ، والأردذرونيين حلفاء بيزنطة^(٣) •

وعلى الرغم من التضامن الذى كان قائما بين المسلمين هناك ، فلسوف نرى أن أمراء العرب فى أرمينية ، كانوا يلقون من الحدائين نفس المعاملة التى كانوا يعاملون بها أمراء الأرمن ، وأنهم — أى

Canard : Ibid, P. 463/4.

(١)

Canard : Hist. de la Dynastie de Hamdanides, P. 463/4.

(٢)

Runciman : Ibid., P. 160

(٣)

أمراء العرب — كانوا يعتبرون أنفسهم كالأرمن الى حد ما ، حتى أنهم خضعوا في النهاية للنفوذ البيزنطي^(١) .

وقد وجد في القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري) عدد كبير من الجاليات الحضرية والامارات العربية المستقلة ، في أرمينية ، وجورجيا . وألبانيا . وقد استمرت هذه الجاليات العربية ، منذ القرن التاسع الميلادي كما يذكر المؤرخ البيزنطي ثيود شيان Thopdschian — تقيم في مدن مثل دوين Dwin ، وظلت فيما يبدو محتفظة باستقلالها ، مع تناقص في عدد الامارات العربية الأرمينية^(٢) . من ذلك مثلا امارة أرزن Arzan التي امتدت في عهد موسى بن زرارة الذي كان ينتسب بالمصاهرة الى الأسرة الباجراتية — وفي عهد ابنه « أبو المجرا » (المجرع) Abul-Magra الذي يبدو أنه كان يبطن المسيحية حكم حتى « بتليس » وحدود الطارون ، الى أن دمرها « عيسى ابن الشيخ » . ومع هذا فان الأسرة لم تنقرض تماما الا في القرن العاشر الميلادي ، حين استولى جاجيك أردزونى على آخر موقع كان في يدها هذه الأسرة العربية في الجنوب الغربى من البحيرة (فان) ، لتضم أرزن الى ديار بكر^(٣) .

كذلك نجد من الاسرات العربية المستقرة في أرمينية الاسرة القيسية (أو القيسيين) ، والعثمانيين^(٤) بنو خزيم ، والجصافيين Jah'hafides وهي فيما يبدو فرع من القيسية عرب الشمال ، أو بصفة خاصة قبيلة سليم التي لا يعرف متى بدأت اقامتها في أرمينية .

ومما يذكر أن العثمانيين سيطروا في القرن التاسع الميلادي على مدينة « بيركرى » وحصن أميوك الواقع غربى

(١) Brosset : Ibid., P. 244 - 246 + Canard : P. 471 - 2.

(٢) Canard : Ibid., P. 472.

(٣) الطبرى : الام والملوك ج ٣ ص ١٩٩١

Laurent : Les Bagratuni Sout Goergie de la IX Siede P. 326.

(٤) نسبة الى عثمان بن عمارة بن خزيم ، الذى حكم أرمينيا خلال عام ١٦٦ هـ ، ١٦٧ هـ / ٧٨٣ م . راجع البلاذرى : انساب الاشراف . وفتوح ص ٢١٠ .

بحيرة (فان) ، الذى ظل فى يدهم حتى انتزعه منهم جاجيك الاردزونى فى مستهل القرن العاشر الميلادى ، ونجح فيما فشل فيه أسلافه أشوط ديرنيك . لكن سمباط البجراتى لم يرض عن هذا الاستيلاء وذلك لأن العثمانيين كانوا يدفعون له الجزية فى ذلك الوقت . وفى سنة ١٩٠٢ م كان العثمانيون ما يزالون يسيطرون على بيركرى ، وكانوا فى صراع ضد أمير منزيكرت (ملازكرد) ، التى كانوا منذ ثلاثين سنة مضت (منذ نحو سنة ١٨٧٢ م / ١٢٥٩ هـ) طغاءها ضد الملك الأرمنى أشوط الاردزونى . وفى الحملة التى شنتها أسرتا البجراتين والاردزرونيين — سنة ١٩٠٢ م ضد أمير منزيكرت سيد الابهونيك وقف أمير بيركرى العثماني فى جانب الأرمن وهو عثمانى عربى مسلم وهو مالم نعد نسمع عنه بعد ذلك شيئاً ، حيث انتقلت السيادة على بيركرى الى أيدي الأسرة الحاكمة فى منزيكرت (١) .

ومما يدل على أهمية حكام منزيكرت القيسيين (من بنى سليم) وتأثيرهم فى تاريخ تلك المنطقة ، فى السياسة البيزنطية ، انهم حظوا بعناية الامبراطور قسطنطين بورفيريوجنتس ، فى دراسته التى وضعها عن الامبراطورية البيزنطية بعنوان « ادارة الامبراطورية البيزنطية » وهى الدراسة التى اهتم بها المؤرخ مركفارت (٢) فيما بعد .

ومن المهم أن فنقل الاجزاء الرئيسية فى نص قسطنطين بورفيريوجنتس : حيث يقول : « انه قبل عهد اشوط البجراتى (٨٩٢ — ٨٩٠ م) أمير الامراء ، كانت المدن الثلاث : بيركرى (بزكرى بالعربية) وشليات Chiat (بالعربية خيلات) وأردزيس Ardzes (بالعربية ارجيش) فى يد العرب . لكنها كانت تابعة لملك أرمنيىة . وكذلك مدن طيبة Tibe وهى بالأرمنية «دوين» وبالعربية «دابيل»، وشرت Chert بالأرمنية : هير وبالعربية خوى ، خواى) ، وسلاماس Salamen والاخيرتان — أى خوى وسلاماس — تقعان فى اقليم اذربيجان . أما مدينة منزيكرت (مانزيكرت أو ملازكرد) فكانت

Canard : Ibid., P. 437.

(١)

Canard : Ibid., P. 474.

(٢)

في يد « ابي الورد » (بالافرنجية ابلكرت أو ابلبرت) — وهو « عبد البر » وهذا المراجع عند مركفارت وكان خاضعا لسيادة اشوط البجراطي . وقد منحه اشوط حكم مدن : شليات (خيلات) وأردزيس (ارجيش) وبيركرى (بركرى) ، فظل يحكمها ، ثم خلفه ابنه عبد الحميد بن عبد البر أو (أبو الورد) — وتسميه المراجع الاجنبية Abul Chamit — ثم خلف هذا ابنه « أبو سودة » ابن عبد الحميد بن عبد البر (أبو الورد) وهو أيضا الذى تسميه المراجع الاجنبية Aposebatas أى « أبو سودة »^(١) .

وبعد وفاة الملك انبجراطي « سمباط » سنة ٩١٤م ، تمكن « أبو سودة بن عبد الحميد بن عبد البر القيسى » (من بنى سليم) من الاستقلال بحكم وإدارة مانزيكرت ، وكل ما تحت يده من أملاك . وقد تعرضت أملاكه في عهده لهجوم ونهب الديمستيق (الديموستيكوس) البيزنطى ، في عهد الامبراطور البيزنطى « رومانوس ليكابينوس » (٩١٩ — ٩٤٤ م) ، نتج عنه خضوع أبو سودة وأخويه : أبا الأسود وأبو سالم (بالافرنجية أبو الشفت ، وأبو سالم) وقبولهم دفع الجزية للامبراطور ، الى جانب جزية أو ضريبة أخرى سنوية له ، تعبيرا عن هذا الخضوع واثباتا للولاء . وبذلك جمع أبو الأسود بين ولايتين : ولاء لبيزنطة ، وولاء للحاكم البجراطي ، الذى كانت المدن التى يحكمها أبو الأسود في نطاق اقليمه ، وهى المدن المذكورة سابقا مضافا اليها مدينتى « هرق » Hark (شركا) Charaka وكوريه Koré (الورك) Al-Warak^(٢) .

والجدير بالذكر أن قسطنطين بورغيموجينتس اعتبر — في كتابه — أن كل هذه المدن التى في يد القيسية ومسلاتهم ، ضمن أملاك الامبراطورية البيزنطية ليس فقط لأن أمراءها كانوا خاضعين سياسيا للامبراطور البيزنطى رومانوس ليكابينوس ، ولكن أيضا لأن سيدهم

(١) بورغيموجينتس : إدارة الامبراطورية ١٦١ ، ١٦٥ .

(٢)

الأول البجراطى (اثسود الثانى ٩١٤ — ٩٣٩م) كان تحت السيادة والحماية البيزنطية^(١) .

ثم يضرب بورفيروجينتس الى ذلك أن أبا الاسود ، أخا أبو سواده ، وابن عمه احمد (الذى لم يذكر اسم أبيه) (وتسميه المصادر الافرنجية انبسيوس) ، استوليا على « خيالات » (شليات) وارذريس (أرجيش) والتركية ، واعتزها بالسيادة للامبراطور البيزنطى مثلما فعل أبو الاسود من قبل^(٢) .

أما عن الأخ الآخر (أبو سالم) — أبو سلمس — فوضع يده على « تزيرمانترو » Tzermatzou^(٣) — أو بالأصح سرمانترو — الواقعة شمال غرب « هرق » ، والأراضى التابعة لها وخضع لسيادة الامبراطور — البيزنطى أيضا .

ولما مات « أبو سواده » خلفه ابنه « عبد الرحيم بن أبى سواده ابن عبد الحميد ابن عبد البر المقيسى » ، ثم خلفه من بعده عمه « أبو الاسود » ، الذى سيطر على الأمور فى مانزيكرت وأماكن أخرى ، ثم اعتقه أخوه أبو سالم^(٤) .

وكان لأبى سواده ابن آخر اسمه « أبو المعز » (وربما عبد المعز) . ولما لم يكن لأبى الاسود أبناء ، فإنه تبنى ابن عمه احمد .

بينما كان لأبى سالم (اخو أبو الاسود) ابن عبد البر الثانى أو (أبو الورد الثانى) . وقد حكم هذا فى مانزيكرت كما يذكر بورفيروجنتيس . بينما أبعد أبو المعز (عبد المعز) عن السلطة لحداثة سنه بعد وفاة والده « أبو سواده » وعمه « أبو الاسود »^(٥) .

Canard : Ibid., P. 474.

(١)

Canard : Ibid., P. 229.

(٢)

Canard : Ibid., P. 230.

(٣)

Canard : Ibid., P. 475.

(٤)

(٥) راجع قسطنطين بورفيرجنتس : ادارة الامبراطورية البيزنطية .

أما أحمد بن أبو الاسود (بالتبني) ، فتولى في عهد والده (بالتبني) حكم خيالات وارجيش والتريكية (ذات الجوز) ، واحتفظ بولاية هذه المدن في عهد أبو سالم ، مع استمراره في دفع الجزية للإمبراطور البيزنطي عن هذه المدن الثلاث . غير أن عبد البر الثاني ابن أبو سالم اغتاله واحتل المدن الثلاث ، التي طالب بها الإمبراطور البيزنطي مدعيا تبعيةها له .

والجدير بالذكر أن مؤرخي الأرمن زودونا بمعلومات عن هذه الأسرة القيسية . حيث يظهر عبد البر (أبو الورد) معاصرا للملك البجراطي اثنوطة الأول ٢٤٨ --- ٢٧٦ هـ كما ورد في كتاب تاريخي وضعه « توماس أردزروني » فذكر اسمه « ابلير » وأنه سيد الاباهونيك ومانزيكرت فيما بين سنتي ٨٦٨ و ٨٨٧ م (٢٥٤ — ٢٧٤ هـ) .

وفي مستهل القرن الرابع الهجري / القرن العاشر الميلادي (٣٨٩ هـ — ٩٠٢ م) ثار القيسيون (من بني سليم) على الملك سمبات البجراطي (٢٧٦ — ٣١٠ هـ — ٨٩٠ — ٩١٤ هـ) الذي كانوا يعترفون الملك الأردزروني المعاصر — حمله عسكرية أخمدت تمرد القيسية ، وان لم يتمكن من الاستيلاء على مانزيكرت . وقد سمي الكاتب المؤرخ توماس أردزروني هؤلاء القيسية باسم « أبناء عبد الرحمن » (١) .

وهو اسم لم نجده في تاريخ بورفيروجنتيس . ويعتقد ماركفارت انه

(١) يظهر اسم عبد الرحمن في نص لابن الأزرقي ، على أنه أبو شخص يدعى «أحمد» فينطبق على اسم أحمد الذي أورده قسطنطين بورفيرجنتس . لكنه لم يذكر اسم أبيه (والد عبد الرحمن) . ولما كان أحمد هذا قد ذكره بورفيرجنتس على أنه ابن عم « أبو لسفت » (عبد الحميد) ، أحد أبناء (ابن عبد البر) فاتنا نخلص من ذلك إلى أن عبد الرحمن هو ابن عبد البر وأخو عبد الحميد وهذا يدل أيضا على أن اسم عبد الرحمن كان شائعا في الأسرة . وان أحد الاجداد كان يحمل هذا الاسم . ومن ثم كان ورود اسم أبناء عبد الرحمن في تاريخ توماس أردزروني .
راجع :

يوجد خلط في الاسماء في تاريخ توماس أردزونى^(١) • أما عن القيسية في أرمنية بعد هذه الفترة فليست لدينا عنهم معلومات •

وليس هناك شك في أن مدينة بيركرى ، قد انتقلت الى أيدي القيسيين ، عقب ضعف سلطان الاسرة البجراتية ، بعد وقوع سلباط (٨٩٠ — ٩١٤ م) في يدى يوسف بن أبى الساج • كما لا يجب — في الواقع — أن نعطي أهمية لما أكده قسطنطين بورفيريوجنتس من أن الملك اشوط البجراتى ، منح أبا الورد (ابليرت) مدن بيركرى وخلات (شيلات أو خلاط) ، وأرجيش كاقطاعيات له • اذ لو افترضنا — جدلا — أن أشوط البجراتى كان في حالة تسمح له بهذا العمل ، فإنه كان من الاولى به أن يحتفظ بهذه المدن لنفسه ويتولى هو حكمها • ولكن يبدو أن بورفيريوجنتس أراد — بتأكيد هذا الأمر — أن يكشف عن رغبته في اظهار تبعية هذه المدن للامبراطورية البيزنطية قانونا • لانها كانت تابعة للمملكة البجراتية ، التى أصبحت منذ عام ٩١٥ م خاضعة أو تابعة للامبراطورية البيزنطية^(٢) •

وهكذا يتبين أن أبناء عبد الحميد أبو الورد ، كانوا معاصرين للامبراطور البيزنطى رومانوس ليكاينوس • (٣٠٦ — ٣٣٣ م ، ٩١٩ — ٩٤٤ م) ، وأنهم — بلا شك — قاموا بدور ما في عام ٢٨٩ م / ٩٠٢ م وكان « أبو الورد » الثانى يتولى الحكم ابان كتابة بورفيريوجنتس لتاريخه — أى بين عامى ٣٣٨ — ٣٤٢ م ، ٩٤٩ — ٩٥٢ م) •

وعلى هذا يمكن القول أنه في الوقت الذى تدخل فيه الحمدانيون في شؤون أرمنية ، كانت منطقة الأباھونيك ، والصفة الشمالية لبحيرة (فان) Van في أيدي القيسيين ، أى أيدي أمراء عرب تابعين بدرجة ما للملك البجراتى والامبراطورية البيزنطية •

أما الجحافيون (بنو جحاف) — ويشتركون مع القيسية في أصل قبلى واحد — فهم ينتسبون الى جحاف السلامى (من قبيلة سلام) ،

Canard : Ibid., P. 475 - 476.

(١)

Canard : Ibid., P. 476.

(٢)

الذى تزوج سيدة أرمنية ، هى ابنة الأمير موشغ الذى قتل فى تمرد سنة ٧٧٢م (١٥٥ هـ) الذى قام ضد العرب فى أرمنية • كما لعب دورا هاما فى أرمنية أبان عصر المأمون ، حيث ثار على واليه العباسى هناك ، واستولى على مدينة دوين مقر الحكم الاسلامى بأرمنية^(١) •

وقد بسط « جحاف السلامى وأبناؤه سيادتهم ، على اقليم شاسع يمتد من أرشارونيك (منطقة نهر الرس جنوبى بحيرة قارص) حتى بحيرة فان واقليم طارون • كما سيطر على مدينتى منزيكرت وخيلات • ويذكر المؤرخون العرب والأرمن بعض أبناء جحاف السلامى « بأسماء عبد الملك ، وعبد الله وعبد الحميد والد « سواده » ، الذى دان لخالد ابن يزيد بن يزيد الشيبانى ، فى أواخر حكمه ، الذى تعاون مع والى اذربايجان وأرمنية وقتذاك « ابو سعيد محمد بن يوسف مروازى (٢٣٥ هـ / ٨٤٩م) »^(٢) •

على أننا نفتقد الاثر التاريخى لهؤلاء الاشخاص فى أرمنية (فى أواسط القرن التاسع الميلادى / أواسط الثالث الهجرى) • فقد ذكر الطبرى ابن سواده — ويدعى جحاف فى حوادث سنة ٢٥١ هـ / ٨٦٥ م على أنه قائد للقوات الاسلامية فى ماضية Malytina • ويبدو أنه — فى هذه الفترة انتقلت الاقاليم التى كانوا يملكونها أو يحكمونها ، الى أيدي أسرة سلامى آخر ، لابد أنه كان من أقرباء أبو الورد (عبد البر) التى كان أبناؤها يحملون بنوع خاص اسم « القيسيين » ، لكن سوف نتبين أن هؤلاء الجحافيين ظلوا يملكون اقليما ما فى أرمنية ، حيث كان بعضهم على علاقة بسيف الدولة الحمدانى عام ٣٢٨ هـ ، دون ذكر أو تحديد للاقليم أو المدينة التابعة له^(٣) •

Canard : Ibid., P. 477.

(١) •

Canard : P. 477.

(٢)

Canard : P. 477 - 478.

(٣)

(ج) الممالك الأرمينية في مستهل القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) :

كان يوجد بأرمينية منذ القرن التاسع الميلادى (النصف الثانى منه بخاصة) مملكتان تعلوان على مختلف الامارات الاقطاعية الأرمينية هذا فضلا عن الامارات العربية الاسلامية التى كانت هناك فى نفس الفترة . وقد حاولت مملكتان أرمينيتان ممارسة نوع من السيطرة والسيادة على الامارات العربية الاسلامية آنذاك . هاتان المملكتان الأرمينيتان هما : مملكة التجارطة (الجراطيون) فى شمال أرمينية ، والمملكة الاردرزونية فى جنوب البلاد (١) .

ومن ناحية أخرى تعرض النفوذ العباسى — فى مستهل القرن التاسع الميلادى — فى اقليم القوقاز للزوال . وذلك بسبب التمرد الخطير الذى قام به اسماعيل بن شعيب أمير تفليس على عهد الخليفة العباسى هارون الرشيد (١٧٠ — ١٩٣ هـ) . هذه الثورة تم سحقها واخمادها بمساعدة أمراء الأرمن . كما شهدت سنة ١٩٧ هـ (٨١٣ م) حركة تمردية أخرى قامت فى مدينتى ديبيل (دوين) ويرذعه ، فضلا عن قيام المسلمين فى تفليس سنة ٢١٤ هـ (٨٢٩ م) بالتمرد ثانية على أميرهم وقتذاك محمد بن حطب . كما هزمت القوات العباسية فى مدينة كاختى Kakhti سنة ٢٢٦ هـ (٨٤٠ م) و ٢٢٨ هـ (٨٤٢ م) من جانب قوى أرمينية محلية ، وفى سنة ٢٢٩ هـ (٨٤٣ م) تمرد أمير تفليس ، ورفض السماح لقوات الخلافة العباسية بقيادة « بغا الكبير الشرابى » بالتدخل للقضاء على محاولة جعل مدينة تفليس مركزا لدولة اسلامية فى اقليم القوقاز (٢) .

أما عن الوضع بالنسبة للجانب البيزنطى ، فقد تأثر موقفهم بتفجر النزاع الدينى الأيقونى مرة أخرى ، فى نفس الوقت الذى كانت الخلافة العباسية تعاني من متاعب داخلية كثيرة . كما منيت بيزنطة

Allen, W.E.D. : Hist. of the Georgian People, P. 81 - 82.

(١)

Allen : Ibid., P. 82.

(٢)

حين حاولت التدخل في شئون بلاد الالبخاز بكارثة وهزيمة ملحقة
سنة ٨٤٢م (٢٢٨هـ) (١) .

ومع استمرار تدهور أوضاع كل من القوتين المتنافستين وقتذاك
(العباسية — والبيزنطية) ، برز البيت البجراطي رافعا لواء التمرد ،
معبرا بذلك عن تلك الروح الجبلية الصرفة لسكان أرمنية ذات الطبيعة
الجبلية الجافة . كما نصب آشوط الاردزروني نفسه ملكا على اقليم
الفاسيوراكان جنوبى بحيرة (فان) Van . أما باقى المناطق
الأرمنية ومعظم منطقة جورجيا فقد توزعتا أجنحة البيت البجراتى .
وكان أكثر أفراد هذا البيت عقلا وحكمة وشجاعة وحنكة ، فى مواجهة
أزمات القرن التاسع الميلادى المهددة بأرمنية ، هو آشوط البجراتى
امير شيراك Chirak الذى حقق نصرا على العرب الموجودين هناك ،
فعينه نبلاء الأرمن عليهم سنة ٨٨٦/٨٨٧م (٢٧٣ — ٢٧٤هـ) ملكا
ومنحوه لقب « ملك ملوك الأرمن » (أو شاهنشاه الأرمن)
Armen = Arkhôn Arkhonton Armenôn ويستمر ملكا على الأرمن
دون منازع حتى سنة ٨٩٠م (٢) .

والجدير بالذكر أن كلا من المملكتين الأرمنيتين كانتا من صنع
المسلمين أنفسهم ، الذين أرادوا — بمساعدتهم لاقوى وأكبر أسرتين
اقطاعيتين فى أرمنية — استغلال نفوذهما لصالح دولة الخلافة
العباسية . ولا غرو ، فقد باتت دولة الخلافة تشعر — منذ النصف
الثانى من القرن التاسع الميلادى أواخر القرن الثالث الهجرى —
بالحاجة الماسة الى مصانعة الأرمن ، لئلى تكسبهم — ولو بطريق غير
مباشر — الى جانبها فى صراعها ضد الروم ، الطامعين فى فرض نفوذهم
وبسط سيطرتهم على البلاد الأرمنية (٣) .

Allen : Ibid., P. 82.

(١)

Allen : Ibid., P. 82.

(٢)

Canard : Hist. de la Dynastie Hamdanides, P. 463.

(٣)

نفيمًا يتعلق بالملكة البجراتية (البجراتونية) ، قرر الخليفة العباسي المتوكل على الله سنة ٢٤٦/٢٤٧ هـ (٨٦١ - ٨٦٢ م) منح لقب « أمير أمراء أرمينية وجورجيا وبلاد القوقاز » لأحد أفراد هذه الاسرة وهو أشوط الأول Achût I بن سمباط Sombat . فلما رأت الامبراطورية ذلك ، قررت الرد على المبادرة العباسية تجاه البجارتة ، بمنح أشوط الأول نفسه لقب ملك Rex (١) .

ولقد سعت المملكة البجراتونية الأرمينية الفتية ، الى دعم نفوذها وسلطاتها ، على حساب كل من الامراء الأرمن ، والامراء العرب المسلمين المستقرين في مختلف مدن أرمينية وأقاليمها . وكان التوفيق حليف هذه الاسرة الملكية الاقطاعية . ذلك أن مدينة دوين Dwin أو دابيل Dabil عاصمة أرمينية الاسلامية ، اعترفت بسلطة وسيادة الملك البجراتي أشوط الأول بن سمباط (٢) .

غير أن الأمور لم تستقم على هذا الوضع . إذ حدث نوع من رد الفعل العنيف ضد تنمية أو تقوية نفوذ المملكة البجراتية في عهد سمباط بن أشوط الأول (٨٩٠ - ٩١٤ م / ٢٧٦ - ٣٠١ / ٣٠٢ هـ) . وكان رد الفعل هذا من جانب بنى الساج أمراء أذربيجان ، والقائد أفشين التركي ثم خليفته يوسف بن أبي الساج ، اللذين كانا يتوليان أمور أرمينية وأذربيجان ، مؤسسين بذلك أسرة حاكمة صغيرة شبه مستقلة عن الخليفة العباسي (٣) .

اتجهت سياسة كل من الأفشين بن مازيار التركي ، ويوسف ابن أبي الساج نحو تشديد القبضة على أرمينية ، وذلك دون التقيد بالالتزامات المتفق عليها بالنسبة للأرمن منذ بداية العصر الاسلامي بها ، وهي الالتزامات التي طالما أوفى بها أسلافهما (٤) . وكان يوسف

Laruent : Les Bagratuni sont en Georgie de le IX Siecle, (١)

P. 128, 287/8, 282 + Runciman, Romanus Lepapenus, P. 152.

Runciman : Ibid., P. 152 + Laurent : Ibid., P. 282. (٢)

Laurent : Les Bagratuni, P. 282 + Runciman : Ibid., P. 152. (٣)

Canard : Hist. de la Dynastie Hamdanides, P. 464. (٤)

ابن أبي الساج كثيرا ما يخرج على طاعة الخليفة العباسي . وانتهى الأمر بأن وقع سمباط ابن أشوط الأول (٨٩٠ — ٩١٤ م / ٢٧٦ — ٨٣٠ هـ) . أسيرا في يد يوسف ابن الساج سنة (٩١٤/٨٣٠ م) ، الذي لم يلبث أن أعده بعد تعذيبه (١) .

اعتلى أشوط الثاني بن سمباط « التعيس » عرش أبيه بعد مقتله سنة ٩١٤ م ، وتولى حكم أرمينية باسم الجارطة فيما بين سنتي ٩١٥ م ، ٩٢٩ م — (٣٠٢ — ٣١٦ هـ) . لكنه لم يتمكن من بسط سيطرته الملكية على كل الأراضي الأرمينية ، وذلك بسبب قيام أحد اقربائه الأسبارايت (القائد العام) أشوط ، بالسيطرة على جزء من أرمينية بمساعدة يوسف بن أبي الساج ، الذي ألبسه التاج الملكي ، ونصبه ملكا على أرمينية في دوين حاضرة الحكم الاسلامي هناك ، وذلك لكي يضارب به أشوط الثاني (٢) .

انصرف يوسف بن أبي الساج — بعد تتويج القائد العام أشوط ، أحد أقارب الملك الجارطي أشوط الثاني بن سمباط التعيس — باهتمامه لحسم الموقف مع الخلافة العباسية . اذ خرج محاربا جيش الخلافة في اقليم الجبل . وعندما تم أسره سنة ٣٠٧ هـ (٩٢٠ م) وسبق مكبلا الى عاصمة الخلافة (بغداد) حل محله في عمل أرمينية عامله ومولاه سبك Subuk — بالأرمينية Spuk ومع هذا لم يتمكن أشوط الثاني من السيطرة على دوين عاصمة الحكم الاسلامي في أرمينية (٣) . لم يمكث يوسف بن أبي الساج في أسره بدار الخلافة أكثر من ثلاث سنوات ، اذ عاد بعدها سنة ٣١٠ هـ (٩٢٢ م) الى عمله في أذربيجان ، حيث اطلقت الخلافة العباسية سراحه بعد تفاهم ما تم بين الطرفين (٤) . اذ يبدو أن دولة الخلافة رأت وقتذاك من المفيد مصلحة يوسف بن أبي الساج ، والاعتراف بسلطانه على ما تحت يده من

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٤٥ . Defremery : art. :

Sajides : Ency. of Islam, Vol. IX, P. 369, 409 +

Laurent : Ibid., P. 268 + Runciman : Ibid., P. 152/3.

Defremery : Ibid., TX, P. 409.

(٢)

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٤٥ — ٢٤٦ و

Canard : Hist. de la Dynastie Hamdanides, P. 465.

(٤) احمد المسعود سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ج ١ ص ٢٦٧ .

بلاد ، ومنحته مزيدا من السلطات في ادارة ما تحت يده من بلدان وأقاليم ، وذلك مقابل قيام يوسف بن أبى الساج بمهمة صد خطر القرامطة عن دولة الخلافة . ومما يؤكد ذلك أنه بعد نحو أربع سنوات من عودة يوسف بن أبى الساج الى دوين كلفه الخليفة العباسي (المقتدر ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ) ٣١٤ هـ - بمحاربة القرامطة . فينفذ ابن أبى الساج ما كلف به ، ويغادر اذربيجان لهذا الهدف ، لكنه لم يعد اليها ابدا بعد ذلك ، لأنه قتل سنة ٣١٥ هـ (٩٢٨ م)^(١) .

ومن ناحية أخرى فقد تمكن أشوط الثاني بن سمباط التقيس من احلال الهدوء والأمن في البلاد الأرمنية ، التي كانت خاضعة لسلطانته . كما تمكن من عقد الصلح مع الأمراء الأرمن ، بحيث اعترف له خصومه وأنداده - وبخاصة أمراء أسرة أردزونى - بالسيادة عليهم^(٢) .

ويبدو أن المملكة البجراطية في عهد أشوط الثاني ، لم تنشط كثيرا بخليفة يوسف بن أبى الساج ، حيث ظلت دوين في دائرة النفوذ الاسلامي ، تحت حكم واليها العربي المسلم نصر السبكي Nacr Subuki أحد غلمان سبك فيما يرجح - ثم مات أشوط الثاني سنة ٩٢٩ م (٣١٦ هـ) ، ليخلفه أخوه عباس (أباز) Abas في حكم أرمنية لمدة ثلاثين عاما (٩٢٩ - ٩٥٨ م)^(٣) .

وفي عهد عباس ابن سمباط التقيس (٩٢٩ - ٩٥٨ م) عاشت المملكة البجراطية ازهى وأقوى فترات حياتها ، حيث اعتبرت أقوى سلطة في أرمنية ، وذلك على الرغم من أن رئيس هذه الأسرة - الملك عباس - لم يتمتع بسلطة ملكية حقيقية على كل أرمنية . اذ كان عليه

(١) Derfermery : Sajides. Ency. of Islam IX, P. 409 +
Canard : Ibid., P. 465.

(٢) Runciman : Romanus Lecapenus 132 - 15 + Laurent
Les Bagratuni, P. 292.

(٣) Canard : Hist. de la Dynastie des Hamh., P. 465 No. 206.

وينكر جروسية ان ابا (عباس البجراطي) توفي . حوالى عام ٩٥٢ م أو ٩٥٣ م مستندا على رواية ازوليك . راجع :
Grousset : Hist. de la Armenie, P. 478.

مراعاة واحترام نفوذ الاسرة الملكية الاقطاعية الارمينية الاخرى • وكانت فترة حكم عباس هذه معاصرة لكل من ناصر الدولة وسيف الدولة الحمدانيين • كما اتسمت الى حد ما باستمرار وجود نوع من الفوضى الاقطاعية — سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة — بفعل الأمراء الاتباع أو الاحلاف الأرمن • وقد شملت هذه الفوضى مناطق: تروبيران Turuberan — فيما عدا منطقة الاباهونيك — ومنطقة حوض نهر الرس الاعلى والأوسط ، والبانيا الغربية ، بين نهري كز (كور) ، والرس Arax — وشمالى أرمينية^(١) •

كذلك كانت لاباز (عباس) سيادة أسمية فقط على منطقة جورجيا — أى منطقة تفليس Tiphlis وكور العليا — ، والطايق Taig — (أى المنطقة الشرقية لتشوروخ الوسطى ، حيث يحكم هناك أحد فروع الأسرة البجراطية) ، كما شملت سلطته منطقة الطارون Taron التى كانت فى يد بعض أفراد الأسرة البجراطية كذلك^(٢) •

وكان حاكم منطقة جورجيا يذكر اسمه عادة مع لقب كوربولات Curopolate أى حاجب البلاط — الذى كان يمنحه له الامبراطور البيزنطى • وبعد وفاة الكوربولات اترنرسيه الثالث Aternerseh III فى عام ٩٢٣ م — خلفه ابن عمه «اترنرسيه الرابع» على حكم منطقة جورجيا حتى عام ٩٤٥ م ، ثم اعتقه ابنه أشوط الثانى بن اترنرسية الرابع ، الذى مات عام ٩٥٤ م^(٣) •

ومن ناحية ثانية كان أمير اقليم طارون — فيما بين ٩١٤ و ٩٣٦ م (٩١٤ — ٩٢٩ م) فى عهد اخيه وخليفته (٩٢٩ — ٩٥٨ م) —

Canard : Ibid., P. 465-466 No., 207.

(١)

Canard : Ibid., P. 466.

(٢)

(٣) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٦٥ والبلاذرى : فتوح

ص ١٩٤ و

Brosset : Hist. des Ardzrounis, P. 191, N. 3 + Hist. de la georgie I, P. 280 + Runciman : Romanus le Lecapenus P. 167/1 + Laurent : Bagratuim, P. 99.

هو جريجوريك — أو كريكوريكوس — الذى مات فيما يرجح قبل عام ٩٣٦ م ، فقسمت — بوفاته — منطقة جورجيا بين كل من ابنه الأكبر طورنيق Torniq ، وابن ابو غانم Apoganem أخى جريجوريك^(١) .

لقد كان أمراء طارون Taron — شأنهم شأن سائر أمراء أرمينية — على علاقة وطيدة ببيزنطة + ويبدو أن جريجوريك كان قد تنازل عن حقوقه اسميا في ذلك الاقليم بالاعتراف بالسيادة الاسمية للامبراطور البيزنطى ، وذلك مقابل تلقيه معاشا شهريا بصفته السابقة حاكم اقليم الطارون Magister Stratege ، بينما ، احتفظ فعلا باستقلاله^(٢) .

وتمشيا مع هذا التصرف من جريجوريك فقد منح الامبراطور البيزنطى لقب حاكم — استراتيجوس — لبجارات بن جريجوريك أما أشوط Achot الابن الطبيعى لجريجوريك ، فمنحه الامبراطور لقب بطريق Patrice ولما كان كل من الأخوين أشوط وبجارات ابنا جريجوريك يطمعان في نصيب ابن عمهما طرنيق (تورنيك) Torniq في الميراث ، لذا قرر أشوط التنازل للامبراطور عن اقليمه الواقع في القسم الغربى من الطارون ، مقابل الاقامة في القسطنطينية عاصمة الامبراطورية . لكن المنية عاجلت تورنيك قبل سفر أشوط الى العاصمة البيزنطية^(٣) .

وبهذا يكون الجو قد خلا لكل من باجارات وأشوط ، لكى يستوليا على ممتلكات (طورنيق) Torniq وذلك بالتنسيق والاتفاق مع الامبراطور البيزنطى ، مقابل تنازلهما عن منطقة اوغنوت Oghnut وما جاورها في الحد الغربى من اقليم طارون + ويبدو أن حكم باجارات لاقليم الطارون استمر حتى عام ٩٤٠ م فقط ، ثم خلفه أخوه

Canard, Hist. de la dynastie de Hamd., P. 466/467.

(١)

Canard : Ibid., P. 467.

(٢)

Brosset : Hist. des Ardzrounis, P. 101, No. 3.

(٣)

أشوط الذي مات عام ٩٦٦/٩٦٧ م حيث آل اقليم الطارون بعده الى الادارة البيزنطية مباشرة^(١).

أما فيما يتعلق بالملكة البجراتية نفسها ، فقد كانت هناك علاقات بين أباز (عباس) والحمدانيين • وبالنسبة للعلاقات بين بنى الساج وأباز في أذربيجان فلم يتوافر لنا قدر كاف من المعلومات • وان كان من الثابت أن أمراء بنى الساج — حكام أذربيجان — كانوا يرون بناظرهم الى أن تصبح أرمنية كلها تحت سيطرتهم ومع ذلك لم تستمر دوين — عاصمة الحكم الاسلامي في أرمنية — في يد أمير عربي واحد كما كان قبلا^(٢).

ففى سنة ٣١٩ هـ (٩٣١ م) قام القائد المسلم « مفلح الساجى » غلام يوسف ابن أبى الساج — سيد أذربيجان — بحملة انتقامية ضد الروم ، والأرمن الموالين لهم ، عقابا لهم على حملتهم التدميرية ضد المسلمين المقيمين في منطقة بحيرة (فان) Van ، أو Wan وهذه الحملة هى التى أصبح بعدها مفلح سيد أذربيجان دون منازع^(٣).

هذا فى الوقت الذى كانت بيزنطة ، قد بدأت طورا جديدا من أطوار المواجهة مع المسلمين ، وذلك بتولى رومانوس ليكابونوس Romanus Lecapenus الحكم (٩١٩—٩٤٤ م) • وان كانت توليته أعقبها على الفور تغيير ملحوظ فى الموقف على الجبهة الاسلامية ، خاصة وان الحرب بين البلغار والروم ظلت مضطربة بعض الوقت • وايا كان الأمر فلم يكن حظ الروم فى البداية سوى هزائم متتالية ، فيما عدا انتصار بحرى أحرزه أسطولهم ضد القائد المسلم أبو الحارث غلام ظرافه المنطلق بقواته البحرية من طرابلس حول سنة ٣٠٩ هـ (٩٢١/٩٢٢ م) •

(١) البلاخرى : متوج البلدان ص ١٩٤ و

Brosset : Hist. de la Georgie, I, P. 280 + Runciman : Ibid, P. 167/8.

Canard : Hist. de la Dynastie des Hamdanides, P. 468.

Canard : Ibid, P. 468.

(٢)

(٣)

هذا ، فضلا عن محاولة بيزنطية فاشلة ، كانت قد جرت في أرمنية في انعام التالى لتولى رومانوس ليكابينوس العرش — أى سنة ٩٢٠ م — لانتراع دوين Dwin — المدينة الاسلامية في أرمنية — من يد حاكمها سبك Subuk غلام يوسف بن أبى الساج^(١) .

ولقد أظهرت هذه المحاولة اهتمام الامبراطور الجديد رومانوس ليكابينوس — الأرمنى الأصل — بشئون أرمنية اهتماما خاصا ، فضلا عن اهتمامه بصفة عامة بالحدود الشرقية للامبراطورية البيزنطية، وذلك على الرغم مما يحدق بدولته — من أخطار من جهة الغرب^(٢) . واستمرت الحملات العربية الاسلامية تنطلق برا من ملطية ، وبحرا من طرسوس ، كان منها حملة قادها القائد ثمال (ثمل) الطرسوسى Thamaï فى عام ٣١١/٣١٢ هـ (٩٢٣-٩٢٤ م) . وهى الحملة التى اتصل خلالها الطرسوسيون والبلغار ، الذين ركب بعضهم سفن المسلمين وعادوا معهم الى طرسوس^(٣) .

والجدير بالذكر انه كان هناك فى ذلك الوقت (أوائل القرن الرابع الهجرى) ثمة مشروع لتحالف بلغارى — اسلامى ، سعى البلغار الى تحقيقه فى القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) ، حين فكر الملك البلغارى ذو البأس سيميون ، فى غزو القسطنطينية عاصمة الروم ، متطلعا الى تنصيبه ملكا (قيصر) للبلغار والروم معا^(٤) . ولما كان من العسير — ان لم يكن مستحيلا — غزو القسطنطينية برا ، لذلك احتاج

(١) ابن الأثير : الكامل : حوادث ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق حوادث ٣١٠ — ٣١٢ هـ .

(٣) المسعودى : مروج الذهب ١٦/٢ — ١٨ وابن الأثير : الكامل : ج ٨ ص ٤٥ حوادث ٣١١ ، ٣١٢ هـ ، على انه ليس من المعروف ما اذا كان هؤلاء البلغار هم بلغار سيميون حسبما يرى فازلييف وكتراد ، أم أنهم بلغار الفولجا كما يرى آخرون مستندين فى ذلك الى رواية المسعودى . وما اذا كانت ثمة مفاوضات قد جرت بين الطرفين للتحالف ضد الروم أم لا ؟ راجع : المسعودى نفس المصدر والصفحة .

Vasiliev : Byz et les Arabes II, P. 222 + Canard : Arabes et Bulgares, P. 213 + Runciman : Romanus Lecapenus, P. 90 No. 3, P. 116-117.

(٤) صابر دياب : أرمنية ص ١٥٤ .

سيمون — لتنفيذ فكرته ، الى عون بحرى فعال ، وهو ما حاول الحصول عليه من الفاطميين في بلاد المغرب ، فضلا عن بعض عرب المشرق . لكنه لم ينجح في مساعاه لأن سياسة بيزنطة كانت تركز جهودها على الحيلولة دون لقاء البلغار في تحالف مع الفاطميين أو التعاون معا ضدها ، لادراكها خطورة مثل هذا التحالف أو التعاون لو تم^(١) .

وقد حدثنا المؤرخ كنارد^(٢) — نقلا عن كدريوس Cedrenus — عن مشروع التحالف البلغارى الفاطمى . لكن من المؤسف حقا ان المؤرخ كدريوس لم يحدد لنا زمان أو تاريخ حدوث هذه المفاوضات أو الاتصالات البلغارية الفاطمية التى أجريت للتفاوض لعقد التحالف . وانما اكتفى بقوله فقط ان سيمون البلغارى كان تواقا الى غزو القسطنطينية والاستيلاء عليها . فأوفد بعثة دبلوماسية الى ملك الافريقيين (يقصد الفاطميين) في هذا الشأن^(٣) . غير ان هذه المساعى البلغارية باءت بالفشل ، لوقوع البعثة البلغارية والوفد الفاطمى معا في قبضة احدى سفن الأسطول البيزنطى — عند عودة البعثة الى بلادها — وأسرههم ، ثم أطلق الروم سراح الفاطميين — اصطناعا لخليفتهم ودولتهم — مما كان له أثره الطيب في نفس الخليفة الفاطمى وقتذاك . وبذلك تكون قد فشلت المحاولة البلغارية للتحالف مع احدى القوى الاسلامية لضرب الروم في عقر دارهم ، مما لم يجد معه سيمون بدا من اظهار المسالمة — مضطرا — للروم والاتفاق معهم على وقف الغارات .

(١) صابر دياب : ارمينية ص ١٥٤

Canard : Arabes et Bulgares, P. 214 +

Canard : Ibid., P. 215.

(٢)

(٣) من المحتمل ان يكون هذا الاتصال تم بين البلغار والفاطميين حول سنة ٣١١ هـ (٩٢٣ م) أى في خلافة عبد الله المهدي (٢٩٦ — ٣٢٢ هـ)

Canard : Ibid., 215, 16, 20, 22.

راجع :

وكان سيميون البلغارى قد احتل عام ٣١١ هـ (٩٢٣ م) مدينة أندرينبول البيزنطية ، ثم اضطر لاختلائها ، حتى يتفرغ لمواجهة ثورة كانت قد نشبت وقتذاك فى منطقة الصرب Serbia . وفى عام ٩٢٤ م (٩٣١ هـ) ثم لقاء بين كل من الامبراطور رومانوس ليكابينوس وسيميون البلغارى ، تحت أسوار عاصمة الروم (القسطنطينية) . وهذا اللقاء وان لم ينته الى نتائج سريعة ملموسة ، الا أنه أسفر عن تجمد الموقف فى الجبهة البلغارية — البيزنطية حيث توقفت الحروب فيها وقتيا^(١) .

على أن الموقف تحسن — بعد ذلك — بين الروم والبلغار ، بعد وفاة سيميون وتولية ابنه بطرس أمر الأمة البلغارية . اذ عقد بطرس معاهدة صلح مع بيزنطة سنة ٩٢٧ م (٩٣٥ هـ) . وفى نفس الوقت فان ما نجم عن هذه المعاهدة من توقف الهجوم البلغارى ، جعل الامبراطور رومانوس يلقي بثقله على الجبهة الشرقية معطنا الحرب ضد المسلمين المجاورين لحدود امبراطوريته من جهة الشرق (بلاد الجزيرة والشام وأرمينية) . وكان مما هيا الجو لهذا الاتجاه تعيين يوحنا كوراكوس Jean Domestias Corcuas — القائد البيزنطى الأرمنى الأصل — قائدا عاما « دمستق » للقوات البيزنطية آنذاك^(٢) .

وهكذا نجد أن رومانوس الأول ليكابينوس (٩١٩-٩٤٤ م) واصل سياسة بيزنطة العدائية تجاه المسلمين ، مما مهد الطريق للانتصارات التى أحرزها الروم فى النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) . وقد عاونته فى هذا السبيل هؤلاء القادة الروم ، الذين كانوا من أصل أرمنى مثل الامبراطور نفسه . اذ وجه هؤلاء القادة اهتمامهم صوب كل من اقليم الجزيرة (الميزوبوتاميا) وأرمينية وكان من أبرز هؤلاء القادة : ملباس Melias^(٣) — ملبخ الأرمنى عند العرب ، وكان قائدا (استراتيجوس) وحاكما للواء ليكاندوس Lycandus

Runciman : Romanus Lecapenus, P. 112-115. (١)

Canard : Hist. de la Dyn. de Hamd., P. 726, 727. (٢)

(٣) عن ملبخ الأرمنى : (ملباس) راجع .

Gregoire : dans Byzantion, S. 1933. PP. 53-57.

Grousset : Hist. de la Armenie, P. 477- 478.

وصاحب الدروب • هذا فضلا عن يوحنا كوركواس (جورجين) قائد اقليم الاسكول Scholes اعتبارا من سنة ٩٢٣م (٣١١ هـ) ، وأخوه تيوفيل Theophile استراتيج (حاكم) لواء خالديا (كالديا أو كلديا) وهو جد يوحنا ترمسكيس • وكان يوحنا كوركواس خاصة ، هو صاحب الفضل الأول في اتساع الامبراطورية وامتداد أطرافها تجاه الشرق • مما جعل المؤرخين البيزنطيين يسمونه « شبیه تراچان » أو بليزاريوس القائد المحنك^(١) .

وعلى الرغم من أن الحكام العرب أوقعوا ببيزنطة — أثناء تولي يوحنا كوركواس قيادة قواتها — بوجه عام — ضربات قاصمة ، وتوغلوا في إحدى حملاتهم حتى عمورية Amorium وأنقرة^(٢) ، فإن انتصاره عزز — بوجه عام — موقف الروم ، وجعلهم يصمدون في وجه المسلمين الذين نالت الخلافت من قوتهم ووحدتهم • هذا فضلا عن ما أصاب الخلافة العباسية والسلطة المركزية للدولة من تدهور وانحيار • فالقرامطة يتهددون العراق وعاصمتها بغداد^(٣) ، وثورات الأمراء ، واضطرابات القصر الخليفة ، كل ذلك ساعد جيوش الروم ، وأجهد القوة الإسلامية وشل فعاليتها وقدرتها على العمل تجاه عدو شرس^(٤) .

نفى بداية عام ٣١٤ هـ (٩٢٦م) بدأ هجوم الروم على الثغور والعواصم الإسلامية ، مدركين مدى الضعف الذي كان المسلمون يعانونه • وقد أئذر المسلمين — قبل الهجوم — طالبا أن يدفع مسلموا الثغور السامية لبيزنطة الضريبة إذا أرادوا ألا يخرب بلادهم • فلما رفض العرب ، دخل الروم بقيادة مليح Melch الأرميني ضواحي مدينة ملطية ، وخربوها ما جاورها من قرى ورساتيق • مما دفع السكان إلى إرسال وفد لبغداد طالبا للنجدة ، دون جدوى • وذلك بسبب انشغال

Canard : Hist. de la Dynastie, P. 731, No. 33.

(١)

(٢) ابن الأثير : الكمل حواشي ٣١٩ هـ (عن ثمال وحملته الناجدتين) .

(٣) ابن مسكويه : تجارب ١٤٥/١ — ١٤٦ وعريب : صلة ١٢٣ وابن الأثير : حواشي ٣١٢ هـ ، المسعودي : حواشي سنة ٣١٣ هـ .

(٤) ابن مسكويه : تجارب ١٥٩/١ .

العباسيين بالخطر القرمطي ، الذي لم ينتهى الا فى عام ٣١٦ هـ (بداية ٩٢٨م)^(١) .

كذلك قام الروم — بعد ابرامهم معاهدة الصلح مع البلغار عام ٩٢٧م (٣١٥ هـ) بهجمات متواصلة على المنطقة الوسطى من الحدود العربية البيزنطية ، فضلا عن الحملات التى أرسلوها الى أرمينية لمساندة الأرمن ، فى محاولة من الادارة البيزنطية لاحتذابهم للسيادة البيزنطية والولاء للامبراطورية ، كما كان الهدف من هذه المساعدات — الى جانب ذلك — أن يجعلوا من الأرمن مصدر خطر وتهدد دائم لشمال اقليم الجزيرة (ما بين النهرين) أو الميزوبوتاميا ومنطقة (هنزيط) L'Anzitene وحصن زياد ، وشميشاط Chimchât ومنطقة سمسطه Samosata جنوبى ملطية فى نفس العلم ٣١٥ هـ (٩٢٧م)^(٢) .

وفى العام التالى (٩٢٨م / ٣١٦ هـ) حاول الروم بقيادة مليح (ملياس Melias) الأرمنى الاستيلاء على مدينة ملطية ، ولكن دون جدوى . وأصبح الوضع حرجا سنة ٣١٧ هـ (٩٢٩م) — بالنسبة لكل من ملطية وآمد وأرزن وميافارقين ، لعدم حصول اهاليها على مايدعم صعودهم امام الهجمات البيزنطية الملحة والمحتملة بقيادة « مليح الأرمنى » . ولحل ذلك الوضع أدركه جيدا القائد البيزنطى فزحف سنة ٣١٨ هـ (٩٣٠م) على منطقة سمسطه فى اقليم الجزيرة^(٣) .

ومن ناحية أخرى كان الوضع مختلفا الى حد ما فى جبهة الثغور الشامية . ذلك أن أهل طرسوس Tarsioses شنوا حملتين — ضد الروم فى عامى ٣١٤ — ٣١٥ هـ (٩٢٦ / ٧ — ٩٢٧م) فشلت احدهما ونجحت الأخرى . كما شنوا حملتين اخرتين سنة ٣١٩ هـ (٩٣٢م) بقيادة ثمال Thamel الطرسوسى : احدهما كانت فى الربيع ، والأخرى

Canard : Ibid., P. 732.

(١)

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق حوادث ٣١٥ هـ وابن مسكويه : نفس المصدر والصفحة .

Canard : Hist. de la Dynastie, P. 732/733.

(٣)

في الصيف ، فضلا عن حملة شنّها بعد ذلك بقليل سعيد بن حمدان بن حمدون (١) .

ومما يروى ان الروم تمكنوا سنة ٣١٩ هـ (٩٣١ م) من احتلال مدينة ملطية للمرة الأولى (٢) . وان كان تحديد هذا التاريخ غير مؤكد بصفة قاطعة . ذلك ان رواية ابن الأثير توضح ان أبا العلاء سعيد بن حمدان تولى في هذا العام (٣١٩ هـ / ٩٣١ م) حكم الموصل وديار ربيعة ، ثم تلقى أمرا من الخليفة المقتدر العباسي (٢٩٥ — ٣٣٠ هـ) باستعادة المدينة (ملطية) التي كان قد اخذها الروم . وهو ما يفهم منه أيضا ان المدينة استسلمت ليوحنا كوركواس قبل هذا العام ، أي في العام السابق مثلا (٣١٨ هـ / ٩٣٠ م) (٣) . فيقول ابن الأثير أن « غسائر الروم سارت الي سميساط (شميشاط) فحصروها ، فاستصرخ أهلها بسعيد بن حمدان » والى الموصل وديار ربيعة ، الذي اشترط عليه الخليفة — العباسي — المقتدر بالله (٢٩٥ — ٣٣٠ هـ) عند توليته ، أن بغزو الروم ، ويستنقذ منهم ملطية ، التي كان أهلها قد ضعفوا ، فصالحوا الروم ، وسلموا مفاتيح البلد اليهم ، فحكموا على المسلمين (٤) .

تجهز سعيد بن حمدان وسار الى سميساط لاجلاء الروم عنها . فلما قاربها هربوا الى ملطية ، التي كان بها جمع من الروم ، وعسكر القائد البيزنطي مليح الأرمني (ملباس) يؤازره بناي بن نفيس البزارج على الخلافة العباسية ، الذي تمرد على المقتدر وتصر اثناء

(١) عريب القرظبي : صلة الطبري ص ١٤٦ و

Vasiliev : Byz. et les Arabes P. 230, 232.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٢٠ و

Canard : Hist. de la Dyn. P. 733 No. 40.

(٣) كانت ملطية تحت سيطرة حامية بيزنطية ومتمرد عربي يدعى « بناي بن نفيس » الذي كان قد فر من بغداد بعد فشل انقلاب على الخلافة اشترك فيه سنة ٣١٧ هـ . راجع : ابن الأثير حوادث ٣١٧ هـ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٢١٧ (حوادث ٣١٩ هـ)

مقامه مع الروم • فلما أحس الروم بمقدم سعيد بن حمدان اليهم وهم في ملطية ، خرجوا منها ، « خشية ان يدركهم سعيد وعسكره من خارج المدينة ، ويثور أهلها في الداخل على الروم فيهلكوا ، ففارقوها » ودخل سعيد بن حمدان ملطية ، ثم استخلف عليها أميرا ، وعاد منها الى غزو بلد الروم وكان دخوله بلد الروم في شوال سنة ٣١٩ هـ ، حيث قدم بين يديه سريتين تمكنتا من العسكر البيزنطى في البلد ، فقتلوا منهم خلفا عظيما قبل دخوله اليها « (١) •

وقد أورد أبو فراس الحمدانى في احدى قصائده ثلاث اشارات بشأن حملة سعيد بن حمدان هذه على الاقليم البيزنطى • وتعطينا احدى هذه الاشارات أو التعليقات تأريخا للحملة بأنها كانت سنة ٣٢٩ هـ (ولكن صحته ٣١٩ هـ حيث توفي سعيد بن حمدان سنة ٣٢٣ هـ) اما التعليق الثانى — وهو خنو من أى تاريخ — فيبين أن سعيد بن حمدان قام من ملطية وفي صحبته سيف الدولة ، وأنه وصل الى ليكاندوس (لوقاندو Lugandu) وسمندو Samandu أو ترامندوس ، والصفصاف Ao-Cafeat ووادى صبور • وعلى الرغم مما قيل فى شأن هذه الحملة من أنها انطلقت من حلب — وهو أمر مستحيل بالنسبة لتاريخ وفاة سعيد بن حمدان وهو سنة ٣٢٣ هـ — ، الا أن من الراجح جدا ان تكون هذه العملية هى عملية سنة ٣١٩ هـ • أما التعليق الثالث فيذكر فقط مرور سيف الدولة مع عمه سعيد بملطية عام ٣١٨ هـ (والصحيح ٣١٩ هـ) (٢) • وهذا بلا شك كان أول عمل يشترك فيه سيف الدولة ، وكان عمره وقتها ١٥ عاما (خمس عشرة سنة فقط) •

أما الرواية الاغريقية التى يوردها كنارد فتؤكد على حقائق

(١) ابن الاثير : المصدر نفسه ٢١٧/٦ — ٢١٨ ، وابن حوقل صورة

الارض ص ١٢٠ ، و

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 733 No. 40.

وسيستولى الروم على ملطية ثانية ٣٢٢ هـ بواسطة يوحنا كوركواس ، وتبقى فى يدهم حتى عام ٣٨٩ هـ (١١٠١ م) كما سيتضح فيما بعد •

(٢) أبو فراس الحمدانى : ديوانه (نشر الدهان) ص ١٣٦ ونسخة

برلين ورقة ٣٧ •

أخرى ، أهمها أن أمير ماطية العربى المسلم « أبو حفص » Apochaps من ذرية عمرو بن عبيد الله الاكتع ، ومعاونه أبو الصلت دخلوا في مفاوضات مع يوحنا كوركواس ، لأنهما شعرا — فيما يبدو — بأن بغداد لا تعنى بهما . وان يوحنا كوركواس احتفى بهما ، وأرسلهما الى القسطنطينية ، حيث عقدا معاهدة تحالف رسمية مع الامبراطور البيزنطى رومانوس الأول ليكابينوس (٩١٩ — ٩٤٤م) — الذى شارك قسطنطين السابع بورفيريوجنتس الحكم ٩١٣ — ٩٥٩م — وقد عاد بعد عقد المعاهدة الى بلدهما ، حيث حاربا في صفوف القوات البيزنطية . ثم ظهرا في القسطنطينية كمنتصرين يقودان أسرى المسلمين . وان المعاهدة ظلت سارية حتى مات أبو حفص فنقضها أهالى ملطية . كما يذكر كنارد أنه ليس من المؤكد ماذا كان الموقع الذى حرره سعيد بن حمدان قبل ملطية هو شمشاط أم لا (١) .

على أى حال ، لقد تخلصت ملطية من الروم مرة أخرى . ومن المحتمل أن يكون الروم قد قاموا — بعد قليل — بمحاولة جديدة لغزو المدينة . ففي سنة ٩٣٠م (٩٣٣م) حين كان مؤنس الخادم في الموصل — متمردا على الخليفة العباسى — علم ان الروم يزحفون على ملطية ، فأتصل مؤنس بنائى بن نفيس الذى بقى على صلة طيبة بالروم . فاقنعهم بنائى بالكف عن الهجوم تلك السنة (٢) .

ثم عاود الروم محاولتهم لغزو ملطية سنة ٩٣٢م/٩٣٤م بقيادة القائد البيزنطى — الأرمنى الأصل — يوحنا كوركواس ، الذى صاحب معه القائد مليح الأرمنى أيضا وجنوده الأرمن ، وكان جملة تعداد قوات كوركواس حول خمسين ألف مقاتل . وفي البداية حاربت حامية المدينة مدافعة عنها خارج أسوارها ، ولكن كثافة الجند البيزنطى اضطرتهم الى الانسحاب والتحصن داخل المدينة لتقع بعد ذلك تحت حصار شديد للروم ، ترتب عليه وقوع مجاعة بين أهلها وانتهى

Canard : Hist. de la Dynastie des Hamdanides, P. 734-735. (١)

(٢) مريب : صلة الطبرى ص ١٧١ .

الأمر باضطراب حامية المدينة الى التسليم في غرة يوم الاثنين جمادى الآخرة ٤٢٢هـ (١٩ مايو ٩٣٤م)^(١) . وسلم الأهالى جميعا . وقد نبه الروم بأنه على كل من يريد البقاء في ملطية مع أسرته وأمواله ان يتنصر (يتحول للمسيحية) . اما من بقى على اسلامه فتم ترحيلهم الى الأراضى الاسلامية^(٢) .

وقد تعرضت ملطية ، بعد اقتحام الروم لها واستسلام حاميتها واذعان أهلها لحكمهم ، لتخريب وتدمير شديد . وأصبحت بذلك من أملاك الادارة البيزنطية Curatore ، وظلت كذلك حتى سنة ٤٩٤/٤٩٥هـ (١١٠١م)^(٣) .

الاستيلاء على شمشاط :

تمكن الروم من الاستيلاء على سميساط (شميشاط أو اسمسوساط) في نفس الوقت الذى سقطت فيه ملطية سنة ٣١٩ في يد الروم . لكن استيلاء الروم على سميساط هذه المرة لن يكتب له الاستمرار ، وانما سنرى الروم يتمكنون . فيما بعد ، سنة ٣٣٤ هـ (٩٣٦م) فيقومون بالاغارة على آمد وسمسطة ، وأن سمسطة مونها سيف الدولة الحمدانى ، ولم يتمكن الروم من فتحها الا في سنة ٣٤٧ هـ (٩٥٨م)^(٤) .

ولقد نتج عن فتح الروم للمطية ، أنهم فتحوا المناطق التابعة لها وهى هنزيط (يذكرها كنارد انزيتين Anzitene) وشميشاط . وقد أورد ابن حوقل في كتابه عن المسالك والممالك خبر استيلاء الروم على

(١) الهامى : التوفيقات الالهامة ص ٢٤٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٩٤ (حوادث ٣٢٢ هـ) والمسمودى : التنبيه والاشراف ص ١٨٣ ، وياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٦٣٤ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ١٩٧ .

(٣) مختار الهامى : التوفيقات ص ١٦١ . وقد أورد أنه في ٤ يناير ١١٠١م الموافق غرة ربيع الأول ٤٩٤هـ وقعت في يد الفرنج أيضا مدن : سروج من ديار الجزيرة وأرسوف بساحل عكا ، وقيسارية .

ملطية وحصن زياد وشميشاط . والراجح أن المسلمين تمكنوا من استعادة شمشاط من الروم ثانية سنة ٣٢٦هـ (٩٣٨م) ذلك أن سيف الدولة — بعد أن حاصر حصن زياد ، الذي كان تابعا لبيزنطة ، انسحب منها في نفس السنة الى شمشاط — التي كانت تابعة لبيزنطة^(١) .

نتائج سقوط ملطية وشميشاط :

استمر الوضع في هذه المنطقة غير مستقر لبضع سنوات الى أن ضمت هذه الاقاليم لبيزنطة ابان عهد الإمبراطور رومانوس ليكابينوس (٩١٩ — ٣٠٦/٩٤٤م — ٣٣٢هـ) . حيث ألحقت هنريط (أو خنزرت Khanzrit أو أنزيتين) ، ورومانوبوليس الى اقليم الجزيرة (ما بين المنورين — الميزوبوتيميا) كما أنشئ من ناحية أخرى — لواء سميح^(٢) . والحق أن ذلك كله يعتبر صدى لسقوط ملطية في يد الروم . وان كان ذلك لا يعنى ان عملية ضم هذه المناطق (هنريط ورومانوبوليس) والانشاء (انشاء لواء شمشاط) تمت جميعها عقب استيلاء الروم على ملطية مباشرة^(٣) .

كذلك كان من نتائج سقوط ملطية وشميشاط في يد الروم ، انتقال قبيلة بنى حبيب — وهى قبيلة منافسة لبنى حمدان — التي كانت تقيم في منطقة نصيبين ، الى الاقاليم البيزنطية . وهذه القبيلة كانت منذ زمن بعيد في نزاع مع الحمدانيين ، ولذلك انحازت الى جانب على ابن مقله الوزير العباسي ، في حربه ضد ناصر الدولة الحمداني ، الذي كان يهدف الى استعادة الموصل من القوات العباسية . وقد احتدم الصراع بشدة بين أسرة بنى حبيب وبين الحمدانيين ، الى ان حسم بسقوط مدينة « السميكية » عاصمة بنى حبيب وتدميرها تماما عام ٣٣٣/٩٣٥م^(٤) .

Canard : Ibid, P. 737.

(٢) قسطنطين بورفيريوجنتس . ادارة الامبراطورية ص ٢٢٦ .

(٣) Canard : Hist. de la dynastie des Hamd., P. 737.

Canard : Ibid., P. 737/8.

(١)

(٣)

(٤)

وقد حرص ناصر الدولة على تلقين بنى حبيب درسا قاسيا لا ينسى ، فضيق عليهم ، حتى اضطروهم للتخلي عن أراضيهم الخصبة الغنية ، بعد أن جعل حياتهم قطعة من العذاب . فرحلوا مع قطعانهم الى الاقاليم البيزنطية للإقامة فيها ، واعتنقوا النصرانية ، ثم سرعان ما اندمجوا في آله الحرب البيزنطية ، وأصبحوا من أكفأ العسكريين في القوات البيزنطية ، بعد أن كانوا من أخطر أعداء الروم^(١) .

والجدير بالذكر أن قبيلة بنى حبيب هذه التي كانت من القبائل ذات الشأن الكبير ، حيث كانت نديدة لبني حمدان ، وكان لديها من الفرسان مايربو على العشرين ألف فارس ، هذا عدا أفراد أسرهم أو عبيدهم ، وكلهم على مستوى عال من الدربة والتجهيز — لقيت حفاوة بالغة من جانب السلطات الامبراطورية البيزنطية . وقد نهج نهجهم بعض أفراد من قبائل أخرى هربا و فرارا من بطش الحمدانيين المتوقع بهم لعمالاتهم بنى حبيب . ابان صراعهم ضد على بن مقلة^(٢) .

واذا كان ابن ظافر قد أورد قصة بنى حبيب مع الحمدانيين ، فان ابن حوقل ذكرها بمزيد من التفصيل في الفصل الذي أفرده في كتابه الحديث عن اقليم الجزيرة . فابن ظافر تحدث عن التنافس بين العشيرتين وهو ما بحدثنا عنه أيضا أبو فراس في ديوانه . بينما يزيد ابن حوقل شارحا العوامل التي دفعت بنى حبيب للهجرة ، قائلا ان الحمدانيين انقضوا على البلد وارهقوه بكل ضروب الظلم . . « وحدد ابن حوقل لذلك سنة ٣٣٠ هـ تقريبا وهو ما يتوافق الى حد ما مع رواية ابن ظافر عن هذه الحادثة^(٣) .

Canard : Ibid., P. 737/8.

(١)

(٢) ابن ظافر : الدول المنقطعة . تحقيق روزنتال ص ١٠٣—١٠٥
Canard : Op. Cit., P. 738.

(٣) ابن حوقل : ط ١ ، ص ١٤٠ وما بعدها و ط ٢ ص ٢١١
وما بعدها .

وابن ظافر : الدول المنقطعة ص ١٠٣—١٠٥ تحقيق روزنتال

أما روزنتال Rosenthal فيربط بين هجرة بنى حبيب للأقاليم البيزنطية ، وبين استيلاء الروم على ملطية ، كنتيجة لهذا الاستيلاء والحق ان صدى هذا الغزو كان قويا بلا شك ، ولا بد أنه قد أثر بطريقة أو بأخرى في القرار الذي اتخذته بنو حبيب بالهجرة — من نصيبين والسميعية ومنطقة الجزيرة بأكملها — الى الأراضى البيزنطية^(١) .

لكن كنارد Canard يذكر ان ظاهرة انتقال الجماعات من دولة الى أخرى وتحولهم من ديانة الى أخرى ، آنذاك ، كانت من الأمور المعتادة ، لكثرة حدوثها خلال العلاقات العربية — البيزنطية ، أكثر من ارتباطها بالموقف العسكرى ، وما ينجم عن الصدام بين المسلمين والروم في ميدان القتال . ألا أن هذه الظاهرة — انتقال جماعات وقبائل عربية الى أراضى بيزنطة وتنصرهم هناك — كانت مما شجع الروم على التوغل أكثر فأكثر في الأراضى والبلدان الاسلامية ، واحراز النجاح في منطقة الجزيرة (ما بين النهرين) فيما بعد^(٢) .

(١) ابن حوقل : ط ١ ، ص ١٤٠ وما بعدها و ط ٢ ص ٢١١ وما بعدها .

وابن ظافر : الدول المنقطعة ص ١٠٣ — ١٠٥ .

Vasiliev : Arabes et le Byzance, II., P. 120, 121, 419 - 421.

(٢)

Canard : Hist. de la dynastie des Hamdanides, P. 737-739.

الفصل الثاني

الحمدانيون وجهادهم ضد الروم

قبل سيف الدولة

« الفترة السورية الجزرية »

(٣١٩ - ٣٣٣ هـ / ٩٣١ - ٩٤٥ م)

الحمدانيون وجهادهم ضد الروم قبل سيف الدولة

(٣١٢ — ٣٣٣ هـ / ٩٢٤ — ٩٤٤ م)

(أ) مرحلة المواجهة الأولى في ثغور الجزيرة وأرمينية :

تعرف هذه الفترة من فترات المواجهة الاسلامية — البيزنطية ، باسم « الفترة القبل سيفية أو الفتره الأرمينية الميزوبوتامية »^(١) . فقد أهتم الحمدانيون منذ بداية حكمهم في اقليم الجزيرة (ما بين النهرين) بمنطقة أرمينية ، باعتبارها تابعة لسيادة الخلافة العباسية . وكانوا يتطلعون الى أن يصبح هذا الاقليم تحت سيطرتهم المباشرة ، لاعتقادهم باحقيتهم في الاعتراف بهم كولاة على أرمينية ، تماما في ذلك مثل الولاة العباسيين على منطقة اذربيجان . ومما شجع الحمدانيين على التطلع لبسط نفوذهم وسيادتهم على أرمينية وادخالهم ضمن نطاق سلطانهم انهم كانوا يحكمون مناطق ديار بكر ، وبخاصة منطقة ارزاني Arzanene — المتاخمة لأرمينية ، فضلا عن بعض المواقع على الضفة اليسرى لنهر دجلة Tigris في مقاطعات قرد Qarda وبازبدا Bazabda المتاخمتين لمناطق زاوازان انتريفاتسك^(٢) .

وسعيا وراء الوصول لهذا الهدف ، فقد شيد حمدان ابن حمدون مؤسس هذه الأسرة — سوريا حول مدينة ملطية أنفق على بنائه ما بين ٧٠ ، ٩٠ ألف دينار . كما أوصى للمدينة — عن طريق الوقف — بحصّة تقدر بأربعمائة فرس من اصطبلاته . وسجل هذه الذكرى بنقش على هذا السور ، شهده سيف الدولة الحمداني فيما يرجح بعد ذلك عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م ، ونوه به أبو فراس الحمداني حين دخل ملطية عام ٣١٩ هـ ، أي بعد الحملة البيزنطية عليها التي هاجمتها سنة ٣٩٩ هـ (٩١١ م) بنحو عشرين عاما ، وشكا منها سكان ملطية للحمدانيين^(٢) .

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 463.

(١)

(٢) أبو فراس : دبوانه (الدهان) ص ١١٠ .

على أن هناك روايات ترجع هذا الحدث الى سنة ٣١٤هـ (٩٢٦م).
وليس سنة ٣١٩هـ . لأنه في هذا التاريخ (٣١٤هـ / ٩٢٦م) يورد ابن
الأثير قصة وفد قدم من ملطية الى بغداد لطلب النجدة ، من الخليفة
العباسي . فهل كان حمدان آنذاك (٣١٤هـ) لا يزال على قيد الحياة
الأمر مشكوك فيه . لأن قوات الخليفة كانت قد أسرت حمدان بن
حمدون منذ عام ٢٨٢هـ / ٨٩٥م ، وكان وقتها بالتأكيد في سن كبيرة ،
ومن المؤكد انه توفي سنة ٣١٤هـ . ولذلك نتساءل مرة أخرى فنقول :
هل من الممكن ان نحدد لهذه الواقعة تاريخا أقدم من ذلك ، في الفترة
التي حاصر فيها الامبراطور باسيل الأول (٨٦٧ — ٨٨٦م) مدينة ملطية
مرة في سنة ٨٧٢ / ٢٥٩هـ ، وأخرى سنة ٨٨١ / ٢م ٢٦٨هـ ^(١) .

على أي حال ليس هناك ما يشير الى اشتراك الحمدانيين في
الحرب ضد الروم قبل عام ٣٠١هـ / ٩١٣ — ٩١٤م . ومع ذلك ينبغي
لنا ، لكي نفهم جيدا وضع البيزنطيين والعرب ، ازاء بعضهم بعضا في
الفترة التي بدأ فيها الحمدانيون — وبخاصة سيف الدولة — أن نعرض
أهم الاحداث في أواخر القرن الثالث وبداية الرابع الهجريين (التاسع /
العاشر الميلاديين) ^(٢) .

فبالنسبة للروم ، لم يكن ليو السادس (الحكم) (٨٨٦ —
٩١٢م) ، موفقا في قيادته للروم في حربهم ضد المسلمين لأنه لم يكن
أصلا راغبا في الحرب . وكل ما فعله هو تحمل رد الفعل العنيف الذي
أحدثته هجمات المسلمين في جزيرة صقلية والشرق ، وفقد مدينة طبرمين
عام ٢٨٩هـ / ٩٠٢م . كما لم تسمح الحرب التي اشتعلت من جديد
في أوروبا مع البلغار ، للجيش البيزنطي في أول الامران تقاثل على

(١) عن غزو ملطية ٢٥٩هـ (٨٧٢م) و ٢٦٨هـ / ٨٨١م راجع

فازلييف :

Vasiliev : Arabes et le Byzance, P. 40.

وقد أورد الطبري في الجزء الثالث من تاريخه (ص ٢٠٢٦) ذكر هجوم

٢٦٨هـ .

Vasiliev : Arabes et le Byzance, 2, P. 103 - 191 +

(٢)

Dostogorsky + Brehier : Vie et mort de Byzance. PP. 149/55.

جبهة المواجهة الإسلامية في الشام والجزيرة فضلا عن أرمينية .
بل ان الاسطول البيزنطى منى بهزيمة فادحة عام ٢٨٥هـ / ٨٩٨م ، أمام
القوات العباسية بقيادة الخصى يازمان Razman وبعض الأمراء
العرب^(١) . كما هزم سنة ٢٥١هـ (٩٠٤م) على يد القوات البحرية
الإسلامية بقيادة أبو الحارث غلام ظرافة (نيو الطرابلسى) التى
استولت على الثغر الحربى البيزنطى الكبير الواقع على الساحل
الجنوبى لآسيا الصغرى ، والمعروف باسم اطلاليا أو انطاليا *Anatalia*
على ثغر تساليا (تسالونيك) الذى كان لسقوطه صدى مؤلم فى نفوس
الروم^(٢) .

والحق ان هذه الهزائم التى منى بها البيزنطيون (الروم)
آلتهم لدرجة 'ثارت' فيهم روح الانتقام . لكنهم مع ذلك لم ينجحوا فى
وقف التقدم ، الذى كان المسلمون يحرزونه برا وبحرا . ولذلك حفلت
الفترة من ٢٩٦هـ حتى ٢٩٩هـ (٩٠٩ — ٩١٢م) بحملات اسلامية عديدة
موفقة ، قامت بها القوات الإسلامية برا وبحرا من ملطية وطرسوس
واستطاعوا ان يلحقوا بالاسطول البيزنطى هزيمة ساحقة فى موقعة
امام جزر ساموس فى صفر ٣٩٨هـ (اكتوبر ٩١١م)^(٣) .

لقد ترتب على هذه الهزائم التى منيت بها القوات البيزنطية
أواخر القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) ، أن اصبح من
المستحيل عليهم مساعدة الأرمن . وبالتالي عدم الوفاء بالاتفاق الذى
التزموا به تجاه أرمينية سابقا منذ عام ٨٩٣م (٢٧٩م) ، بين ليو السادس
(الحكيم ٨٨٦ — ٩١٢م) وبين سمباط الأول البجراتى (البجراطونى
٨٩٠ — ٩١٤م) الملقب بالشهيد والتعيس . مما أتاح ليويسف بن أبى

(١) الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج ٣ ص ٢١٨٥ (نسخة بريل ،
ليند ، ١٩٦٨) .

(٢) الطبرى : المصدر السابق ج ٣ ص ٢٥٥٠ و صابر دياب ،
سياسة الدول الإسلامية (عن النشاط الحرى الاسلامى فى العصر العباسى) و
Vasiliev : Arabes et le Byz, P. 138.

(٣) الطبرى : نفس المصدر ج ٣ ص ٢٢٨٤ — ٢٢٨٧ و
Canard : Hist. de la Dyrastie des Hamdanides, P. 723.

المنساج غزو أرمينية وأسر سمباط (التعميس) الذى انتهى امره بالموت مقتولا سنة ٣٠١هـ/ (١) ٩١٤م فيما يرجح ، كما أسلفنا قبل .

على انه لا يجب ان يتبادر للذهن ان فترة حكم الامبراطور المييزنطى ليو السادس (الحكيم) التى اعقبتها فترة حكم أخيه السكندر (٩١٢ — ٩١٣م) — القصيرة الامد — لم تشهد فيها الامبراطورية سوى هزائم لا غير ، على حدودها الشرقية (الثغور الاسلامية) • بل انها شهدت عملية تنظيم لمناطق الثغور والحدود البيزنطية ، وانشاء اقسام اقليمية جديدة بهدف ضمان الدفاع عن حدود الامبراطورية (٢) .

وفى سنة ٣٠١هـ (اغسطس ٩١٣ — ٩١٤م) قامت حملة حمدانية بقيادة حسين بن حمدان — والى ديار ربيعة — بدأت من ملطية ، واستولى على عدة قلاع ، ثم عاد عن طريق طرسوس (٣) • وظل الروم عاجزين عن احراز أى نصر على المسلمين ، حتى كانت ثورة حسين بن حمدان على الخليفة العباسى ، وانشغال افضل قادة الدولة العباسية بالقضاء على هذه الثورة • مما مكن للروم من أن يحرزوا نجاحا على المسلمين فى حملة قامت بقيادة احد قادتهم وهو « ملياس الأرمنى » Melias — عند العرب مليح Meleh — الذى كان يحكم منطقة لواء ليكاندوس المييزنطى Lykandōs (٤) •

لكن بيزنطة لا تلبث ان تتعرض للانتكاسة امام العرب مرة أخرى ، بسبب الاضطرابات الداخلية الناجمة عن محاولة قسطنطين دوكاس Ducas الاستيلاء على عرش الامبراطورية ، واندلاع الحرب من جديد مع البلغار ، الذين طرقت جيوشهم ابواب القسطنطينية ، وما تعرض له الوجود البيزنطى من متاعب بسبب اضطرابات مناطق ابوليا ، وكالابريا Calabria (قلورية فى صقلية) مما اعاق الامبراطورية عن التصدى بصورة فعالة وقوية حملات المسلمين البرية والبحرية (٥) •

(١) الطبرى : المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٢٨٧ .

Canard : Ibid., P. 724.

(٢)

Vasiliev : Byz. et les Arabes P. 202.

(٣) الطبرى : ٢٢٨٩/٣ و

Canard : Ibid., P. 724.

(٤)

Vasiliev : Ibid., 2, P. 197 - 199.

(٥)

ومع ذلك لم تغب اهداف السياسة البيزنطية عن الانظار . ففى هذا العصر — فيما يزجج — ساعدت بيزنطة آشوط البجراتى فى أرمنية على اعادة ملك الأسرة البجراطية . وكانت أرمنية وقتذاك مهددة — منذ وفاة سمباط — بالاغراق فى مرحلة فوضى شاملة ، خشيت معها بيزنطة ان تؤدى الى وقوعها كاملة فى أيدي المسلمين . ولذلك كان كل ما تهدف اليه بيزنطة من مساعدتها لأرمنية ، هو الخيلولة دون بسط النفوذ الاسلامى هناك . اذ ستصبح أرمنية فى يدهم مصدر خطر يهدد امن الامبراطورية البيزنطية . وقد استعاد آشوط فعلا عرش الأسرة البجراطية ، التى أعلن امراء الأرمن ولاءهم لها ، بما فيهم عميد آل اردرزونى . وهذه الاحداث سيكون لها فيما بعد اهميتها ، لانها تحدد بداية سياسة بيزنطية فعالة (ايجابية) تجاه أرمنية ، حاول سيف الدولة جهده فيما بعد ان يكافحها فى أرمنية نفسها (١) .

(ب) النشاط البيزنطى فى أرمنية بين سنتى ٣٠٣ — ٥٣٣/٩١٥ — ٩٣٥ م :

عهد الامبراطور رومانوس الأول (ليكابينوس) ، الى القائد الأرمنى يوحنا كوركواس Jean Curcuas بمهمة قيادة العمليات القتالية ضد المسلمين الموجودين فى أرمنية ، وذلك لمساندة الامير البجراتى ؛ الذى كان الامبراطور ليو السادس (الحكيم) قد وعده بالمساعدة منذ ٨٩٣م (٢٧٩/٥٢٨٠) ، ولم تتمكن الامبراطورية وقتها ، بسبب هزائنها المتتالية فى شرق البحر المتوسط وصقلية . وكان الامير البجراتى آشوط الثانى (٩١٤ — ٩٣٨م) يشعر بالخوف من سبك Subuk أمير اخريجسان المسلم ، وخليفته يوسف بن أبى الساج ، الذى كانت قواته — مع غلامه نصر — تسيطر على مدينة دوين (اردبيل) (٢) .

(١) Grousset, R. : Hist. de la Armenie, P. 443, + Runciman : Romanus (١) Lecapenus, P. 131, 249 - 51

Vasiliev : Byzance et les Arabes, II, P. 231.

(٢)

وفي سنة ٣١٥هـ (٩٢٧م) قامت حملة بيزنطية كبيرة بقيادة يوحنا كوركواس بالزحف على مدينة دوين — مقر الحكم الاسلامي في أرمينية — وكانت حملة مجهزة تجهيزا كبيرا ، كان له اثره الوقتي في النيل من عزم المسلمين هناك آنئذ^(١) . وقد خربت هذه الحملة — أثناء زحفها على دوين — منطقة فازيان (كاسيان Phasian) الواقعة شرقي قاليقلا ، عند منابع نهر الرس (اراكس Araz) ، وهذه المنطقة كانت بيد المسلمين كذلك . وعندما وصلت القوات البيزنطية الى مدينة دوين ، نجحت في احداث ثغرة (ثلثة) في أسوار المدينة ، نفذت منها الى داخلها . ومع ذلك صمد السكان ، بعد ان ذهب عنهم هول كثافة الروم ، وتمكنوا من طرد قوات الروم ، وكان ذلك في نفس سنة ٣١٥هـ (٩٢٧م)^(٢) .

لكن ، على الرغم من الاخفاق الذي حل بهذه الحملة — الكثيفة التجهيز عددا وعدة — فان الروم جهزوا حملة أخرى ، في السنة التالية مباشرة (٣١٦هـ / ٩٢٨م) ، انطلقت من جنوب أرمينية لمهاجمة الامارات الاسلامية العربية في منطقة بحيرة فان Van المتاخمة لاقليم الجزيرة (ما بين النهرين الميزبوتوميا)^(٣) .

لقد حاصرت القوات البيزنطية في هذه الحملة مدينتي خلاط (خيلات) وبتليس اللتين استسلم أهلها لهن . كما دب الذعر في قلوب اهالي أرزن Arzan وسائر المدن الأرمينية المتاخمة لاقليم الجزيرة . وكان صدى تلك الحملة سريعا في نفوس الأرمن والمسلمين على السواء . فاستنجدوا بالخليفة العباسي في بغداد^(٤) . ولكن استغاثتهم ذهبت صرخه في واد دون جدوى . بسبب ما كانت الخلافة تعانيه وقتذاك من مظاهر ضعف وانحيار في سلطتها . وفي ذلك يذكر ابن الوردي

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٥٥ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٣ .

(٢) Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 739.

(٣) ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي (تمة المختصر) ص ٣٨٨

(تحقيق احمد رفعت البدر اوى) ط : دار المعرفة — بيروت ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م

(٤) Canard : de la Dyn. P. 739 - 740.

أن الدمستق (القائد البيزنطى) « صالحهم على أن يقلع منبر الجامع ،
ويعمل موضعه صليباً ، فأجابوا وفعلوا ذلك ، وفعل ببديليس
(بتليس) كذلك » (١) .

وفى سنة ٨٣١٧ م (٩٢٩ م) قامت حملة بيزنطية أخرى بقيادة يوحنا
كوركواس أيضاً بالهجوم على مدينة دوين . لكن أمير أذربيجان
مفلح الساجى تمكن من التصدى لها ودحرها . فعاود الروم الهجوم
على مناطق اسلامية أخرى فى أرمينية بعد ذلك بعامين (أى سنة
٨٣١٩ م / ٩٣١ م) . وهذه المناطق هى : بيركرى (بركرى) و خلاط
(خيلات) وما جاورهما . وقد تمكن الروم فى هذه الحملة من رقاب
المسلمين فقتلوا منهم عددا كبيرا ، كما اسروا كذلك عددا آخر .

ولما كانت هذه الحملة البيزنطية سنة ٨٣١٩ م / ٩٣١ م ، وسابقتها
التي تمت سنة ٨٣١٧ م (٩٢٩ م) ، قد دفع اليهما وحرص عليهما ملك
اقليم الفاسبوراكان « جاجيك بن جريجور درنيك » (المعروف بابن
الديرانى فى المصادر العربية) — لذلك صمم مفلاح الساجى أمير
أذربيجان على الثأر منه لدماء من مات من المسلمين على يد القوات
البيزنطية . فجهز حملة كبيرة هاجم بها فى رمضان / شوال ٨٣١٩ م
(سبتمبر / اكتوبر ٩٣١ م) — اقليم الفاسبوراكا كان انتقاما لموقف
ملكه جاجيك بن الديرانى (٢) .

والجدير بالذكر . أنه على الرغم من تذرع الروم وادعاؤهم
المحافظة على مصالح الشعب الأرمنى كمبرر لتدخلهم فى الشؤون
الأرمنية ، وتجريد حملاتهم لناهضة الوجود الاسلامى فى هذه
البلاد ، إلا أن الشعب الأرمنى ، لم يغب عنه مطلقا الاهداف
البيزنطية التوسعية فى بلادهم . ولذلك لم يمدوا للروم يدا بمساعدة
أو عون من أى نوع كان فى حروبهم للمسلمين هناك . وكان موقفهم

(١) ابن الوردي : المصدر السابق ٣٨٨/١ .

(٢) Vasiliev : Byz. et les Arabes, P. 231, + Macher : Erzerouni,
P. 223, by Canard : Ibid., P. 740.

هذا محصل تقدير كبير من الامراء والحكام المسلمين في كل من أرمينية واذربيجان ، وسببا في معاملتهم بما يتفق مع موقفهم الطيب هذا (١) .

وايا كان الامر ، فلقد نتج عن هذه الحملات البيزنطية المتتالية ضد المناطق التي يوجد فيها المسلمين في أرمينية — وهي حملات سنوات ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٩هـ — ما يشبه التعويق لعملية بسط النفوذ الاسلامي والثقافة العربية هناك . مما أثر في قوة موقف أمراء العرب والمسلمين تأثيرا سيئا ، لدرجة أن أصبحت الممتلكات والاقاليم الاسلامية الواقعة في المناطق التي تحت السيطرة البجراتية والاردزرونية عارية عن أى حماية تقف في وجه المطامع البيزنطية (٢) .

فقد اخبرنا قسطنطين بورفيريوجنتس ان الامراء الذين كانوا من قبل تبعا لسمباط البجراتي ، اضطروا — نتيجة لضعف موقفهم — الى الاذعان بدفع الجزية للامبراطور البيزنطي ، مع الاقرار له بالتبعية ، كما فعل امراء طارون وجورجيا والبجراتيون الأرمن انفسهم . لذلك كان على سيف الدولة الحمداني ان يواجه مثل هذا الموقف المتدهور الذي كان يعانيه الوجود الاسلامي في هذا الصقع والذي أصبحت آثاره غير قاصرة على المناطق الأرمينية ، بل صار من المحتمل جدا امتدادها بذاتياتها الى اقليم الجزيرة (ما بين النهرين) نفسه (٣) .

رد الفعل الحمداني : أولى عمليات سيف الدولة ضد الروم في أرمينية :

لقد باشرت بيزنطة نشاطها — بنوع خاص على الجبهة الأرمينية الميزبوتامية — طبقا لخطه مد الحدود الشرقية للامبراطورية البيزنطية ، التي طبقت منذ عهد باسيل الأول (٨٦٧ — ٨٨٦م / ٢٥٣ — ٨٧٣هـ) . وقد أهمل الروم الجزء الجنوبي في الجبهة لصالح القطع الشمالي .

Makler : Erzerouni, P. 223.

(١)

Canard. : Ibid., P. 740.

(٢)

(٣) يورفيريوجنتس : ادارة الامبراطورية البيزنطية ص ١٥١

وما بعدها .

ولذلك باشر الامراء العرب وبخاصة حكام طرسوس عملياتهم من هذه الناحية • كما تصدى — من ناحية أرمنية — « معنح » الساجى لهجمات يوحنا كوركواس مرات عديدة • اما عن النشاط الحمدانى فى ملطية ، فلم يكن هناك نشاط عسكرى حمدانى ذا بال ، سوى الحملة التى قام بها سعيد بن حمدان السابقة الذكر (١) •

وحين استتب الامر للحمدانيين فى اقليم الجزيرة (ما بين النهرين : الميزوبوتوميا Mesopotomia) • التزموا جانب الدفاع عن هذا النطاق من الثغور الاسلامية ، « الثغور الجزرية » ، نيابة عن الخلافة العباسية التى كانت عاجزة وفى حالة لا تسمح لها بتحمل مسئولية المواجهة ضد الروم فى مناطق الثغور الاسلامية ، سواء الشامية أو الجزرية (٢) •

وقد عهد ناصر الدولة الحمدانى الى اخيه على (الذى سيعرف فيما بعد بسيف الدولة الحمدانى) ، بتولى مسئولية حكم منطقة ديار بكر ، التى تم انتزاعها من احد الامراء المتمردين بمساعدة وتحريض امراء اقليم طارون الأرمنى • وكان هذا الامير الحمدانى الشاب « على » (سيف الدولة فيما بعد) ، قد اشترك منذ عام ٩١٩هـ (٩٣١م) — كما رأينا — فى حملة على الاقليم البيزنطى ، واصبح بذلك يمثل خطرا يتهدد الوجود البيزنطى ونشاط ونفوذ القباطد البيزنطى يوحنا كوركواس (٣) •

كذلك اشترك ناصر الدولة فى هذه المواجهة ضد الروم ، ولكن بنصيب أقل من نصيب أخيه على • كما تدل على ذلك ابيات اوردها أبو فراس الحمدانى • وربما كان ذلك فيما بعد فى حملات ٣٢٣ أو ٣٢٤هـ ، إذ أورد أبو فراس هذه الابيات عقب الابيات التى تتحدث عن نجاح الصراع ضد بنى حبيب — ذلك الصراع الذى نعلم انه انتهى بواخير عام ٣٢٣هـ (نوفمبر ٩٣٥م) — وانه داس بحوافر خيله أرض

(١) (٢)

Canard : Hist. de la Dynastie des Hamd., P. 741.

(٣)

Canard : Hist. de la Dynastie des Hamd., P. 741.

قلعتى وارتنس Wartanis ، وعاد مع الاسرى الذين جمعهم ،
والذين كانت الاصفاذ ترن فى أرجلهم وأيديهم ، ووطلقهم كالمائسة على
مرج قليز . وقد اورد ياقوت فى معجمه ان الحملة كانت ضد وارتنس
التي خضعت لسيف الدولة ، ثم يذكر فى موضع آخر شيئاً مخالفاً
حيث يقول ان سيف الدولة توجه بحملته الى كولونيا^(١) .

على اية حال ، يمكن ان نستنتج من ذلك ان الحملة وقعت فى
اقليم ما بين النهرين (لواء الميزوبوتاميا) ، وذلك اذا كانت وارتنس
تطابق — كما ذكرنا قبلاً — الموضعين اللذين يحملان اسم فاردنق
Vardenik . فى هذه المنطقة الأرمنية البيزنطية . فهل كان ابن الأزرق
يقصد هذه الحملة حين قال « ان ناصر الدولة استرد فى عام ٩٣٢هـ /
٩٣٤م ملطية وكل الاماكن المحيطة بها ، ودخل الخيزرانى وطارده حتى
اطراف اقليمه »^(٢) . وهذه هى العبارات القليلة الوحيدة التى تحدثت
عن ناصر الدولة^(٣) بخصوص المواجهة مع الروم ، فضلاً عن بيت من
الشعر ورد فى ياقوت وردت فيه اشارة الى حصن زياد^(٤) .

(ب) مرحلة المواجهة البيزنطية — الحمدانية فى ثغور الجزيرة وبلاد الشام :

(٢٢٤ — ٩٣٢هـ / ٩٣٨ — ٩٤٤م)

تمكنت القوات العباسية بقيادة الوزير على بن مقله فى سنة
٩٣٣هـ (٩٣٥م) من طرد ناصر الدولة الحمدانى — الذى لم يكن
حتى ذلك الوقت ملقباً بهذا اللقب — من الموصل . فالتجأ « ناصر
الدولة » الى جبال زوازان بأرمينية ، ريثما يتمكن من العودة اليها
ثانية . على انه خلال اقامته القصيرة هناك — التى لم تتجاوز شهرين
على الاكثر — تمكن من جعل بعض امراء الأرمن يقبلون بسيادته

(١) ياقوت : المعجم ج ٤ ص ١٦٨ .

(٢) ابن الأزرق : تاريخ ميلافارقين (تاريخ الفارقى) و

Canard : Ibid., P. 742.

(٣) هو ناصر الدولة الحسن بن أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان بن

حمدون راجع زامباور ، معجم الانساب والاسرات الحاكمة ج ٢ .

(٤) ياقوت : نفس المصدر ج ٤ ص ٩١٩ .

عليهم ، بل ويسلمون له بدفع الجزية السنوية التي كانوا يدفعونها للخليفة العباسي في بغداد (١) .

اصبح ناصر الدولة في حكم الوالى (الامير) على قسم من أرمينية — وليس على كل أرمينية كما اشار لذلك بعض المؤرخين — وذلك لان العمل الذى قام به ناصر الدولة الحمداني ، لم يمتد الى العديد من نطاق اقليم الفاسبوركان ، وربما لم يتجاوز منطقة الزوازن (٢) .

وفي سنة ٣٣٤هـ (٩٣٦م) يتغير موقف الخلافة من ناصر الدولة الحمداني ، اذ يصدر الخليفة العباسي الراضى بالله (٣٣٢ — ٣٣٩هـ) قرارا اعترف فيه بناصر الدولة واليا على اقليم الجزيرة كله ، بما فيه ديار مضر . وكان ذلك في الوقت الذى ثار عليه احد اتباعه في أرزن وهو على بن جعفر الديلمي (٣) .

وعندما كلف ناصر الدولة اخاه الاصغر على — المعروف فيما بعد بسيف الدولة — بالقضاء على ثورة على بن جعفر الديلمي ، استنجد هذا الخارج المتمرد بابن طرنيق (٤) (ابن الديرائى) واشراف هذا

(١) ابن الأثرق : تاريخ الفارقي ص ١١١ والذهبي : تاريخ الاسلام ورقم ١٠٧ .

Canard : Ibid., P. 478.

(٢) الذهبي : المصدر السابق ، ورقة ١٠٧ — ١٠٨ وابن الأثرق : نفس المصدر ص ١١١ .

(٣) بالطبع لا يمكن ان يكون ابن درنيك (طرنيق) ملك أرمينية هو اباز (عباس) البجراتى بل الراجح ان يكون ابن طرنيق هذا هو أمير اقليم الطارون القريب من ديار بكر ، والذي ربما يكون قد حمل لقب « ملك » الذى ناكذ فيما بعد لاحد خلفائه . ولعل استجابة ابن طرنيق لاستنجد على ابن جعفر الديلمي ، مرجعه خوفه من أن يسلك الحمدانيون (حكام ديار بكر) نفس المنهج الذى سلكه احمد بن عيسى بن الشيخ (من بنى شيخان) الذى امتدت سيطرته الى اقليم الطارون . كما لا يمكن ان يكون ابن طرنيق هذا ابنا لطرنيق بن أبو غانم وابن عم الاخوين بقرات (بجات) واشوط ابنا جريجوريك الذى سبق ذكره قبلا . ويبدو ان تسمية المصادر العربية لابن طرنيق بهذا الاسم ، لها قيمة عرقية أو جنسية ، تماها كعبارة ابن الديرائى التى قصدوا بها درنيك ملك الفاسبوركان . وابن طرنيق هذا اسم احد الاخوين بجات أو اشوط الذى حكم في اقليم طارون عام ٩٣٦م (٣٢٤هـ) وهو بجات فيما يرجح .

البلاد مصورا لهم الامر على انه اذا تمكن الحمدانيون من البلاد ،
فسيكون في ذلك خطرا يهدد امنهم وسلامتهم^(١) .

وعلى الرغم من كل ذلك ، تمكن سيف الدولة من احباط خطة
الناظر علي بن جعفر الديلمي وحلفائه من الأرمن ، وأخمد تمرده . وربما
يكون سيف الدولة قد انساح بقواته — بعد اخماد تمرد الديلمي
وحلفائه — حتى وصل الى اقليم الطارون نفسه . لكن من غير
المحتمل — كما يذكر ابن ظافر وهو الوحيد الذي تحدث عن هذه
الواقعة — ان يكون سيف الدولة ، قد سيطر على كل الاقاليم الأرمنية
الى جانب البلاد المتاخمة لدير بكر في مثل هذه الظروف . بدليل
انه بعد رحيل سيف الدولة استولى الروم على سمسطه دون ان
يمسوا السكان — هذه المرة — بأذى — كما يذكر الذهبي وابن
ظافر^(٢) .

لم يعاود سيف الدولة الجهاد ضد الروم ، الا في عام ٩٣٦هـ
(٩٣٧/٩٣٨م) ، حيث تمكن من احراز أول نصر له على الروم ، في
منطقة انزيتين البيزنطية النفوذ . وتقدمت القوات الحمدانية حتى
دارم . (دارم Darim دادم Dadim) الواقعة جنوبى حصن زياد في
منطقة تل هنزيت . وكان ذلك في شهر ذى القعدة ٣٣٦هـ (سبتمبر
٩٣٨م) ومن هناك أرسل فرقة من جيشه بقيادة الحسن بن علي قواس ،
سارت حتى وصلت الى تل ارسناس غربى حصن زياد
(أو تلنزيت Tilenzit)^(٣) شرقا . ثم مضى سيف الدولة لحصار
حصن زياد ، فاستولى عليه ، ومكث به سبعة أيام ، فلما وصل
الروم في قواتهم الكثيفة (التي قيل انها بلغت مائتى ألف مقاتل ؟)
انسحبت القوات الحمدانية شرقا ، في اتجاه شمشاط ، بينما تعقبهم

(١)

Canard : Ibid., P. 479.

(٢) ابن ظافر : اخبار الدول المنقطعة وابن الأزرقي : تاريخ
ميفارقين ص ١١١ الذهبى تاريخ الاسلام ص ١٠٧ .

(٣) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ١٥٤/٢ — ١٥٥ .

خيالة الروم ونزل قلعة تسمى بـ « المقدمة » وهم ان يناجز الروم منها ، ثم تركها لتطيره^(١) منها .

التقى الجمعان — البيزنطى والحمدانى — فى معركة طاحنة كان مسرحها فى المنطقة بين حصن زياد وحصن سلام . وكانت نهاية المعركة نصرا مؤزرا احرزه الحمدانيون بقيادة سيف الدولة ومعه غلمانه يمالك Yamak وعبد الأعلى بن مسلم . حيث تمكن يمالك من دحر فرقة بيزنطية كبيرة من مجموع القوات البيزنطية ، بلغ عدد افرادها عشرون الفا . واستولى الحمدانيون على المنصة والعرش اللذين اعتاد الذمستق (القائد) يوحنا كوركواس ان يجلس عليهما ، ليشرف منها على حركة قواته وسير المعارك^(٢) . وكانت هذه الموقعة فى العاشر من شهر ذى الحجة ٣٢٦ هـ (الموافق ٩ اكتوبر ٩٣٨ م) . وقد برز فيها غلمان الامير الشاب سيف الدولة الحمدانى . ومنهم بمالك التركى الذى توفى بعد ذلك عام ٣٤٠ هـ (٩٥١ — ٩٥٢ م) وزميله عبد الأعلى بن مسلم^(٣) وقد نسب أبو المحاسن هذه الموقعة — خطأ — الى ناصر الدولة الحمدانى^(٤) .

وقد ابرز أبو فراس الحمدانى — ابن عم سيف الدولة — هذا الانجاز الرائع ، الذى ورد عنه ان الذمستق وصل ومعه نحو ثمانين ألف رجل ، بينما كان سيف الدولة معسكر امام حصن زياد ، وان قوات الامير الحمدانى حوصرت فى مكان يسمى سلام (أى حصن سلام) ، وأن سيف الدولة ، الذى كان بإمكانه ان يفر ومعه ماخف حملة من المتاع والمال . رفض ، واشتبك مع العدو ، وهزم الذمستق . (القائد) البيزنطى وجموعه . ومما يذكر ان الأمير الحمدانى — سيف الدولة — نفذ حتى وصل الى المكان الذى كان فيه يوحنا كوركواس ،

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٥٥ .

(٢) ابن ظافر : الدول المنقطعة ص ٢/ب — ٢٣ .

(٣) الذهبى : تاريخ الاسلام ورقة ١٠٧ وما بعدها و ابن الاثير : الكامل ٥٥/٨ وما بعدها .

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٦٣ .

وان المعركة التى جرت بين الفريقين كانت على ضفاف نهر الارسناس^(١) . وقد كان عدد قتلى الروم كثيرا جدا . ومع ذلك لم تسفر عن توطيد للنفوذ العربى الاسلامى فى شمشاط وقتذاك^(٢) .

ومن جهة أخرى ، فبينما المعركة محتدمة ، بين الحمدانيين والروم ، على أرض شمشاط وعلى ضفاف نهر الارسناس ، كانت هناك مفاوضات دائرة بين محمد بن طفج الاخشيد وال خليفة العباسى من جهة ، والامبراطور البيزنطى من جهة أخرى ، لتنفيذ عملية فداء الاسرى بين الجانبين — العباسى الاخشيدى والبيزنطى — وكانت بيزنطة حريصة على ذلك لتعقد هدنة مع الاخشيد حاكم مصر وجنوب الشام ، ليتسنى لها تركيز قوتها والتحرك بحرية تجاه اقليم الجزيرة ومنطقة أرمنية ضد الحمدانيين هناك^(٣) .

كما أدرك الامير سيف الدولة الحمدانى ، ما ينطوى عليه وضع مناطق الثغور فى اقليم الجزيرة (ما بين النهرين) من خطر نتيجة ضم منطقتى ملطية والانزيتين للسلطة البيزنطية ، هذا فضلا عن خضوع بعض الأسرات العربية فى أرمنية للسيادة البيزنطية . لذلك نرى سيف الدولة يقرن — فى السنوات التالية لسنة ٨٣٣٦هـ — حملاته ضد الروم فى اقليم الجزيرة ، بعمليات أخرى كان مسرحها الأراضى الأرمنية . ولم يكن ذلك سوى بمثابة اجراء وقائى قام به سيف الدولة ، لحماية النفوذ الاسلامى (الحمدانى) على أرض أرمنية ، ولتدعيم موقفه فى مواجهة الروم سواء فى الشام أو الجزيرة .

والجدير بالذكر أن هذا النشاط الحربى الحمدانى فى البلاد الأرمنية ضد الروم ، لم يكن له ايـة انعكاسات ، أو وردود فعل سيئة لدى الشعب الأرمنى وحكامه على اختلاف اسراتهم . ولعل ذلك كان راجعا بالدرجة الأولى الى اطمئنان الأرمن — شعبا وحكومة —

(١) أبو فراس : ديوانه ورقة ٣١ ، ١/٣٩ (مخطوطه برلين)
وص ١١٦ ، ١٤١ نسخة محمد سامى الدهان .

Canard : Ibid., P. 473.

(٢)

Vasiliev : Byz. et les Arabes, II, P. 241 - 244.

(٣)

الى نوايا الحكم الاسلامى بصفة عامة ، فضلا عن بغضهم للمعاملات البيزنطية التى اتسمت بنوع من فرض الوصاية على هذا الشعب . هذا الى جانب أنفقة الشعب الأرمنى نفسه من التدخل البيزنطى ، لتشككه فى نوايا الامبراطورية تجاه بلادهم ، مع الوضع فى الاعتبار ثقة الشعب الأرمنى المفرطة فى نفسه . بدليل نجاح اطوم بن جورجى أمير منطقة الزوازان سنة ٣٢٦هـ (٩٣٧ — ٩٣٨م) فى التخلص من لشكرى الديلمى — حين اساء السيرة — ببسر وسهولة^(١) .

ولعل هذا الحدث — عزل لشكرى الديلمى — كان من المؤثرات التى نبهت سيف الدولة الى ضرورة العمل على تأمين طريق يمر منه عبر أرمينية ، لتكون تحت سيطرة السيادة المباشرة للحمدانيين — ، وهو ما فعله سنة ٣٢٨هـ (٩٣٩ — ٩٤٠م) . وقد رافق عمله هذا بعمل مضاد للروم ، باعتبارهم المحرك الرئيسى والاساسى لكل ما من شأنه زعزعة الوجود الاسلامى فى تلك البلاد^(٢) .

اما ناصر الدولة ، فكان منذ سنة ٣٢٤هـ (٩٣٥ — ٩٣٦م) يطمع أن يكون له حكم اقليم اذربيجان ، الذى لم يرد له ذكر فى عهد التولية الصادر له فى المحرم ٣٢٤هـ (ديسمبر ٩٣٥م) من الخلافة فى عهد الراضى بالله العباسى (٣٢٢ — ٣٢٩هـ)^(٣) . وكان الخليفة العباسى قد أسند ادارة اقليم اذربيجان الى احد ضباط بنى الساج ويحعى ناظف^(٤) . وكان اقليم اذربيجان وقتها تحت حكم وادارة ديسم بن ابراهيم بن شاذلوية . ولكن ليس من المعروف ولا من الواضح ما اذا كان ناظف قد اصطدم هناك بالحاكم السابق عليه

Canard : Une lettre de Moh. b. Tugl, P.189 - 195.

(١)

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd. P. 480.

(٢)

(٣) الاصفهائى : الاغانى ج ٩ ص ٥٨ — ٥٩ .

(٤) هو احد الضباط الذين عملوا مع الاسرة الساجية فى اذربيجان . وقد لجأ سنة ٣٢٥هـ (٩٣٦م) ، الى الموصل هربا من الاجراءات الصارمة ، التى اتخذها الوزير ابن رائق ضد بنى الساج ، وكل من يمت لهم بصلة او يلوز بهم معا .

في اذربيجان وهو ديسم بن ابراهيم ؟ ام ان السلطة انتقلت اليه بهدوء ودون صدام ؟ أو بأى كيفية امتن لناطف الساجى ان يستقر في اذربيجان ؟ وذلك لان قسما منها — وقتئذ — كان تابعا بشكل أو بآخر لاحد الحمدانيين • وهو ما يحتمل ان يكون القسم الواقع جنوبى بحيرة أرمية Urmia الأهلة بالاكرد الذين كانوا على صلة بالحمدانيين^(١) •

على اية حال ، فانه يبدو أن ناطف لم يطرد من اذربيجان الا على يد لشكرى بن مردى الديلمى ، الذى استطاع ان يستعيد المنطقة الى سيطرته وازاحة ديسم بن ابراهيم منها ، اذ يخبرنا الذهبى^(٢) ، فى تاريخه — أن ناطف انهزم امام لشكرى بن مردى الديلمى • وكان هذا الديلمى قائدا من قواد وشمكير وعامله على اقليم الجبل • وكان يسعى — كغيره من القواد الدياله — الى تكوين اماره مستقلة • وقد استولى لشكرى الديلمى على البلاد ، وأجبر ديسم ابن ابراهيم على اللجوء الى وشمكير ، الذى كان وقتذاك فى منطقة « الرى » باقليم الجبل • وكان ذلك فيما بين سنتى ٣٢٦ ، ٣٢٨ هـ (نوفمبر ٩٣٧ — ٣٨ أكتوبر ٩٣٨) •

كما سار لشكرى بن مردى الديلمى الى أرمينية ، التى توغل فيها حتى وصل الى اقليم الجزيرة ، حيث كان يطمع فى ثروات الموصل وديار ربيعه ، التى لم يكن لديها آنذاك حاميه قوية تدافع عنها لقله سكانها • اما ديسم بن ابراهيم فقد وصل الى منطقة انتريفاتسك أو « المزوازان » ، التى كان يحكمها وقتذاك « اطوم بن جورجى بن أبى بلج » الذى كان يمت بصلة القرابة للملك الفاسبوراكان جاجيك بن ديرنيك وتابعه^(٣) •

أما بالنسبة للنشاط الاسلامى وقتذاك فى المناطق الأرمينية

Canard : Hist. des la Dyn. des Hamd., P. 456.

(١)

(٢) الذهبى : دول الاسلام (مخطوطه) ورقة ٥٨ •

Canard : Ibid., PPP. 456 - 457.

(٣)

واقاليمها ، فتورد الروايات ذكر حملة اسلامية لم تحدد تاريخها بدقة ؛ وان ذكرت انها كانت بعد سنة ٥٣٤هـ (٩٣٦م) • وان هذه الحملة قدمت من اذربيجان فيما يرجح • وقد واصلت الحملة سيرها الى مدينة دوين عبر مقاطعتي جغطن Goghten وناختشيفان Nachitchevan وأصيب الملك أباز الأرمني بهزيمة فادحة امام قوات هذه الحملة ، مما اضطره للفرار الى اقليم جورجيا Georgia ، حيث ساعده جاجيك بن ديرنيك الاردزورنى ملك اقليم الفاسبوراكان ، الذى تبنى بنفسه مسئولية محاربة المسلمين • وقد تمكن جاجيك من دخول دوين (الاسلامية) وفرض على من بها من المسلمين اتاوة (جزية) كما فرض عليهم تسليم بعض الرهائن ضمانا للالتزام بالاتفاق معه ، بعد ان خربت قواته المدينة وحرقت ضواحيها ونهبت دورها (١) •

ومن الملاحظ ان المؤرخين المسلمين لم يوردوا شيئا عن هذه الحملة • ولذلك فليس من اليسير معرفة اسم الامير المسلم ، الذى قاد الحملة المضادة على دوين لتخايفها من القوات التى هاجمتها : هل هو ديسم بن ابراهيم بن شاذلوية ؟ أم لشكرى بن مردى الديلمى ؟ أم هو حسين بن سعيد الحمدانى ؟ أم ناطف ؟ أم مرزبان بن محمد بن مسافرين سار بعد سنة ٥٣٣هـ (٩٤١/٩٤٢م) ؟

على أى الاحوال ، فان اختفاء الاسرة الساجية من مسرح الاحداث فى اذربيجان ، فى هذا الوقت ، عرض النفوذ والوجود الاسلامى فى هذه الأصقاع لموقف حرج • اذ صار امراء المسلمين فى دوين واذربيجان عاجزين عن بسط سيادتهم على ما تحت يدهم من بلاد أرمنية ابان الثلاثينات من القرن الرابع الهجرى (٢) •

والجدير بالذكر ان مملكة اردزورنى الأرمنية ، كانت من صنع يوسف بن أبى الساج (الحاكم المسلم) على اذربيجان • ذلك انه

(١) Grousset : Hist. de L'armenie P. 465 - 66, + Brosset : Hist. de L'Ardzrouni P. 241, + Laurent : Bagratuni P. 86.

(٢) Brosset : Hist. de L'Ardzrouni, P. 242, + Grousset : Hist. de L'Armenie, P. 466.

اراد بذلك عرقلة نمو الاسرة البجراطية ومملكتها . ولذلك قرر منح
المرتبة الملكية لاسرة اردزرونى الاقطاعية الأرمنية ، ليصير ولاؤها
اليه ، فيضمن بذلك ولاء المنطقة التى يحكمونها — وهى اقليم
الفاسبوراكان — بواسطة أحد أفراد تلك الاسرة وهو : جاجيك بن
جريجور ديرنيك ، وذلك منذ عام ٩٠٩م (٢٩٦ — ٢٩٧هـ) (١) .

فلما قام يوسف بن أبى الساج بحركته التمردية على سلطة
الخلافة العباسية اوائل القرن الرابع الهجرى ، ابان حكم الخليفة
المقتدر بالله (٢٩٥ — ٣٢٠هـ) ، حرص الخليفة — نتيجة لذلك — على
انتزاع اقليم الفاسبوراكان من نطاق نفوذ بنى الساج حكام اذربيجان .
وقد جاءت هذه الاحداث والتطورات فى وقت كان الملك الاردزرونى ،
قد بدأ يجاهر بتحديه سلطة بنى الساج عليه . فاستغل الخليفة
هذا الوضع ، وأعلن حسن نواياه تجاه اقليم الفاسبوراكان وحكامه
ودلك على ذلك بأن ارسل الى الملك الاردزرونى تاجا ملكيا ، دليلا
على اعتراف الخلافة العباسية به ملكا على اقليمه سنة ٣٠٤هـ
(٩١٦م) . وكرر ذلك سنة ٣٠٦هـ (٩١٨م) ، حين سارت قوات
الخلافة لمقاتلة ابن أبى الساج (٢) .

ولا يخفى ان الخلافة العباسية كانت تريد ، بمحاولة
احتوائها لحكام الفاسبوراكان ، ضمان وقوفهم الى جانبها ،
وكان ذلك ابان حكم جاجيك بن جريجور ديرنيك (٢٩١ — ٣٣٣هـ)
(٩٠٤ — ٩٤٣م) (٣) ، الذى اتسمت الفترة الأولى من حكمه بنمو
كبير فى سلطته وممتلكاته ، وكان النطاق الأولى لامتلاكات الاردزرونية
فى اقليم الفاسبوراكان . هو اقليم الالبق الكبير (أو أغبج) . ثم
ما لبثت الاسرة أن أحكمت سيطرتها على كل اقليم الفاسبوراكان ، فى
عهد آشوط بن حمزة وأبى جريجوريك — الذى كان قد توفى منذ ٨٢٤م —
: قد اقتسم جاجيك ممتلكاته مع أخيه جورجى المكنى بـ « مرزبان » ،

Canard : Ibid., P. 469.

(١)

Grousset : Hist, de L'Arménie, P. 466.

(٢)

Grousset : Ibid., P. 463.

(٣)

الذى كان من نصيبه المقاطعات الواقعة جنوب شرقى بحيرة أورمية Urmia . أما جاجيك ، فاحتفظ بالمقاطعات والاقاليم الواقعة شرقى البحيرة^(١) .

والمعروف ان نطاق السيادة الأردزرونية الأرمينية الاقطاعية فيما بين عامى ٣٠٤هـ / ٩١٦م وحتى سنة ٣٣١هـ / ٩٤٣م ، كان يمتد غربا حتى منطقة سئرت Seért ، وجنوبا حتى نهر الزاب الكبير ، وشرقا حتى بحيرة أورمية بوشمالا حتى جبال آراوات الرس (الأراكس Araz) وقد استطاع جاجيك أن ينتزع قلعة أميوك Amiuk من آل قيس انحاكمين لها واحتل جنوبى بحيرة فان Wan , Van ، أى اقليم موق أو موق Mokk ، الذى كان تحت سيطرة بجراتية غير مستقلة^(٢) . كما كانت لجاجيك بن جريجور ديرينك أمير الفاسبوراكان علاقات مع الدولة الحمدانية فى عهد سيف الدولة الحمدانى^(٣) .

أما فيما يختص بالموقف بين جاجيك وأسرته الأردزرونية وبين أذربيجان وحكامها المسلمين ، فقد سبق أن فوهنا بتعرضه للتوتر ، بسبب هجوم حكام أذربيجان على اقليم الفاسبوراكان سنة ٣١٩هـ (١٧ سبتمبر / ١٦ أكتوبر ٩٣١م) . كما تمكن لشكرى بن لشكرستان — الذى فر من أذربيجان من مواجهة ديسم بن ابراهيم بن شاذلويه — من اجتياز اقليم الفاسبوراكان فى طريقه الى اقليم الجزيرة ، وذلك فى صيف عام ٣٣٦هـ (فيما بين ٨ نوفمبر ٩٣٧م و ٢٨ أكتوبر ٩٣٨م حسب رواية أخرى) . فيذكر ابن مسكويه^(٤) أن لشكرى بن لشكرستان وصل الى زوازن قرب القلعة التى كان يقيم بها أطوم بن جورجى . وقد طلب أطوم من لشكرى بلطف ألا يتسبب فى أذى الأرمن ، حفاظا منه للمعاهدة التى تربطهم بالمسلمين .

Canard : Hist., de La Dynastie Hmadianides, P. 469.

(١)

Canard : Ibid., P. 469.

(٢)

Canard : Ibid., P. 470.

(٣)

(٤) ابن مسكويه : تجارب الامم ج ٢ ص ٣٩٨ — ٤٠٤ .

لكن أطوم لم يكن مخلصا في رجائه ، بل كان يدبر للإيقاع بلشكري وجنوده ، وفعلا هجم على لشكري ونهب ماشية معسكره ، واقتادها عبر ممر ضيق كان رجال اطوم يرابطون في اعلاه . فلما رأى لشكري وجنوده ذلك ، هبوا للبحث عن الماشية المفقودة ، فأوقع بهم رجال اطوم وقتلوا لشكري بن لشكرستان ^(١) ، بينما هرب من كان معه من جنود الى عقبة التنين ^(٢) . ولكن اطوم باغتهم بقواته في واد ضيق ودرهمهم ، تحت وابل من الصخور التي دحرجها الأرمن من قمة الجبل . وكان عدد من قتل في هذا الحدام من رجال لشكري لا يقل عن خمسة آلاف رجل ، فلم ينج من جيشه الا نفر يسير ، وصلوا هاربين — بمشقة بالغة وفي اعياء تام — الى ناصر الدولة الحمداني في الموصل ، ومعهم لشكرستان بن لشكري . وبذلك يكون جاجيك الاردزروني قد قضى — بفرسانه الأرمن — على نفوذ الديلمية في منطقة الانتريفاتسك ^(٣) .

وكان الديلمية — ومنهم لشكري وابنه لشكرستان بن لشكري — يهدفون الى الوصول للجزيرة والسيطرة على مناطق ازورستان وسورستان وأشور . وقد أمكنهم الوصول فعلا الى مدينة هدامكرت — في مقاطعة البقي — التي تعرضت لهجماتهم ، ثم تجمعوا بعدها في الانتريفاتسك . وربما كانت هذه الواقعة ونتائجها الايجابية في صالح جاجيك واتباعه الأرمن سببا في اطالة حكم هذا الرجل الى سنة ٩٤٣م ^(١) .

وقد طلب ناصر الدولة من لشكرستان بن لشكري وفلول قوات أبيه أن يلتحقوا بقوات بجكم التركي المرابطة في مدينة واسط . ولم يبق لدى ناصر الدولة من فلول قوات لشكري الديلمية سوى خمسمائة

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٧٣ (حوادث ٣١٩هـ) .

(٢) عقبة التنين او جبل التنين شمالي خابور الحسنية على حدود املاك ناصر الدولة . ياقوت : معجم البلدان .

(٣) ابن مسكويه : تجارب الامم ٢/٣١٨ و ١٠٤ .

(٤) Runciman : Romanus Lecapenus, P. 157 + Brosset : Hist. de L'ardz., P. 243.

جندى بقائدهم • وكان بجكم آنذاك يشغل منصب « امير الامراء » خلفا لابن رائق ، الذى كان قد ترك واسط منذ شهر ذى القعدة ٣٢٦هـ (سبتمبر ٩٣٨م) (١) •

اما على جبهة المواجهة بين (الحمدانيين والبيزنطيين) فقد استطاع سيف الدولة الحمدانى سنة ٣٢٦/٣٢٧هـ (٩٣٨م) ان يحرز نصرا باهرا على يوحنا كوركواس وقواته فى اعالي اقليم الجزيرة ، فى موقعة دارت رحاها فى المنطقة الواقعة بين حصنى زياد وسلام • وكان هذا النصر مما شجع سيف الدولة الحمدانى على المضى قدما لغزو أرمينية ، حتى استطاع فعلا أن يرغم كثيرا من الأرمن والكرج على الاعتراف له بالسيادة عليهم (٢) • ثم واصل سيره حتى وصل الى بلاد الأرمن الواقعة تجاه الأراضى البيزنطية • فدخل الجهات المجاورة لكونيا عام ٣٢٨م/٩٤٠م وذلك ردا على اعتداء الروم على كفرنوتا من أعمال اقليم الجزيرة الذى عملوا فيه قتلا وسبيا وتخريبا ونهباً ، وكان ذلك فى السادس من صفر ٣٢٨هـ (الموافق ٦ أكتوبر ٩٤٠م) (٣) ، وهو ما سنورده مفصلا فى موضعه •

ولا جدال فى ان حروب سيف الدولة الحمدانى على الجبهة الأرمينية البيزنطية كانت من نوع الحروب الوقائية التى استهدفت منع بيزنطة من تهديد المناطق التى يحكمها الحمدانيون فى الموصل والجزيرة ، وذلك لو سيطروا على المناطق الأرمينية • كما كان يهدف الى استرجاع ما اخذته الامبراطورية البيزنطية من أراضى فى اقليم الجزيرة • ولذلك لا نتعجب اذا ذاع صيت سيف الدولة فى القرن الرابع الهجرى بين جنبات عالم الاسلام — شرقا وغربا — لا على انه « امير حلب » بل على انه بطل الجهاد الاسلامى ضد الروم • وهذه حقيقة اعترف بها حتى المؤرخون الاجانب امثال كنارد وغيره (٤) •

Canard : Ibid., P. 457.

(١)

(٢) العرينى : الدولة البيزنطية ص ٣٥٣ •

(٣) الهامى : التوفيات الالهامية ص ١٦٤/١٦٥ •

Hist. de la Dynastie de Hamdanides, P. 747.

(٤) راجع كنارد

وانه لولا ما وقع من صراع داخل أسرة دولة الخلافة العباسية ، لمضى سيف الدولة قدما في فتوحه ، ولما توقف لانشغاله بالتدخل لاصلاح الأحوال داخل البيت العباسى في بغداد (١) .

أما ديسم بن ابراهيم بن شاذلوية ، فعناد ليواضل توغله في أذربيجان حتى وصل الى حدود المنطقة الخاضعة للحمدانيين ، وكانت خالية من أية حامية أو قوة دفاعية . بحيث كان من اليسير عليه دخول المناطق الحمدانية في الموصل وديار بكر دون حرب أو مقاومة . وكان ناصر الدولة — بعد هزيمة ناظف السابق الاشارة اليها سنة ٣٢٦/٣٢٨ هـ — قد كلف ابن عمه حسين ابن سعيد الحمدانى ان يتولى حكم هذا الاقليم (٢) .

ومن ناحية أخرى . انتهر ناصر الدولة الحمدانى رغبة لشكرستان ابن لشكرى بن لشكرستان الديلمى في الانتقام ، فأوفد معه حسين ابن سعيد الحمدانى بقوات لشكرستان مع قوات من الديلمة والجبليين ، الى القسم التابع له من أذربيجان حيث كان ديسم بن ابراهيم بن شاذلوية قد اقترب من هذا القسم بغرض الاستيلاء عليه . وفى ذلك بذكر أبو فراس الحمدانى — أخو حسين بن سعيد الحمدانى وشاعر الأسرة الحمدانية — فى احدى قصائده أن حسين هزم ديسم ، وطرد اعداء أردبيل ، واخضع أذربيجان (٣) . بينما يذكر ابن الأثير مؤكداً ، انه بعد معارك مع ديسم ، رأى حسين بن سعيد الحمدانى ، انه ليس لديه قوة كافية تمكنه من مواصلة القتال . ولذلك ترك حسين بن سعيد أذربيجان فى يد ديسم بن ابراهيم الذى دخلها ، فى الفترة ما بين غرة المحرم وآخر ذى الحجة من عام ٣٢٦ هـ (٨ نوفمبر ٩٣٧م و ٢٨ أكتوبر ٩٣٨م) . وان ناصر الدولة الحمدانى عاد الى ولايته بعد ان أخلاها بحكم أواخر عام ٣٢٧ هـ (آخر عام ٩٣٨) (٤) .

Ostrogorsky : Hist, of Byz, State, P. 245.

(١)

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٥٠

(٣) أبو فراس : ديوانه ص ١٦ (مخطوطه برلين ١٥٩/٥)

(٤) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة ٣٢٧/٣٢٨ هـ .

والجدير بالذكر ان حسين بن سعيد الحمداني كان ابان الحملة التي قادها ناصر الدولة الحمداني ضد بجكم في اذربيجان • مشتركا في المارك التي دارت رحاها آنذاك في ديار ربعة • كما انشغل ناصر الدولة بعد ذلك بوقت قليل بمراقبة تطورات الاحداث في بغداد عاصمة الخلافة العباسية ليرصد حركات النطامحين والطامعين في السلطة والمناصب الكبرى ، وبخاصة منصب امرة الامراء ، وهو المنصب الذي كان ناصر الدولة نفسه ، يرنو اليه بناظرة ويهفوا اليه بفؤاده • لكن عندما تم تعيينه « أميرا للأمراء » لم يعد لديه القدرة الكافية ، لتوجيه بعض قواته في عمليات خارجية • وكان ذلك بسبب انشغاله بالصراع ضد البريديين من جهة ، وبعض أتباعه المتمردين من جهة أخرى • الا انه مع ذلك كله لم يهمل أمر الولايات الشمالية^(١) •

ويخبرنا الصولى — في كتابه اخبار الراضى بالله والمتقى لله — ان ناصر الدولة الحمداني ، قلد ابن عمه حسين بن سعيد الحمداني عمل ولاية أرمينية واذربيجان معا سنة ٣٣١هـ وان ناصر الدولة بعد هزيمته امام توزون التركى ، تخلص مؤقتا عن فكرة العودة الى بغداد ، واتجه باهتمامه صوب الولايات الغربية للدولة العباسية • فوقع اختياره على منطقة شمال سورية ، كما انه عاود التفكير مرة أخرى في اذربيجان انقضى كان قد وليها واستقر فيها حاكم أو وال آخر^(٢) •

وكان ديسم بن ابراهيم بن شاذلوية ، قد تخلى عن وزيره الذي فر والتجأ الى محمد بن مسافر سالر^(٣) • وفى هذه الأثناء (٣٢٩/٣٣٠هـ) وقعت مأساة عائلية في أسرة محمد بن مسافر هذا • اذ سجنه ولداه وهسودان ومرزبان • ثم استولى الأول على السلطة ، اما الثانى (مرزبان) — وكان مغامرا كبقية زعماء الديلم — فانه استمع لمقترحات

Canard. Ibid., 458.

(١)

(٢) الصولى : اخبار الراضى والمتقى لله •

(٣) هو أمير ديلمى صغير من أسرة الكنجاريين السالريين أصحاب

شامران بمقاطعة طاروم •

Canard. Ibid., P. 459.

وزير ديسم بن ابراهيم ، الذى شجعه على غزو اذربيجان وطرد ديسم منها . ولذلك عندما زحف مرزبان بن محمد بن مسافر سلار ، انفض جنود ديسم الديالة عنه — أى عن ديسم — كما تخلى عنه بعض جنوده الاكراد ، فلم يعد امام ديسم سوى الالتجاء الى صاحب (أو حاكم) اقليم الفاسبوراكان الأرمنى جاجيك بن ديرنيك ، الذى كان على علاقة طيبة معه . وظل ديسم مقيما فى اقليم الفاسبوراكان تحت حماية جاجيك الأرمنى ، منتظرا اللحظة المناسبة للانتقام . لكنه لم يلبث الا قليلا ، حتى وقع فى يد غريمه ، الذى اكرمه واسكنه فى احدى قلاع الحصينة ، متظاهرا باكرامه ، بينما هو فى واقع الامر اعتقال وتحديد اقامة . وبذلك اصبح مرزبان بن محمد بن مسافر سلار سيدا لا منازع له على اقليم اذربيجان كله ، والپانيا ، وأرمينية^(١) .

لكن ناصر الدولة الحمدانى لم يستسلم لوقوع اذربيجان خالصة « لمرزبان السلارى » وانما سعى جاهدا لاسترجاعها . فأرسل حملة بقيادة حسين بن سعيد^(٢) . لطرد مرزبان منها . ويبدو ان هذه الحملة لم تقم قبل عام ٣٣٣ هـ (٩٤٤/٨/٢٤ م)^(٣) . وذلك لان حسين بن سعيد كان حتى عام ٣٣٢ هـ مشغولا فى سورية ، التى طرده منها محمد بن طفج الأخشيد حاكم مصر آنذاك^(٤) . فلما لم ينجح حسين بن سعيد فى مواجهة الأخشيد حاكم مصر وانتزاع جنوب بلاد الشام منه ، عاد الى الموصل ، بعد ان تخلى عن مطالبة فى سوريا (شمال بلاد الشام) لابن عمه بسيف الدولة الحمدانى^(٥) .

اختار حسين بن سعيد الحمدانى اللحظة المناسبة للتدخل فى اذربيجان منتهزا فرصة انشغال مرزبان بن محمد بن مسافر سلار « بالحرب ضد بعض الغزاة القادمين من الشمال ، وهم الرسيون — القاطنين بمنطقة وادى نهر الرس Rus — وكانوا محاربين اشداء .

(١) Canard : Ibid., P. 462.

(٢) كان حسين بن سعيد الحمدانى قد تقلد قبل ذلك عمل اذربيجان

(٣) الهامى : التوقيعات الالهامية ص ١٦٧ .

(٤) Canard : Ibid., P. 459.

(٥) Canard : Ibid., P. 459 - 60.

وقد قدموا عن طريق بحر قزوين ، ثم صعدوا عبر نهر كر Kur — قرة أو قوره — ، حيث نهبوا مدينة برذعه وخربوها ، وجمعوا غنائمهم وأسراهم في موضع حصين يسمى شاهرستان الذي استولى عليه مرزبان بعد انتهاء حروبه ضد الروس^(١) .

في هذا الوقت الحاسم (حول ٣٣٣ هـ) وصل حسين بن سعيد الحمداني الى مدينة سلماس Salmas — الواقعة غربى بحيرة أورمية — بعد أن انضم اليه الأكراد ، القاطنين منطقة نهري الزاب جنوب غربى بحيرة أورمية^(٢) . وقد كان من الممكن أن يواجه مرزبان محمد بن مسافر سلاز موقفا عصبيا ، حيث كان عليه أن يحارب في جبهتين في آن واحد ، فيمضى بنفسه لمواجهة حسين بن سعيد الحمداني ، بينما يستمر أحد قواد جيشه في حصار الروس . لكن بعض عوامل السهول في تعجيل موقف مرزبان ، مما ساعده على التغلب على هذه المواجهة الوشيكة الوقوع ، والا لكان مرزبان قد تعرض لهزيمة محتملة أو ربما مدمرة من حسين بن سعيد الحمداني وجيوشه^(٣) .

ويذكر ابن مسكويه^(٤) أنه منذ الاشتباك الأول بين مرزبان وبين حسين بن سعيد الحمداني في منطقة اران Auran — لعله يقصد أران الحالتي بالقرب من سلماس — كان الجليل قد هطل بكميات كبيرة ، بينما شاعت الفوضى في قوات الحمداني ، التي كانت تتشكل في معظمها من غرب البادية . فتركوا ميدان القتال ، مما اضطر الحمداني للتقهقر منسحبا الى موضع حصين ، بينما عاد مرزبان لقتال الروس الذي مالبثوا أن اخلوا البلد .

أما أبو قران الحمداني فيورد — في ديوانه — ان حسين بن سعيد الحمداني اجتاز أراضى أذربيجان مع جنده حملة الرماح ، وان

(١) ابن مسوية : تجارب الامم ٦٢/٢ ،

Minorowsky, B. S. O. A. S., Vol. XI 2, P. 264.

(٢) ابن حوقل النصيبى : صورة الأرض ص ١٥٦ ، ٢٣٩ ،

Canard : Ibid., P. 460.

(٤) ابن مسكويه : تجارب الامم ٦٣/٢ — ٦٧ .

مرزبان بن محمد بن مسافر سالار أقر لحسين بن سعيد الحمداني بالجزية^(١).

ويبدو أن حسين بن سعيد الحمداني مكث بعض الوقت في اقليم أذربيجان . فيذكر ابن مسكويه أن ناصر الدولة استدعاه أوائل عام ٢٣٣٤هـ/٩٤٥م ، بعد وفاة أوزون التركي أمير الأمراء في المحرم ٢٣٤هـ (٨/١٣ — ١١/٩/٩٤٥م) ، بينما فكر وزيره أو كاتم سره « ابن شيرزاد » في أن يخلفه — يخلف توزون — ناصر الدولة الحمداني . حيث بدأ أن ناصر الدولة ، هو الشخصية الوحيدة ، القادرة وقتذاك على التصدي للتهديد الذي يضغط به أحمد بن بويه الديلمي (معز الدولة) على عاصمة الخلافة العباسية . لكن الجيش العباسي فشل ارتقاء ابن شيرزاد نفسه المنصب ، أنذى كان يشغله توزون التركي قبل وفاته ، أي منصب « أمير الأمراء » وبذلك صار ابن شيرزاد أميراً للأمراء^(٢).

ومن ناحية أخرى كان ناصر الدولة الحمداني يتوقع نشوب معارك في العراق . ولذلك أراد أن يحشد قواته . فاستدعى ابن عمه حسين بن سعيد الحمداني الذي ترك أذربيجان ، ليبقى المرزبان سيداً لا منازع له على أذربيجان وألبانيا ، وسيداً على منطقة أرمينية^(٣).

وهكذا يجانب التوفيق الحمدانيين في محاولات بسط سيطرتهم ونفوذهم على اقليم أذربيجان . وذلك على عكس ما رواه أبو فراس الحمداني شعراً في ديوانه من أن مرزبان بن محمد بن مسافر سالار ، اضطر في وقت ما أن يقبل بدفع الجزية لحسين بن سعيد الحمداني . كما يبدو أن ناصر الدولة تخطى — بعد ذلك عن كل رغبة له في التدخل

Canard : Ibid., P. 460.

(١) أبو فراس : ديوانه . و

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٥٠ و ابن مسورية : تجارب

الأمم ٨١/٢ — ٨٢ .

(٣) ابن حوقل : المصدر السابق ص ٢٥٠ .

Canard : Ibid., P. 462.

(٤)

في اقليم اذربيجان من جديد . وسنرى فيما بعد ان ديسم بن ابراهيم بن شاذلوية قدم الى الموصل عام ٣٤٢هـ (٩٥٣/٩٥٤م) بلمس المساعدة من الحمدانيين ، تلك المساعدة التي قدمت له بعد ذلك بسنتين تقريبا سنة ٣٤٤هـ (٩٥٥م) بواسطة سيف الدولة^(١) .

والحق ان هناك من الاسباب الكثيرة ما اسهم في فشل محاولات الحمدانيين بسط نفوذهم على اذربيجان عام ٣٣٣هـ : ذلك ان ناصر الدولة الحمداني انشغل بمطامح أخرى ، حيث كان مطلبه الرئيسي هو فتح بغداد والسيطرة عليها ، في وقت كان المطلوب منه الوفاء بالتزامات عسكرية أخرى . ولذلك لم يتمكن من تجهيز حملة قوية مدعمة لجبهة اذربيجان . كما يبدو ان النقص الكبير في القوات غير العربية القادرة على الحرب في اقليم جبالى ، ذو شتاء طويل وقاس ، كان أيضا من اسباب فشل حملة الحسين بن سعيد الحمداني .

أما الموقف بالنسبة لمرزبان فكان بالتأكيد عكس ذلك . اذ كان لديه جيش قوى ، كما أن صعوبة المواصلات بين منطقة اقليم الجزيرة واذربيجان تعد عاملا هاما من عوامل فشل الحمدانيين في هذه الجبهة . ذلك ان الطريق الموصل من الموصل الى شنو وأرمية عبر طريق اربيل Arbil ورواندروز ومضيق أشين ، كان طريقا صعبا وعرا ، فضلا عن عدم تيسر استخدامه معظم ايام السنة ، وكذلك الحال بالنسبة لطريق الزاب الكبير^(٢) .

أما على الجبهة الأرمنية ، فيمكن القول ان ناصر الدولة الحمداني أحرز نجاحا أكبر قليلا . اذ وسع نفوذه بالسيطرة على اقليم شبه مستقل ادعى له بدفع الجزية المطلوبة^(٣) .

وكانت أرمنية — المقسمة الى عدد كبير من الامارات الاقطاعية — قد استطلاعت ان تحتفظ — منذ المعاهدة التي سبق ابرامها مع حبيب

Canard : Ibid., P. 462.

(١)

Canard : Ibid., P. 462.

(٢)

(٣) البلازرى : فتوح البلدان ص ٢٠٠ و ياقوت : معجم البلدان .
Laurent : L'Arménie. P. 33 - 34.

ابن مسلمة منذ سنة ٦٣٣ هـ (٦٥٣ م) - حين كان معاوية واليا على بلاد الشام - باستقلالها وحكمها الذاتي ، مقابل بعض التزامات : كان من أهمها دفع جزية سنوية أداها امراء الأرمن سنويا للوالي المسلم - ممثل امير المؤمنين والدولة الاسلامية - في أرمينية^(١) . وكان مقر الامير أو الوالي المسلم هناك يقع في جنوب البلاد الأرمينية . وان كان الوالي على أرمينية لم يكن ، في الغالب يقيم في مقره هناك ، بسبب مسؤوليته عن ادارة اقليم آخر مجاور لها مثل أذربيجان أو غيرها . ولذلك ظلت أرمينية - لمدة طويلة - تابعة لمنطقة ديار بكر ، حين كانت هذه تحكم بواسطة « عيسى بن الشيخ » وخلفاؤه بنى شيبان ، ثم صارت تابعة لأذربيجان ابان حكم بنى الساج حتى نهاية حكمهم^(٢) .

ومن ناحية أخرى ، نجد ان الروم ، في أواخر حكم رومانوس الأول (ليكاينوس) البيزنطي (٩١٩ - ٩٤٤ م) وخلال أفراد قسطنطين السابع (بورفيريوجنتس) بالحكم (٩١٣ - ٩١٨ و ٩٤٥ - ٩٥٩ م)^(٣) ، ركزوا اهتمامهم وجهدهم على الجبهة الشرقية البيزنطية ، وبخاصة جبهة الثغور الشامية . ولعل ذلك كان بسبب تخوفهم الشديد من المسلمين ، الذين أحرزوا انتصارات باهرة على قوات بيزنطة - عقب عزل يوحنا كوركواس - وذلك بفضل بسالة وجلاء سيف الدولة الحمداني ، الذي استطاع ان يمد نطاق نفوذه ليشمل المنطقة من طرسوس بالشام الى البلاد الأرمينية ، وهو وضع خلق قلقا كبيرا لبيزنطة ليس من الممكن أن تتجاهله لخطورته^(٤) .

ولذلك فمنذ اللحظة التي صارت فيها حلب الشهباء - في سوريا - هي حاضرة سيف الدولة الحمداني ، انتقل ميدان الصراع البيزنطي

Laurent : Ibid., P. 34.

(١)

Canard : Ibid., P. 462 - 463.

(٢)

(٣) قسطنطين بورفيريوجنتس : ادارة الامبراطورية البيزنطية

ص ٢٣٥ (تعريب محمود سميد عمران) .

(٤) أسدرستم : الروم ج ٢ ص ٩٢ و .

Canard : Ibid., P. 761.

ضد المسلمين عامة والحمدانيين بخاصة ، الى منطقة امتدت رقعتها من قاليقية (كيليكيا) الى ديار بكر ، متحولا بذلك عن جبهة اذربيجان وأرمينية^(١) .

والحق ان الامبراطور قسطنطين السابع (بورفيروجنتس) استطاع خلال سنى حكمه الأولى — ان ينتصر على القوات الاسلامية في كل من اقليم الجزيرة ، والبلاد الأرمينية ، وكانت تلك الانتصارات مما شجعه على العمل للتأثر لما أصاب الروم من هزائم وكوارث على ايدى القوات الاسلامية (الحمدانية) . ولذلك يعتبر قسطنطين السابع أول من استهل عصر الحروب الصليبية في الشرق والغرب ، سواء عند الفرنج أو الروم على حد سواء^(٢) .

ففى خلال سنة ٩٣٩م (٥٣٢٨ هـ) قام الروم بمحاولة لفتح قاليقلا (ثيود وسيوبوليس) ومنطقتها ، التى يبدو أن المؤلفين البيزنطيين قد تجاهلوا ، ولم يتحدثوا عنها الى بعبارات غامضة . اذ أوردوا ذكر الحملة التى قام بها تيوفيل Theofilus أخو يوحنا كوركواس فى هذه المنطقة . وكان وضع قاليقلا — ذات المركز الاستراتيجى الهام والبارز على الحدود الاسلامية البيزنطية — ذا طبيعة خاصة متميزة . وذلك لأن جيرانها الجيورجيين (الايبيرين) — رغم ارتباطهم بالقسطنطينية ، وانهم كانوا اقرب الى الروم من الأرمن ، بحكم عقيدتهم الارثوذكسية — لم يكونوا راغبين فى وجود نفوذ بيزنطى فى منطقتهم ، وكانت الامدادات والمؤن تأتيهم عن طريق كتريون Ketzion — ومكانها ليس معروف حاليا — كما كانوا يعارضون تماما أى اعتداء على المناطق التى كان بها نفوذ عربى اسلامى^(٣) .

وقد استعرض الامبراطور قسطنطين السابع (بورفيروجنتس)

(١) العرينى : الدولة البيزنطية ص ٣٥٣ ، ٣٦٣ .

(٢) العرينى : الدولة البيزنطية ص ٣٦٨ ، ٣٧٠ .

Ramnaud : Hist., de l'Empire Grec., P. 436.

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd. P. 744.

(٣)

هذا الوضع بتفصيل مسهب ، متهما الجورجيين بسوء النية ، وتحدث عن الحصار التي استمر لسبعة اشهر وانتهى بالاستيلاء على قاليقلا (ثيودوسيوبوليس) ، وذلك دون ذكر تاريخ ن ذلك الاستيلاء^(١) . ولكن يبدو أن ذلك وقع بين سنتي ٣٢٩ ، ٣٣٢ هـ (٩٤٠/٩٤٣ م)^(٢) .

يذكر ابن ظافر^(٣) أن الروم شيدوا وقتئذ — للاستيلاء على القلعة ، وفي مواجهتها — مدينة تسمى (هافجيغ Hafjiyg)^(٤) — تقع شمال بنجول داغ عند منابع نهر الرس Arax . وكان الغرض من بناء هذه المدينة — بلا شك — هو منع وصول أي نجدة الى قاليقلا . وقد استغاثت الحامية الاسلامية هناك بسيف الدولة فلم يتأخر عن نجدة قاليقلا .

وفي مستهل عام ٣٣٨ هـ (٩٣٩ م) رحل سيف الدولة من ميافارقين ، حيث مر بمدينة منزيرت ، دون أن يعترض أمراء الأرمن طريقه . فلما سمع الروم بمقدمة سارعوا الى رفع الحصار بعد أن دمروا المدينة التي بنوها (هفجيغ) . وبذلك يكون النصر قد حسب مقدما في جانب سيف الدولة وقواته . وقد أمضى سيف الدولة شتاء ذلك العام في مدينة أرزن على مشارف أرمنية^(٥) .

وفي الربيع من عام ٣٣٨ هـ (٩٤٠ م) مضى سيف الدولة الى أرمنية ، حيث عقد هناك مؤتمرا في مدينة نزفان ، دعا اليه مختلف الامراء الأرمن ، وامراء العرب في أرمنية ، ليستوثق من حسن نواياهم ، في نفس الوقت الذي كانت عملياته ضد الروم مستمرة . وقد أخضع

(١) راجع قسطنطين بومفروجنس : ادارة الامبراطورية البيزنطية ص ١٦٧ — ١٧٢ .

(٢) راجع بومفروجنس : المرجع السابق ص ٢٨ .

(٣) ابن ظافر : اخبار الدول المنقطعة ورقة ١/٣ .

(٤) هفجيغ : مدينة جديدة بناها الروم شمال بنجول داغ : راجع :

Canard : Ibid., P. 480 - 481

(٥) ابن ظافر : المرجع السابق ورقة ٣/ب .

إسلاطنته بلاد السناسنة^(١) (السنسونيين) والطرون ثم مضى بعد ذلك إلى إقليم المرزيان — بند يقع بين الطارون ولواء خالديا (كالديا Chaldia) لان حملته كانت تستهدف حكومة تيوفيل (الشريف كما يورده بورفيروجنتس) ، أخى يوحنا كوركوانس * واستطاع سيف الدولة فعلا ان يقتحم لواء كالديا وان يستولى على كثير من مدنه وقلاع^(٢) .

وفي اثناء ذلك وردت رسالة من الامبراطور البيزنطى أو من الدومستيق ، لم يعرف فحواها ، وان كان من المحتمل أن يكون قد طلب الروم فيها وقف المعارك * ويبدو ان عبارات الرسالة اثارت غضب سيف الدولة ، فأرسل ردا قاسيا عليها للروم ، مما دفع امبراطور الروم الى القول أنه (أى سيف الدولة) يتكلم كما لو كان قد حاصر بالفعل مدينة كولونيا * « فلما علم سيف الدولة بمقولة الامبراطور هذه ، عزم على القيام بنفسه بحملة لمحاصرة مدينة كولونيا ، ولم يسمع لنصح المحيطين به ، اذ حذروه من خطورة هذا العمل الخطير ضد هذه المدينة الحصينة ، وقال لست أقلع عن قصد هذه المدينة فلما الظفر واما الشهادة^(٣) .

وأمام كولونيا — التى ضرب عليها سيف الدولة الحصار — كتب مرة أخرى خطابا للامبراطور البيزنطى ، معناه اننا قد جئنا فعلا وحاصرنا كولونيا فما أنت فاعل ؟ * وقد جعلت هذه الحملة سيف الدولة في نظر الروم من اخطر الاعداء ، فحاولوا مطاردته عند عودته ، لكنه أوقع بهم — كما يذكر ابن ظافر — هزائم متلاحقة في عدة مواقع^(٤) .

(١) بلاد السنسونيين أو السناسنة : وفي التعبير العامى في حلب يطلق على الأرمن الذين يتولون مهنة خبز الخبز في الأفران اسم (الصواصنة). وكانت هذه الحرفة قديما خاصة بهم (الأرمن) . وبلاد السناسنة منطقت جبلية تقع في جبال طوروس جنوبى طارون يقطنها عشيرة أرمنية من الصواصنة . راجع سالى الكيالى سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص ٢٠٧ — ٢٠٨ .

(٢) Canard : Hist. de la Dynastie des Hamdanides, P. 745.

(٣) ابن ظافر : الدول المنقطعة ٣/١ — ١ .

(٤) ابن ظافر : الدول المنقطعة و ج ١ ورثة ٣ ب .

Canard : Ibid., P. 746.

وقد ذكر أبو فراس الحمداني هذه الواقعة (واقعة حصار كولونيا) ، في قصيدة من قصائده ، أشاد فيها بعناد وصلابة الأمير سيف الدولة الحمداني وهو يقود قواته الى كولونيا Coloreai ، على الرغم من اعتراض من حذر الأمير ، والمتخوفين من عواقب هذا العمل من حاشية سيف الدولة ومستشاريه^(١) . وقد ذكر أبو فراس في قصيدته عن حصار كولونيا - في حوالى خمسة أبيات منها - كيف ان سيف الدولة جعل فرسانه على جانبي كولونيا ، وانهم امطروا هنزيط بوابل من قذائف المنجنيق ، وان الأمير ذاد فرسانه الى مرج قلبيز بهدى الاسلام وذكائهم . فهزم كوركواس ، والبطارقة الذين كانوا يحفون به ، وأصاب الروم ، بضربات عميقة أضعفت جيشهم اخضاعا شديدا ، على الرغم من كثافته وما حشدت له الامبراطورية من عتاد وذخيرة ومؤن ، وأن سيف الدولة أقام في كولونيا مدة ثم غادرها الى ميافارقين^(٢) .

وقد احدثت غارة سيف الدولة وانتصاراته في كولونيا ، قلقا بالغاً بين الروم ، الذين صاروا يستحثون يوحنا كوركواس على سرعة التصرف ، والتدخل بكل قواته لمحاربة القوات الحمدانية وأميرها ، في الوقت الذي ادرك فيه سيف الدولة بضرورة حسم الموقف بنصر نهائى وهو ما حققه فعلا^(٣) .

ونستطيع أن نتبين - من ورود ذكر حصن زياد أو يزيد وهنزيط (أو هنزيت) أن الأمير الحمداني عاد بقواته من طريق أنزيتين - ما يتفق مع اشعار أبى فراس الذى ذكر في قصيدته ان قلبيز كانت في طريق عودة الحملة من ورتانيس (ورتنيس) Wartanis ، وان ذلك

(١) أبو فراس : ديوان أبى فراس (مخطوط برلين) ص ١/٣١ ،
١/٣٩ ، نشر الدهان ص ١١٦ ، ١٤١ .

(٢) أبو فراس : ديوانه ص ١٤١ ونسخة برلين ورقة ١/٣٩ . و
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, P 747.

(٣) راجع ديوان أبى فراس (نسخة الرباط) ص ١٣٦ ، ١٣٧
والدهان ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٧٠ . وينسب ياقوت (في معجمه) ج ٤ ص ١٦٨
هذه الواقعة خطأ الى عام ٣٣٥هـ / ٩٤٦ / ٩٤٧ م .

يتعارض مع التصديق الذي أورده ابن حوقل لموقع قلبيز^(١) .

وقد أورد ابن ظافر ذكر حملة سيف الدولة على قلوونية (كولونيا) بشيء من التفصيل فقال^(٢) : « سار سيف الدولة حتى نزل على (كولونيا) ، واحرق رساتيقها ، وسلب ضياعها ، وكتب الى الدمستق وهو الى الملك — (يعنى ان الكلام موجه للامبراطور عبر قائدة «الدمستق») — كتابا من قلوونية . فاستعظم الروم هذا الفعل وخافوه خوفا عظيما ، لأنه (أى كولونيا) بلد لم يطأه أحد من المسلمين ، ثم رجع سيف الدولة منها فاعترضه الدمستق ، فأوقع به سيف الدولة ، وقتل من الروم مقتلة عظيمة لا يحصوها الا الله » .

كما يورد ابن الأزرق رواية أخرى عن حملة سيف الدولة هذه التى وقعت سنة ٣٣٨هـ (٩٣٩ — ٩٤٠م) ، فيذكر انه « . . . قيل وفي سنة ٣٣٨هـ سار سيف الدولة من ميافارقين الى أرمينية ، ونزل بطيطوانة (طوان)^(٣) Tadvan على بحيرة «فان» أو «وان» Van, Wan واستدعى (سيف الدرلة) ابن جاجيك (جاجيق) بن الديرانى (ابن ديرنيك) ملك واسبوركا (أو الفاسبوراكان) الذى توفى بعد ذلك عام ٩٤٣م Gagik B. Al Dayrani (جاجيك بن الديرانى) وأحمد ابن الرحمن أبى المعز صاحب خلاط وذات الجوز (القوز) وأرجيش وبركرى (بركرى) ، وعبد الحميد — (يورده كنارد أبو لشفيت عند الأرمن) — صاحب ملازكرد ودشته الورك والهرک ، وأشوط Achot بن جريجور بطريق^(٤) البطارقة بأرمينية ، وحضروا

(١) راجع ابن حوقل : صورة الأرض (مادة مرج قلبيز) .

(٢) ابن ظافر : الدول المنقطعة ورقة ٣/ب .

(٣) ابن الأزرق : ج ١ ص ١١١ — ١١٢ وسامى الكينالى : سيف الدولة ص ٢٠٦ — ٢٠٧ .

(٤) هو أشوط الثالث البجراتى (البفرى عند ابن الأزرق) وهو ابن طرنيق عند ابن ظافر . وكان لقب بطريق البطارقة يطلق على ملك الملوك فى أرمينية . وقد تمتعت أرمينية فى عهد أشوط الثالث البجراتى بالسلم والعدل والامان . راجع فيصل السامر : الدولة الحمدانية ٢ ص ١٥٧ حاشية ١٨ .

لديه واخذ من ابن الديرانى (جاجيك ديرنيك) حصن شهران والحامد وبلدانها وماجاورها . واخذ من أحمد بن عبد الرحمن بدليس وما جاورها واخذ من أشوط بلد السندسنة (ساسون) ، Qulb ، وفتحها وملك قلعة قلب — منطقة أو حصن سليمان وأعمالها — ، ورد ملوك أرمينية فوصلوا تحت حكمه وفي خدمته . وسار الى بلد ابن المرزبان ، وبلد الخالدية فنهيه وسبى منه خلقا عظيما ، وفتح حصونهم أجمع وذلك في مدة خمسين يوما وعاد «^(١)» .

كما يذكر ابن ظافر ان سيف الدولة الحمدانى تلقى في خلاط (اخيلات) ولاء ملك أرمينية وجورجيا ، الذى لم يسبق له أن قدم ولاء لأى انسان ، ولكنه الآن اضطر لتسليم الحمدانى القلاع التى كانت تضايق المسلمين ، وتعهد له بالمحافظة على تأمين الطرق ، وعدم قطعها على المسلمين . ثم ذهب سيف الدولة الى بلدان ابن طرنيق (ابن ديرنيك أو ابن الديرانى) ، وحاصر موث Much وغنم منها ، وتهدمت أثناء الهجوم والحصار كنيسة مشهورة بها^(٢) .

أما أبو فراس الحمدانى فيشير — في ديوانه — الى خضوع الامراء (الملوك) الجحافيون (السلاميون) بالقوة — بعد مقاومة غير مجدية — رغم انهم مقاتلين عظام . وهؤلاء الجحافيون من العرب ، وأهمهم أبو اليقظان الملاء بن مسلمة السلامى ، الذى حاصر سيف الدولة بلده ، واستولى عايتها . هذا بينما فر أبو اليقظان انى القسطنطينية ولم يصمد ، رغم الامدادات التى جاءت لإنجده وقدر عددها بنحو عشرين ألف رجل ، هزمهم سيف الدولة جميعا . ولما لم يجد أبو البقظان جدوى من المقاومة والخروج ، عاد ، ومعه اعدائه ، لتقديم الولاء والطاعة والاذعان لسيف الدولة . فقبل

(١) ابن الأرق : ج ١ ص ١١٠ — ١١١ و .

(٢) ابن ظافر : الدول المنقطعة ورقة ٣ ب و ١/٤ — ب كنيسة طارون المشهورة باسم صرب كاربث ؟

Canard : Ibid., P. 486.

تأمينه ، وأذن له بالعودة الى بلدته • وبعد ذلك سار سيف الدولة الى عبد المعز (سيد خلاط) وأبو سالم ، فاستولى على مدينها ، لكنه لم يلبث أن ردها اليهما وثبتهما عليها ، وبذلك صار عبد المعز أبو سالم من اتباع سيف الدولة^(١) •

على انه ليس من الواضح ما اذا كانت كلمة « الملوك الجحافيون » تنصرف الى الشخصيات الثلاث التي ذكرها ابن ظافر — وهم أبو اليقظان ، وأبو سالم (أو سليم) وأبو المعز (عبد المعز) أو الى أولها فقط ؟ ، وما اذا كان هناك جحافيون خلاف من يسميهم الأرمن « قيسية ؟ » ، أو أن التسمية العربية تشمل — هؤلاء وهؤلاء ؟ • والكل — على أية حال — أقرباء ومن قبيلة واحدة • وان كان يبدو أن « أبو اليقظان العلاء بن مسلمة » هو نفسه ابن مسلمة الذي ذكر اسمه وورد في الحروب العربية البيزنطية ، ولم يقل مصدر من المصادر اين يقيم^(٢) • على أنه من الحسير التوفيق بين هذه الرواية وبين ما أورده المؤرخ البيزنطي قسطنطين بورفيروجنتس^(٣) •

ففى نص ورواية ابن الأزرقي تاريخ الفارقي (تاريخ ميلافارقين) ، صحح ماركفرت عبارة « استدعى أحمد بن عبد الرحمن وأبى المعز » فحذف حرف الواو ، وجعل من أحمد بن عبد الرحمن وأبى المعز شخصا واحدا هو سيد خيلات (خلاط) ، وذات الجوز (التزيكية) ، وأرجيش ، وبيركرى ، وهو خلاف « أبى المعز » انذى ورد ذكره عند قسطنطين بورفيروجنتس ، والابن الاصغر لابو الأسود ، الذى تجرد من السلطة فى عهد أخيه عبد الرحيم ، وعمه أبو سواده (أبو لشفت) على ان المماثلة أو المطابقة بين أحمد بن عبد الرحمن — الذى هو « أخمت » عند بورفيروجنتس — وهو بن أبو سواده بالتبني ، وبين « أبو المعز » ، يؤيدها من جهة أن الاماكن التى ذكرت فى رواية

Canard : Ibid., P. 481.

(١)

Canard : Les Hamdanides et L'armerie, AIEO, VII, P. 88.

(٢)

(٣) راجع بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية البيزنطية

ابن الأزرق عقب اسم أبو المعز (عبد المعز) هي يعينها الاماكن التي ذكر بورفيروجنتس ، انها خصصت لاختم (أحمد بن عبد الرحمن) ، بواسطة والده بالتبني (أبو سواده) • وأنه — أي أحمد — احتفظ بها في عهد أبو سالم بمنزيرت ، كما يؤيدها أيضا ان ابن الأزرق لم يذكر اسم أحمد بعد ذلك بل ذكر اسم أبو المعز فقط • والمراجع ان أحمد ابن عبد الرحمن هذا المذكور سنة ٣٣٨هـ / ٩٤٠م ، والذي اغتاله أبو الورد الثاني ابن أبو سالم — كما ذكر بورفيروجنتس — لا يمكن ان يكون قد اغتيل الا بعد سنة ٣٣٨هـ (١) •

وعلى هذا فهناك اذن في عام ٣٣٨ هـ / ٩٤٠ م أميرين لمنزيرت واماكن أخرى ، سماه بورفيروجنتس « أبو سالم » — ولكن ابن الأزرق سماه عبد الحميد • وأمير في خيبرات وغيرها ، سماه بورفيروجنتس ، اختم « فقط » ، بينما سماها ابن الأزرق « أحمد بن عبد الرحمن أبو المعز » • هذا ، كما ورد اسم أبو المعز أيضا على لسان أبي قراس الحمداني ، الذي كان يعرف — خلاف أبو اليفطان العللاء بن مسلمة — أميرين آخرين هما : « أبو سالم وأبو المعز » (٢) •

والشيء المثير حقا في تاريخ هؤلاء الامراء الأرمين انصرف — كما صرح بذلك بورفيروجنتس — أن هؤلاء الامراء كانوا يدعون أيضا باسمائهم ، وحيانا أخرى بكنيتهم (أبو • • •) ، وأن « عبد الله » من الممكن ان تختلط بيسر مع « أبو ال • • • » • ولم يدرك — فضلا عن ذلك — توافق شخصين يحمل كل منهما اسم أبو المعز (أو بن عبد المعز) • وعلى أية حال ، ففي الوقت الذي كان يدون بورفيروجنتس تاريخه هذا ، بين سنتي ٩٤٩ ، ٩٥٢م ، كان أبو سالم (سلمس) قد توفي ، وحل محله أبو الورد الثاني • وكذلك كان أحمد (أبو المعز أحمد) قد اغتيل بيد أبو الورد الثاني ، الذي ضم الى اقطاعيته منزيرت ، سائر مدن بحيرة « فان » (٣) •

Canard : Hist. de la Dynastie Hamd., P. 482/3.

(١)

Canard : Ibid., P. 483.

(٢)

Canard : Ibid., P. 483.

(٣)

على أن ماورد في كلام أبو فراس الحمداني ، أتاح الفرصة لضبط نص ابن الأزرقي فيما يتعلق بالحاكم على مانزيكرت . ولما كان كل من ابن الأزرقي وأبو فراس الحمداني ، يتحدثان عن فترة واحدة وشخص واحد ، فلا بد أن يكون « أبو سالم » الذي ذكره أبو فراس و « عبد الحميد » الذي ذكره ابن الأزرقي أحدهما كنية والآخر اسما لشخص واحد . لان « أبو سالم » يطابق بوضوح في تاريخه اسم أبو سلمس (سالم) الذي أورده بورغويوننتس وأبو (سلمس) هذا اذن هو ذاته عبد الحميد صاحب منزيكرت . والراجع في هذه القضية — ان نقول بأن اسم سيد منزيكرت هو « ابن عبد الحميد » ، وان كلمة « ابن » قد سقطت اما بيد ابن الأزرقي أو بيد ناسخه . اما عن أبي فراس وبورغويوننتس فيحتل انهما لم يكونا يعرفان سوى كنية الشخص ، وأهم كل منهما واحدا أو أكثر من مكونات الاسم الكامل^(١) .

وايا كان الامر فانه يبدو ان ماركفارت قد اخطأ حين اعتبر أن « عبد الحميد » الذي ذكره ابن الأزرقي هو ابن أبو سالم (سلمس) الذي سماه قسطنطين خطأ « ابلبرت الثاني » (أبو الورد الثاني) والاسم الاخير صحيح تماما فهو « أبو الورد » سيد منزيكرت ونواحي أخرى^(٢) .

وليس من شك في ان اغتيال أبو المعز (عبد المعز) أحمد بن عبد الرحمن والابن المتبنى لأبي سودة ، كان سببه طموح أبو الورد ، وربما أيضا إلى اسباب عائلية تتصل بانسلاله الملكية . لان ابن عبد الرحمن من فرع أصغر بالنسبة الى سائر الأمراء ، ولذلك ربما اعتبر دخيلا على الأسرة المالكة . أما أبو المعز الآخر ، الذي جرد من سلطته لصغر سنه ، فنحن لا نعرف ماذا جرى له بعد ذلك ، وربما يكون قد أقصى من مناصبه بواسطة أبو الورد^(٣) .

Canard : Ibid., P. 483/484.

(١)

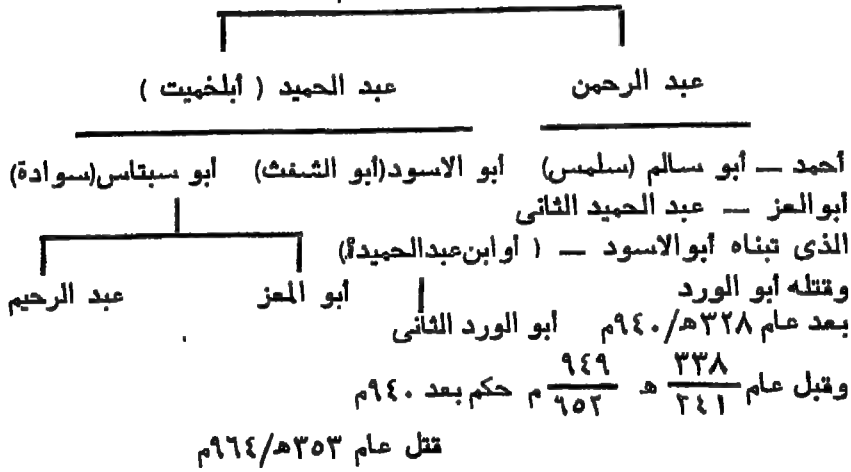
Canard : Ibid., P. 483.

(٢)

Canard : Ibid., P. 483/484.

(٣)

جدول انساب الأسرة القيسية
في القرن الرابع هـ / العاشر الميلادي
في أرمينية
أبو الورد الاول
٢٤٨ — ٢٥٣ هـ
(٨٦٢ — ٨٦٧ م)



وفيما يختص بباقي الامراء الأرمن الوارد ذكرهم في نص ابن الأزرقي ، فإن ابن جاجيق بن ديراني هو حقا ملك الفاسبوركان جاجيك بن ديرنيك ، اذا سلمنا بأن جاجيك لم يمت الا في عام ٩٤٣ م / ٣٣٢ هـ (ينبغي في هذه الحباله حذف كلمة ابن من النص) . وهو ابن ديرنيك اذا سلمنا بأن جاجيك توفي عام ٩٣٧ م .

أما أشسوط بن جرجير فهو آثسو بن جريجوريك أمير طارون الباجراتي ويسميه ابن ظافر ابن طرنيق ، اذا بن طرنيق — وهم اسم سلالي لهذه الأسرة في نظر ابن ظافر . لانه يطلقه أيضا على الأمير الذي تولى الحكم في طارون سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٥ م . ولا يمكن الاستدلال من نص ابن الأزرقي على وجه اليقين على ان أشسوط قد خلف اخاه بـنـجـارات ، وان كان هذا محتملا ، نظرا الى صفته كابن طبيعي بالنسبة الى اخيه باجارات .

أما أمير الأمراء فهو قطعاً الملك الجرجاني ، أقوى أمراء أرمينية (الأول بين أقرانه Primus Inter Pares) • وهو نفس الشخص الذي يدعوه ابن ظافر « ملك أرمينية وجورجيا » • ويبدو أمرا غريباً ، أن هذا الأمير الذي كانت ولاياته في معظمها بعيدة عن متناول الحمداني ، قد أتى من عاصمته النائية الواقعة شمالى نهر الرس ، لتقديم الولاء لسيف الدولة الحمداني • غير أن هذه الزيارة تتماشى تماماً مع روح سياسة التآرجح الأرمينية (سياسة لعبة التوازن) التي تراعى جانب العرب أحياناً ، والروم أحياناً أخرى ^(١) •

وقد طلب سيف الدولة من كل من هؤلاء الأمراء بعض الضمانات ، أى بعض المواقع والنقاط الاستراتيجية • وكان أهم تنازل — دون جدال — هو التنازل عن موقع مدينة بتليس ، الذى يشرف على الطريق الوحيد الصالح للانتقال من إقليم الجزيرة الى داخل أرمينية ، وكان تابعا لاحد الأمراء القيسية ^(٢) •

ولم يكن سيف الدولة الحمداني ليهتم في أوقات أخرى بمدينة بتليس لأنها كانت بيد أمير مسلم • ومع هذا يخبرنا النص الذى أورده بورشيو جنتس أن الأمراء العرب في أرمينية لم يكونوا ليتزددوا ، اذا تعرضت مصالحهم للخطر ، أن يضعوا أنفسهم تحت حماية الامبراطورية البيزنطية • لذلك اقام سيف الدولة بالمدينة حامية لكى يمنع وقوعها في يد البيزنطيين • ولا ندري ماهى النواحي التي طلب من ملك أرمينية أن يتنازل له عنها ، وإن كان الظن أنها قلاع على جانبي الطريق المؤدى الى قاليقلا • وفيما عدا ذلك فإنه طلب البه أن يضمن أن قواته وموظفيه ورسائله ، تستطيع التنقل بحرية على الطرق الأرمينية ^(٣) •

ويبدو أن حصن أميوك (حصن الحامد) كان من الأماكن التي طلب من ملك فاسبوركان التنازل عنها ، لكن ذلك غير مؤكد • وقد

Canard : Ibid., P. 484/485

(١)

Canard : Ibid., P. 485.

(٢)

Canard : Ibid., P. 485.

(٣)

تمسك سيف الدولة بنوع خاص بالسيطرة على منطقة ساسون « التابعة للطارون » ، وعلى موقع السناسنه (قلب Qalb) ، المشرف على الطريق المؤدى من منطقة أرزن الى الطارون . وكل ذلك — بلا شك — كان درءا لاحتمال سيطرة بيزنطة على الطارون (١) .

لكن يبدو ان هذه المناطق كانت مستقلة عن الطارون لدرجة ان سيف الدولة لم يقنع بالحصول على تنازل عنها له ، وانما أراد انقزاعها من ايدي الجبليين المعتاة الذين كانوا مسيطرين عليها ، وكان عليه ان يغزوها . ولعله تمكن — خلال غارة شننها على السناسنة — من غزو هوش ، كما يقول ابن ظافر ، ودمر كنيسة طارون المشهورة (صرب كاربنت ؟) (٢) .

ويذكر ابن الأزرقي ان سيف الدولة — بعد أن تلقى طاعة امراء الأرمن — ذهب الى بلد « ابن المرزبان » ، ثم الى منطقة خالدية (كلديا Chaldia) كلديا . وكان لقب مرزبان يحمله آنذاك في أرمينية جورجيين اخو جاجيك اردزروني ، الذي اقتسم معه اخيه هذا حكومة فاسبوراكان . لكن من المستبعد — ان لم يكن مستحيلا — ان يكون الأمر متعلقا به ، لأن اتجاه مسيرة سيف الدولة يشير الى قطر واقع بين أرمينية وبين لواء كلديا ، دون ان يمكن القول ان هذا القطر أرمني أو بيزنطي . ثم ان كلمة مرزبان في مخطوط ابن الأزرقي ليست مؤكدة تماما (٣) .

على ان من الصعب معرفة مدى سيطرة سيف الدولة الحمداني على أرمينية وما اذا كان قد احتفظ بالامكن المتنازل له عنها ، ودعم سلطانه عليها بصفة دائمة .

وسوف نرى — في أواخر حكم سيف الدولة — غلامه نجا كما سنرى ان خلفاء ناصر الدولة الحمداني يسيطرون على بتليس على الأقل .

Canard : Ibid., P. 486, No. 246.

(١)

Canard : Ibid., P. 486.

(٢)

(٣) ابن الأزرقي : تاريخ الفارقي (تاريخ ميافارقين) .

وعلى أى حال ، يمكن القول انه فى أعقاب الاستيلاء الكامل على منطقة الجزيرة ، استطاع الحمدانيون ممارسة بعض النفوذ — وبصفة مؤقتة — على أرمنيية ، وأن يوسعوا قليلا املاكهم من هذه الناحية • وقد أدى ذلك الى زيادة قوة الامارة الحمدانية فى نظر المسلمين عموما •

ومع ذلك فان الشئ الذى له مغزاه أن سيف الدولة اكتفى بتسليم بعض النواحي ، وبيع بعض التزامات الطاعة ، وبحقوق المرور • بينما لا تتحدث النصوص التى بين ايدينا عن أى اسهام مالى من جانب الأرمن • والحق ، ان سيف الدولة — كما يذكر كنارد — لم يكن يستهدف اخضاع أرمنيية بالفعل ، بقدر ماكان يقصد الى منع ارتمائها كليا فى أحضان الدولة البيزنطية^(١) •

كذلك لم يكن النشاط الاقليمى للحمدانيين ناحية أرمنيية يمثل فى الواقع شيئا هاما • انما كان النمو الاقليمى للامارة الحمدانية يتحقق فى الاتجاه الغربى فى شمال سوريا • حيث راحت تشكل امارة تعتبر — فى البداية — أساسا لامارة ما بين النهرين ، وتعتبر صورة منها ، وان اكتسبت — بعد قليل — أهمية — أكبر من أهمية الامارة الأولى وروعة لم تشهد امارة الموصل أبدا لها مثيلا^(٢) •

وقد أنفذت الحكومة البيزنطية فى عام ٨٣٢٩ هـ (أو ٨٣٢٨) حملة عسكرية لتأديب الأمراء الأرمن فأعلنوا ولاءهم للمسلمين ، وامتنعوا عن الهجوم على الأراضى الاسلامية^(٣) • وكان على سيف الدولة أن يهب لمساعدتهم ، بعد أن أرسلوا اليه يستنجدونه ، وقد توغل سيف الدولة فعلا حتى دخل ثغر (أو ثيم Theme) خالديا Chaldian ، وأخذ عددا من الحصون والمدن فيها ، ثم تقدم الى مدينة كولونيا Colones فحاصرها • ونتيجة هذه الانتصارات التى أحرزها سيف الدولة على الروم ، أصبح يعتبر بحق زعيم أو بطل الجهاد الأكبر فى

Canard : Ibid., P. 487.

(١)

Canard : Ibid., P. 487.

(٢)

Runciman : The Emperor Romanus Le Capenus, P. 143.

(٣)

وبورغروجنس : الادارة الامبراطورية البيزنطية ص ٢٧ •

المعالم الاسلامى — وقتذاك — ضد البيزنطيين^(١) .

غير أن انشغال سيف الدولة آنذاك ، بمشاكل الخلافة في عصر أمرة الأمراء ، والصراع مع الأختسيدين في سورية بين سنتي ٣٣٠ هـ ، ٣٣٣ هـ ، جعل هذه الفترة لا تشهد نشاطا ذا بال على جبهة الثغور الاسلامية البيزنطية ضد الروم . وكان ذلك مما اتاح للروم أن يحرزوا عدة انتصارات على المسلمين ، الذين بددوا قواهم في النزاع الداخلى من أجل الاستحواذ على السلطة^(٢) . مع استمرار بقاء النفوذ الحمداني على منطقة بحيرة فان بدرجة أو بأخرى^(٣) .

ساد الجبهة الحمدانية — البيزنطية في أعالي الشام هدوء مشوب بالحذر والتوتر ، مفعم بالتحفز ، حافل بتجيش القوات ، وتعبئة الجيوش من كل من الجانبين ، وذلك استعدادا لجولة جديدة قادمة .

ومنذ ذلك الحين ، أصبح الخصم الوحيد للدومستيق كوركواس هو نصر الثملى أمير طرسوس ، التابع تبعية اسمية للاخشيد حاكم مصر . وقد تسنى للجيوش البيزنطية أن تتوغل داخل اقليم الجزيرة نفسه . وفي صفر ٣٣٩ هـ / نوفمبر ٩٤٠ م وصلت هذه القوات الى منطقة كفر توثا Kafatutha . كما أصبحت هذه الجيوش البيزنطية أيضا ، على استعداد للعمل في ساحات قتال أخرى ، في أوروبا ضد الروس ، وفي بروفانس مع هيوغ البروغنسى ضد قلعة فراكسينتوم العربية ، حتى إذا زال الخطر الروسى ، عاد كوركواس الى الجبهة الشرقية ضد المسلمين هناك مرة أخرى^(٤) .

ولذلك فما أن يهل شهر جمادى الأولى عام ٣٣٠ هـ (ديسمبر / يناير ٩٤١ م) ، حتى كان الروم قد زحفوا صوب حمص^(٥) ، فأحدثوا

(١) بورغروجنس : ادارة الامبراطورية ص ٢٧ و Runoldi : Ibid., P. 143.

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ١٢٧ (ط ١٠ الازهرية ، مصر ،

١٣٠١ هـ) .

Canard : Hist. des la Dynastie de Hamd., P. 487.

(٣)

Canard : Ibid., P. 748.

(٤)

(٥) تقع حمص على مشارف سوريا ، عند الطرف الشرقى لسهل

قالقلا .

بها تخريبيا رهيبا ، وسبوا نحو خمسة عشر ألف انسان من سكانها العزل الآمنين^(١) . كما استطاع ثمال (الثملى) غلام سيف الدولة ، من ناحية أخرى ، دخول بلاد الروم من ناحية طرسوس ، حيث أنكى فيهم ، وسبى منهم ، وغنم ، وعاد سالما ، وقد أسر عددا كبيرا من بطارقتهم المشهورين^(٢) .

وفي عام ٩٣١هـ [الموافق ١٥ سبتمبر ٩٤٢ حتى ٣ سبتمبر ٩٤٣م] — وصلت القوات البيزنطية بقيادة يوحنا كوركواس الى ديار بكر ، حيث اعملوا في أهلها قتلا وسبيا . كما تمكنوا من فتح مدينة أرزن وخربوا عامة بلدها ، واستولوا على ميافارقين ، ثم تقدموا الى ما بعد منطقة طور عابدين ، واستمروا في زحفهم حتى وصلوا الى مشارف نصيبين أو قرييها منها^(٣) .

كذلك تمكنت القوات البيزنطية من الزحف الى مدينة الرها (اديسا Edessa) ، حيث طلبوا من أهلها ان يدفعوا اليهم الايقونة (المنديل) التي في كنيسة الرها . ويدعى النصارى أن السيد المسيح (عيسى بن مريم) عليه السلام ، مسح به وجهه ، وقت الصلب المزعوم . فصارت صورة وجهه فيه . وقد وعد البيزنطيون أهل الرها — ان هم استجابوا لطلبهم هذا — أن يطلقوا من وقع في ايديهم من أسارى المسلمين^(٤) .

ومن المعلوم ان الروم كانوا يهدفون من كل هذه الحملات الى جمع الأسرى والغنائم ، كما أنهم فكروا جديا في الاستيلاء على اقليم الجزيرة أو ضم الأرض أو احتلالها^(٥) .

Canard : Ibid., P. 487.

(١)

(٢) بورغروجنس : ادارة الامبراطورية البيزنطية ص ٢٧ .

(٣) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ج ٢ ص ١٥٧ و

الانطاكي : تاريخ يحيى بن سعيد البطريق (صلة أوتيا) ص ٣٢ .

(٤) الانطاكي : نفس المصدر ص ٣٢ ، (٧٣٠) وابن الوردي :

تتمة المختصر : ٤١٠/١ .

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd. P. 748 - 749.

(٥)

والغريب في الأمر ، أنه لم ترد أية إشارة في المفاوضات التي دارت بشأن الأيقونة (المنديل) الى ناصر الدولة الذي كان وقتئذ واليا على ديار مضر التي كانت مدينة الرها (اديسا) تبعا لها ، أو حتى الى ممثلة • وقد يكون مفهوما ورود إشارة اليه ، فيما دار بهذا الشأن من مفاوضات في دار الخلافة في بغداد (أيام المتقي لله) - لأنه لم يعد أميرا للأمرء « آنذاك » خاصة بعد أن فر أمام قوات القائد توزون Tuzun التركي في ٤ رمضان ١٣/٣٣١ مايو ٩٤٣م^(١) . ولعل هذا يجعل من الممكن الاعتقاد بتلاشي سلطات ناصر الدولة الحمداني • حتى ان أهالي الرها - وقد شعروا بضعف شأنه وقتله - راحوا يتفاوضون مباشرة ، ويشكلون من أنفسهم وفدا (فيما يشبه المجلس البلدي حاليا) مارسوا من خلاله مباشرة عملية التفاوض مع البيزنطيين من ناحية ، ومع الخليفة العباسي في بغداد من ناحية أخرى ، دون الرجوع في ذلك الى أي من الحمدانيين^(٢) .

وقد اورد كنارد عرضا نقديا موجزا لدراسة قام بها مؤرخ يدعى دوبشوتز Dobschütz عن أيقونة اديسا - واستشهد به هازيليف - عرض هذه الأمور بكيفية غير صحيحة الى حد ما • اذ قال « دوبشوتز » انه اذا كان أمير ادسا قد خاطب الخليفة على هذا النحو • رغم ان الاخير كان قد فقد سلطانه السياسي الحقيقي فعلا ، فانما كان ذلك لان المسألة ذات طبيعة دينية ، لا يمكن لمثل السلطة الدنيوية أن يتصرف فيها • غير أن هذا الأمر لا يتضمن - في رأي كنارد - اية مسألة دينية اسلامية بالمعنى الصحيح • اذ من الطبيعي

(١) المسعودي : مروج ٣٣١/٢ - ٣٣٢ وابن الاثير : الكامل ٨/ ١٣١ - ١٣٢ ، الذهبي : تاريخ الاسلام ١٥٧ ، ومن كنارد راجع ثيوفانيص ص ٢٤٢ وكرينفوس ٣١٣/١ - ٣١٥ ، ٣١٩/٢ ولبو النحوي ٣٢٦
وسيميون الماجستروس ص ٧٤٨ .
Canard : Ibid., P. 749.
(٢) كان ذلك في ربيع أول ٣٣٢ هـ الموافق نوفمبر ٩٤٣م خلال ولاية ناصر الملقب « ابن مقاتل » حاكم ذلك الاقليم (الرها) . وكذلك طريق الفرات وجند قنسرين . راجع : ابن الاثير : ١٣١/٨ .

ان يقدم الطلب البيزنطى أولا للسلطات المحلية ، ومن الطبيعى أيضا — وبخاصة اذا فكرنا فى ضعف سلطة الحاكم فى ديار مصر — أن يحول الطلب أو يرفعه الى الخليفة (أمير المؤمنين) • لأن أميرا من اتباعه لا يمكنه — وليست لديه السلطة اللازمة التى تمكنه من — التصرف فى مسألة هامة كافتداء الأسرى أو مبادلتهم ، وهى مسألة تهم جمهور المسلمين وعامتهم ، والبت فيها من اختصاص الخليفة (أمير المؤمنين) أو من يندبه لذلك ^(١) •

ومن المحتمل ان يكون هناك بصفة خاصة مسألة شرعية لا يمكن حلها فى مدينة الرها نفسها ، بل يجب طرحها على السلطة العليا • وربما أيضا بسبب مكان موجودا — وقتذاك — من خلافات بين أهالى الرها (اديسا) المسلمين والمسيحيين • وكانت المسألة تتعلق بعرض غير عادى لمبادلة الأسرى ، لا فى مقابل أسرى آخرين مثلهم ، وانما فى مقابل شئ آخر لا يملكه المسلمون ، وانما يملكه مسيحيون يتمتعون بالحماية ، وبحرية التصرف فى املاكهم وكنائسهم بموجب معاهدة تسليم ادسا التى ابرمت عند فتحها ^(٢) •

وعندما تسلم الخليفة (المتقى لله ٣٣٩ — ٣٣٣ هـ / ٩٤٠ — ٩٤٤ م) تقرير وزيره ابن مقله ، جمع الفقهاء لاستشارتهم ، واصدار رأيهم فى هذا الأمر • ويقال ان رأى الوزير السابق على بن عيسى هو الذى فاز ، اذ صرح بأنه طالما ان الخليفة لا يملك وسيلة فعلية لتخليص الأسرى المسلمين من أيدي الروم • فانه يجب مبادلتهم مقابل المنديل الذى ينبغي اعتباره ملكا مشتركا بين النجالية المسيحية فى ادسا وبين الأهالى المسلمين بها • وقد أوضح أحد الفقهاء أن الأيقونة (المنديل) كان منذ زمن بعيد فى كنيسة ادسا ، ولم يطالب به ايا من ملوك الروم وليس فى دفعه لهم غضاضة وانتهى الأمر والنقاش فى هذا الموضوع باعتبار واعتماد وجهة النظر المصلحية • أى النظر بما يعود بالنفع لصالح المسلمين ^(٣) •

Canard : Ibid., P. 749 - 750.

(١)

(٢) البلاجرى : فتوح البلدان ص ١٧٢ •

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd. P. 750.

(٣)

استمرت المفاوضات بعض الوقت بد الجانبين — الاسلامي والبيزنطي — طوال عام ٣٣١ وبعضا من ٣٣٢م/٩٤٠م • ووافق الخليفة في النهاية على الطلب البيزنطي ، استنقاذا لمن في أيديهم من الاسرى المسلمين ، وأرسل لأهالي الرها بما استقر عليه الرأي طالبا منهم تسليم المنديل للروم^(١) • وقد ورد في فتوى العلماء أن « خلاص المسلمين من الأسر ، واخراجهم من دار الكفر ، مما يقاسونه من الضر والضرر أوجب وأحق »^(٢) • وكان عدد الأسرى المسلمين مائتي أسير ، وقد نصت المعاهدة المبرمة بين الروم وأهالي الرها على : « ألا يعبر الروم حدود الرها فيما بعد ، وتقوم بين الطرفين هدنة مؤبدة » • وفعلوا وصل المنديل الى عاصمة الروم (القسطنطينية) في يوم ١٥ أغسطس ٩٤٤م (صفر ٣٣١هـ)^(٣) • حيث حمل الى كنيسة أجيا صوفيا (أيا صوفيا) ، وكان ذلك إبان حكم الإمبراطور رومانوس ليكابينوس^(٤) •

وفي العاشر من رمضان ٣٣١هـ (الموافق ١٨ مايو ٩٤٣م) هاجم الروم دارنا وفتحوها ، ثم دخلوا رأس عين ، في يوم الثلاثاء لاثني عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام ٣٣٢هـ (١٣ / ١١ / ٩٤٣) ، حيث أقاموا فيها يومين سبوا خلالها من أهلها نحو ألف نفس ، ثم قفلوا عائدين^(٥) • وكانت عدة جيشهم نحو ثمانين ألف رجل على ما يذكر ابن الأثير في حوادث تلك السنة^(٦) •

(١) ابن الأثير : الكامل ١٣٦/٨ :

(٢) الانطاكي : تاريخ يحيى بن سعيد ص ٣٣ — ٣٤ ابن الوردي :

تمه ٤١٠/١ والهامي : التوفيقات ص ١٦٦ •

(٣) الانطاكي : المصدر السابق ص ٣٤ •

(٤) بونفروجنتس : إدارة الإمبراطورية ص ٢٨ والانطاكي : تاريخه

٣٢ — ٣٣ (٧٢٩ — ٧٣٠) وقد استمرت الهدنة قائمة حتى أنهاها سيف الدولة

سنة ٣٣٨هـ لامتداء الروم على ديار المسلمين •

(٥) الانطاكي : المصدر السابق ٣٤ — ٣٥ (٧٣٢ — ٧٣٣) •

(٦) راجع ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٣٦ و

ويبدو أنه كان يوجد بنود أخرى ضمن الاتفاق غير تسليم الأيقونة مقابل الأسرى المسلمين (مائتي أسير) • اذ تضرعنا الروايات البيزنطية والدراسة التي قام بها دوشوتز Dosehutz عن « قصة أيقونة ادسا » *Narratio de Imagine Edessena* ، بأن الأمر تم بمساومات مع أهالي الرها (ادسا) • اذ حصل الأهالي على مبلغ ١٢٠٠٠ قطعة من الفضة من الروم ويبدو أن هذا المبلغ - كما يفترض دوشوتز - قد خصص للصرف على كنيسة الرها^(١) • كما حصل الأهالي على تعهد كتابي رسمي (معاهدة ابدية) بسلام دائم بين ادسا والامبراطورية البيزنطية والمدن الثلاث المجاورة لها وهي ، حران ، وسروج ، وسمسطه • وان كان هذا السلام نقض بعد قليل بسبب اعتداءات الروم على ديار المسلمين • مما دفع سيف الدولة - كما ذكرنا - الى انهاء المعاهدة سنة ٨٣٣٨ •

وتمثل الحملة التي أدت الى تسليم منديل ادسا ختاماً لاحدى مراحل المواجهة الاسلامية البيزنطية في فترة ما قبل سيف الدولة الحمداني ، كما تعتبر ختاماً عملياً لحياة يوحنا كوركواس - الذي لقب بـ « شبيه تراجان »^(٢) ، بعد ان ارتفع شأنه جدا في أعين النصارى ، لما احرزه من انتصارات كان اهمها انتصار الرها ، واستعادة المنديل (الأيقونة) من كنيسة ادسا (الرها) الى كنيسة اجيا صوفيا ، الذي وصفه رنسيما بأنّه « رمز لروح الغزو الجديدة في الشرق »^(٣) •

فكان مما فتحه يوحنا كوركواس مدن أرزن ، وملطية ، ومرعش ، وآمد Amida وسميساط^(٤) • فلما أقل نجمه ، وسقط الامبراطور رومانس ليكابنتوس ، وارتقى قسطنطين مورفيوجنتس عرش الامبراطورية البيزنطية عام ٩٤٤م (٨٣٣٢) خفت حدة العمليات

Canard : Ibid., P. 751, No. 79.

(١)

Grousset : Hist. de la Armenie, P. 414 - 475.

(٢)

Finlay : Hist. of Byz. Emp. P. 287

(٣)

Diel : Hist. of Byz. Emp. P. 78 - 79.

(٤)

العسكرية بعض الوقت من الجانب البيزنطى^(١).

والحق ان انتصارات الدمستق يوحنا كوركواس ماكانت لتحدث لولا انشغال الخلافة العباسية بمشاكلها الداخلية ، وتحول اهتمامات سيف الدولة — مرحليا — عن مواجهة العمليات العسكرية البيزنطية ، لانشغاله بالمشاكل الداخلية للخلافة العباسية^(٢) . هذا فضلا عن انشغال سيف الدولة بالصراع على مدينة حلب ، مما دفع الروم وشجعهم على مهاجمة مرعش ، ومنطقة بغراس ، والزحف حتى أبواب مدينة أنطاكية . ثم ارتدت قواتهم بعد ان رد عليهم سيف الدولة بالهجوم على منطقة عريسوس^(٣) . اذ قام سيف الدولة الحمدانى — كما سنرى — بحملة ثأرية انتصر فيها على الروم قرب مرقيية (ماراش/مرعش Marach 'أوجيرمانيكوس') سنة ٢٣٣٢هـ/٩٤٤م^(٤)

أما بالنسبة للنشاط البحرى الاسلامى ضد الروم فى حوض البحر المتوسط ، فقد تناقص حجمه أو تقلص لدرجة كبيرة . وكان أمراء طرسوس — قبل ذلك — يقومون باغارات على القواعد البيزنطية فى منطقة بحرايجة ، فى حملات ثأرية سريعة ، ردا على الحملات البيزنطية على مناطق الثغور الاسلامية سراء فى الشام أو فى اقليم الجزيرة . أما الآن فقد اقتصر النشاط العسكرى الاسلامى على القوات البرية فقط^(٥).

وربما كانت ظاهرة تناقص الحملات البحرية الاسلامية أو توقفها ضد الوجود البيزنطى فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط ، راجعة بالدرجة الأولى الى خلو الميدان من شخصيات قيادية بحرية عظيمة أمثال : أبو الحارث غلام ظرافة (ليو الطرابلسى) ، ويازمان ،

Grousset : Hist. de L'Armenie P. 476.

(١)

Vasiliev : Hist. of Byz., Emp. P. 307.

(٢)

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب ١١٣/١ وبورغريوجنس : ادارة الامبراطورية البيزنطية ص ٢٨ .

Groust : Ibid., P. 476.

(٤)

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, P. 753.

(٥)

وصابر دياب : سياسة الدولة الاسلامية (الفصل الثانى من الباب الاول) .

ودميان ، وثمانال الطرسوسى ، الذين لم يخلفوا وراءهم جيلا آخر ، يقوم بعدهم بتولى مسئولية استمرار المواجهة مع الروم فى البحر المتوسط . مما أثر على نشاط القوات البحرية الاسلامية فى شرق المتوسط ، وأضعفها . هذا بينما الاساطيل البيزنطية تحرز نجاحات كثيرة وتقدما كبيرا فى مجالات عدة ضد المسلمين ، وتقوم بنشاط واسع سوف يكون له ما بعده فى عملية المواجهة الاسلامية البيزنطية^(١) .

هذا فضلا عن أن الخلافة كانت تعاني أزمة مالية خانقة ، كما اسهم الإهمال والغفلة التى اتسم بها أمراء المسلمين وقتذاك ، فى التأثير على فاعلية النشاط العسكرى البحرى الاسلامى ، بل وانزل بالبحرية الاسلامية فى طرسوس ضربة قاصمة لم تنهض منها لمدة طويلة بعد ذلك^(٢) .

(١) راجع صابر دياب : سياسة الدول الاسلامية (الفصل الثانى من الباب الأول)

Canard : Hist. de la Dyn. P. 753.

(٢)

وصابر دياب : نفس المرجع .

الفصل الثالث

جهاد سيف الدولة ضد الروم

في الثغور الاسلامية

(٣٣٣ - ٨٣٥٦ / ٩٤٤١ - ٩٦٧ م)

١ - المرحلة الاولى : حماية الثغور في بداية عهد سيف الدولة

(٣٣٣ - ٨٣٤٣ / ٩٤٤١ - ٩٥٤ م)

٢ - المرحلة الثانية : الانقضاض البيزنطى • وبداية أهول نجم
سيف الدولة •

(٣٤٣ - ٨٣٤٩ / ٩٥٤١ - ٩٦٠ م)

٣ - المرحلة الثالثة : محاولات نقفور فوكاس اثناء الوجود الاسلامى

من الثغور الشامية •

(٣٤٩ - ٨٣٥٦ / ٩٦٠١ - ٩٦٧ م)

جهاد سيف الدولة ضد الروم في الثغور الاسلامية

(١) المرحلة الأولى : حماية الثغور ٣٣٣ - ٣٤٣هـ / ٩٤٤ - ٩٥٤م :

سار سيف الدولة سنة ٣٣٣هـ الى مدينة حلب ، فلقى فيها يأنس المؤنس ، ففارقها يأنس ، واستأمن اليه في قطعة من الجيش ، فاستولى عليها سيف الدولة ، وسار الى دمشق (١) . واقام الدعوة للخليفة العباسي المستكفي (٣٣٣ - ٣٣٤هـ / ٩٤٤ - ٩٤٦م) ، ولأخيه (ناصر الدولة الحمداني) ، ولنفسه . فخلع المستكفي على سيف الدولة ، وعلى محمد بن طنجج الأخشيدي ، لأن هذا اقام الخطبة له بمصر ، وما تحت حكمه من الأصقاع . ولما بويج للمطيع بالخلافة (٣٣٤ - ٣٣٦هـ / ٩٤٦ - ٩٤٧م) ، سار مع الأخشيدي وابن حمدان بسيرة سلفه المستكفي بالله ، على قدم التوازن السياسي . فكتب الى الأخشيدي بالتقليد . فتكافأ الأخشيدي وسيف الدولة وهدأت الفتن واستقامت للحرق (٢) .

وكان الأخشيدي في بادئ الأمر قد حاول مناوئة سيف الدولة ، فجرد جيشا سار الى الرستن - من أرض حمص - لكن سيف الدولة هزمهم ، فعادوا الى دمشق ، ثم خرجوا عنها يريدون الرملة ، ثم قصدوا الى مصر ، وسار سيف الدولة في أثرهم يريد دمشق ، وكتب الى جماعة الاشراف والعلماء والاعيان والمستورين كتابا قرىء على منبر جامعها جاء فيه :

« .. وقد علمتم اسعدكم الله ، تشاغلي بجهاد اعدائي واعداء الله الكفرة ، وسببهم وقتلي فيهم ، وأخذى أموالهم ، وتخريبى ديارهم ، وقد بلغكم خبر القوانين () في هذه السنة ، وما أولانا الله وخولناه ، واطفرنا به ، واستعملت فيهم السنة في قتال أهل الله فما اتبعت مدبرا ،

(١) ابن الوردي : تمة المختصر ١/٤١٦ .

(٢) محمد كرد علي : خطط الشام ١/١٨٧ .

ولا ذففت على جريح ، حتى سلم من قد رأيتكم ، وقد تقدمنا الى وشاح
بن تمام بصيانتكم وحفظكم ، وحوط أموالكم ، وفتح الدكاكين ، واقامة
الاسواق ، والتصرف في المعاش الى حين موافقتنا ان شاء الله (١) .

هكذا انتهى الأمر برجسان كفة قوات سيف الدولة على جيش
الاخشيديين . حيث أقام سيف الدولة بدمشق يجبي خراجها . وظن
ابن حمدان ان الامر تم له فجمع الى ملكه في الجزيرة ملك الشام ،
بل ربما وصل تطلعه الى مصر . ومادري أن الأقدار تخفى له
انحسار ملكه الى حلب وما حولها . وهو ما اقتنع به عمليا ، بعد
هزيمة قواته امام القوات الاخشيديين في دمشق ، التي اخافها احتمال
قيام سيف الدولة بالمصادرات في أهلها لو تمكن من المدينة (٢) .

استقر الأمر لسيف الدولة في حلب ، التي كنت اقرب الى مهد
عصبيته ، وهي الثغور الشامية والجزرية وديار مصر وديار بكر .
وتصالح مع الاخشيديين وصاهره ، وتقرر لسيف الدولة حلب
وأنطاكية وحمص (٣) .

وكانت علاقة الاخشيديين — كعلاقة الحمدانيين — اسمية مع
الخلافة في بغداد . وقد اشتهر الحمدانيون بكرمهم وميلهم للشيعة ،
بينما اشتهر الاخشيديون بالشح وأخذهم برأى أهل السنة (٤) .

تم لسيف الدولة السيطرة على حلب وحمص وأنطاكية ، فضلا
ميافارقين ، وأعلى بلاد الشام ، أي المناطق الثغرية المتاخمة لأرض
الروم . مما يعنى أن مهمته ، في حماية النطاق الذي يحكمه ضد
هجمات الروم ، سوف تحتل المرتبة الأولى من فكره وجهده
وامكانياته المادية والعقلية والبشرية ، وهو أمر جد خطر .

(١) محمد كرد علي : خطط الشام : ١٨٧/١ — ١٨٨ وابن الوردي
نفسه : ٤١٦/١ .

(٢) محمد كرد علي : المصدر السابق ١٨٨/١ — ١٨٩ .

(٣) محمد كرد علي : المصدر السابق ١٨٩/١ .

(٤) محمد كرد علي : المصدر السابق ١٨٩/١ .

ففى سنة ٣٣٣ (٩٤٤م) غزا سيف الدولة الحمدانى بلاد الروم ،
« وعاد سالما بعد أن أبدع فى أرض العدو » ، وكان سبب هذه الغزاة —
كما تذكر المراجع^(١) « انه بلغ الدمستق مافيه سيف الدولة من المشغل
بحرب أضداده • فسار فى جيش عظيم وأوقع بأهل بغراس ومرعش
وقتل وأسر ، فأسرع سيف الدولة الى مضيق وشعاب ، فأوقع بجيش
الدمستق ، وبينهم ، واستنقذ الاسارى والغنيمة ، وانهمز الروم اقبح
هزيمة • ثم بلغ سيف الدولة أن مدينة الروم تهدم بعض سورها
وذلك فى الشتاء ، فاغتتم سيف الدولة الفرصة ، وبادر فأناخ عليها
وقتل وسبى ، ولكن اصيب بعض جيشه » •

بعد هذه الغزوة تميزت الفترة من ٣٣٤م حتى ٣٣٦م (٩٤٥ —
٩٤٧م) بهدوء نسبى ، حتى أننا لا نجد ذكرا لحروب قام بها
سيف الدولة آنذاك • وكل ما قام به خلالها لم يتعد عملية تبادل
أسرى تمت مع الروم ، فى شهر ربيع الأول ٣٣٥م (٩٤٦م) ، وهى
انعملية المعروفة باسم « فداء ابن حمدان » ، وكان الذى توسط فى هذه
العملية هو « نصر الثملى » أمير طرسوس • وقد بلغ عدد من فودى
بهم من المسلمين حول ألفين وأربعمائة واثنين وثمانين من ذكر وإنثى —
وقد فرض للروم على المسلمين قرضا مائتان وثلاثون ، لكثرة من كان فى
أيديهم ، فوفاهم أبو الحسن على (سيف الدولة) ذلك وحمله اليهم^(٢) •
وهذا دليل على تفوق الروم على المسلمين فيما بين سنتي
٣٣٤م و ٣٣٥م •

كما نجد — من ناحية أخرى — بعض التطورات تشهدها
الدولة البيزنطية منذ سنة ٩٤٤م (٣٣٥م) وهى تطورات جوهرية •
اذ أزيح يوحنا كوركواس عن منصب القيادة للجيش البيزنطية ،
وتم خلع رومانوس ليكابينوس ، ليصبح قسطنطين السابع

(١) ابن العديم : زبدة الطلب ١/٩٩ والذهبي : دول الإسلام ١/
ورقة ١/١٦٠ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٨٣ — ٢٨٤ •
(٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٦٥ وأبو المحاسن :
النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩٥ وقسطنطين يروفيروجنتس • الإدارة
البيزنطية ص ٢٨ •

(بورفيروجنتس) هو الحاكم المطلق بعد أن بلغ سن الرشد في سنة ٩٤٥م^(١).

ثم تحرك سيف الدولة في الفترة من ٣٣٦هـ حتى ٣٣٨هـ (٩٤٧ — ٩٤٩م) • فنزل على حصن برزويه سنة ٣٣٦هـ^(٢). قرب السواحل الشامية — ، وكان يوجد في هذا الحصن يومئذ أبو تغلب الكردي • هذا بينما نزل الروم بقيادة ليو بن برداس فوقاس على حصن الحدث وحاصروه • فاستنجد أهل الحدث بسيف الدولة الذي لم يتمكن من اجابة طلبهم ونجدتهم • لانشغاله بتصفية تمرد أبو تغلب الكردي في برزويه • وكان ذلك مما مكن ليوبن برداس فوقاس من حصن الحدث ، حيث فتحه بالامان ، وأخرب سوره •

أما سيف الدولة فتمكن من أخذ حصن برزويه سنة ٣٣٧هـ^(٣) ، من الاكراد ، ثم سار الى ميفارقين بعد أن استخلف على حلب محمد بن ناصر الدولة^(٤) • بينما سار ليوبن برداس فوقاس ، فنزل على بوقا — شمال أنطاكية — فخرج له محمد بن ناصر الدولة لصدده ، فهزمه ليو ، وقتل من رجاله نحو أربعمئة غير من أسرهم وكان عددهم كبيرا ، فكان ذلك أوائل عام ٣٣٨هـ^(٥) • وفي شهر ربيع الأول من نفس العام (٣٣٨هـ) (الموافق ٩٤٩م) فتح الروم مدينة قاليقلا (ثيود وسيوبوليس) وملكوها ، وهدموا سورها ، وأعطوا أهلها الأمان ، وانصرفوا عنها^(٦) •

لم يكن وقع هذه الأحداث التي أصابت المسلمين بالثغور

Vasiliev A. A. ; Hist. of Byz. Emp., P. 307.

(١)

(٢) يسمى اليوم (زمن ياقوت) Berze برزية أو Merze يقع على مرتفع صخري الى الشمال قلابا من (فامية Apamea) . راجع ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٥٦٥ .

Dussaud : Topographie de la Syrie, PP. 151 - 153.

(٣) ابن ظاهر : الدول المنتطعة ورقة ١/٦ وابن العديم — زبدة حلب ١/١٢٠ وابن الوردي ١/٤٢٢ .

(٤) الانطاكي : تاريخ سميد بن البطريق ص ١١٢ .

(٥) ابن العديم : زبدة حلب ١/١٢٢ والانطاكي : نفس المصدر ص ١٢٢

(٦) الانطاكي : نفس المصدر ص ١٢٢ .

المشامية — على أيدي القوات البيزنطية — هينا على نفس وقلب سيف الدولة • بل أنها استفزته ، فهب وجهاز جيشا من ثلاثين ألف مقاتل ، انضم إليه جيش من طرسوس قوامه أربعة آلاف بقيادة القاضي أبي حصين • وسار سيف الدولة بهذه القوات مجتمعة في يوم الأحد منتصف ربيع الأول ٣٣٩ هـ (أغسطس / سبتمبر ٩٥٠ م) إلى مدينة قيسارية^(١) ، ثم إلى القبدق (الفندق)^(٢) •

لقد أوغل سيف الدولة كثيرا في أرض الروم سنة ٣٣٩ هـ وفتح عدة حصون ، وأسر كثيرا منهم ، فضلا عن قتلهم وقواته في الحرب من الروم • ثم سار إلى سمندو^(٣) ثم إلى خرشنة^(٤) ، واستمر في زحفه حتى صارخة^(٥) • حيث التقى الجمعان (الحمداني والبيزنطي) في معركة كان النصر فيها للحمدانيين بقيادة سيف الدولة وأسر فيها جماعة من بطارقة (قواد) الروم • وقد استمر سيف الدولة في غزاته هذه بضعة أشهر • أسر خلالها كثيرا من الروم ، وغنم منهم الكثير من الغنائم^(٦) وقد أنشد أبو الطيب المتنبي في معركة سنة ٣٣٩ هـ (٩٥٠ م) شعرا جاء فيه^(٧) :

-
- (١) قيسارية : من مدن كاديكا • وهي مدينة قديمة تقع جنوب نهر هاليس Halys وشمال جبل أرجى Aragea • راجع فيصل السامر : الدولة الحمدانية ١٦١/٢ •
- (٢) تنطق وترد أحيانا « الفندق » وهي من كبادوكيا • راجع السامر : نفس المرجع ١٦١/٢ •
- (٣) سمندو : هي المدينة البيزنطية المسماة (تزاماندوس Tzamandos أو أتراماندوس) ، وتقع على مرتفع الكرملاس • حيث يقع زامانتى راند نهر ساروس أو سيحان • وكانت تقع إلى الشمال قليلا من طريق ورعش — قيسارية عبر عربسوس • وهو الطريق الذي سلكه سيف الدولة • راجع فيصل السامر : المرجع السابق ١٦١/٢ •
- (٤) خرشنة : أو خرسيون وهي نفس المدينة البيزنطية (المسماة *Gastrum Charisianum*) إلى الشمال الشرقي من نهر هاليس • راجع ياقوت ، معجم البلدان مادة خرشنة •
- (٥) صارخة : من مدن الروم • وتبعد سبعة أيام من القسطنطينية • راجع ياقوت : المعجم •
- (٦) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ١٦١/٢ — ١٦٢ •
- (٧) المتنبي : ديوانه •

لهذا اليوم بعد غد أريج
عرفتك والصفوف معبات
رضينا والدمستق غير راض
فان يقدم فقد زرنا سمندو
ونار في العدو لها أجيح
وأنت بغير سفك لا تعيج
بما حكم القواضب والوشيج
وان يحجم فموعدنا الخليج

غير أن القوات الطرسوسية ، اعتقدت ان الأمر انتهى ، وأن الحرب وضعت أوزارها ، فعادت وعاد معها الاعراب . فلما أراد سيف الدولة العودة ، سد عليه الروم درب الحيكرون^(١) ، فأنحصر سيف الدولة في هذا المضيق الصعب وعزل عن مقدمة جيشه ، كما قطع الروم الشجر وسدوا به الطرق ، وألقوا بالصخور الضخمة من قمم الجبال ، على جنود المسلمين . (الحمدانيون) . هذا بينما كان الدمستق يضرب ساقة الجيش الحمداني بعنف ويقتل ويأسر بوحشية^(٢) .

وقد وصف المؤرخ الحافظ الذهبي هذه المعركة الرهيبة بقوله :^(٣) « وفي هذه السنة (٨٣٣٩ / ٩٥٠م) غزا سيف الدولة فسار في ربيع الأول ، ووافاه عسكر طرسوس في أربعة آلاف عليهم القاضي أبو حصين . فسار الى الفندق وأوغل في بلاد الروم ، وفتح عدة حصون ، ثم سار الى سمندو ، ثم الى خرشنة (خرسيون) ثم الى بلاد صارخة وبينها وبين قسطنطينية سبعة أيام . فلما نزل عليها واقع الدمستق مقدمته ، وظهرت (أى مقدمة سيف الدولة) عليه . فلجأ الى الحصن ، وخاف على نفسه . ثم جمع جيوشه والتقى مع سيف الدولة ، فهزمه أقبح هزيمة وأسر بطارقته ، وكانت غزوة مشهورة ، وغنم المسلمون ما لا يوصف ، ويقوا في الغزو أشهراً . ثم

(١) في ناحية الحدث ويعرف باسم درب مقطع الانبار . راجع : الانتلکی ، تاريخ يحيى بن سعيد ص ١١٢ والذهبي : تاريخ الاسلام ورقة ١٦٢ .

(٢) ابن العديم : زبدة الخلب ١٢٢/١ والذهبي : نفس المصدر ورقة ١٦٣ .

(٣) الذهبي : تاريخ دول الاسلام ١٦٣/١ وبورغبروجنتس : إدارة الامبراطورية ص ٢٩ — ٣٠ .

ان الطرطوسيين قفلوا ، ورجع العربان ، ورجع سيف الدولة في مضيق صعب ، فأخذت الروم عليه الدروب ، وحالوا بينه وبين المقدمة ، فقطعوا الشجر ، ودهدوهوا (ألقوا) الصخور في المضائق على الناس (القوات الحمدانية) ، والروم وراء الناس يقتلون ويأسرون ، ولا منفذ لسيف الدولة . وكان معه أربعمئة أسير من وجوه الروم ، فضرب أعناقهم ، وعقر جماله وكثيرا من دوابه ، وقاتل قتال الموت ونجا في نفر يسير » .

والحق ان سيف الدولة غامرا كثيرا ، حين أوغل في تعقبه للقوات البيزنطية التي فرت من امامه أول الأمر ، مستدرجة لسيف الدولة وقواته الى النقطة التي حصروه فيها ، والتي يذكر بروفيروجنتس انها تسمى منطقة « درب الجوازات » الواقعة بين الحدث والبستين^(١) . وهناك امكن للروم عزل سيف الدولة عن مقدمة قواته ، مما مكثهم من القضاء بسهولة على كثير من القوات الحمدانية ، حتى اضطر للتراجع بصعوبة بالغة ، ناجيا بنفسه وقلة ممن كانوا معه ، وكان ذلك في جمادى الآخر ٨٣٣٩هـ^(٢) .

لقد كانت نتيجة غزوة درب الجوازات ، التي وقعت في اليوم الخامس من شهر جمادى الآخرة سنة ٨٣٣٩هـ (الموافق العشرين من شهر نوفمبر ٩٥٠م) شديدة الوقع والايلام على نفس سيف الدولة انحمداني ، وهو الأمير والقائد الذي طالما مشى النصر في ركابه . وهذه الهزيمة في ذاتها من الفداحة بحيث كانت كافية لتوهين العزم ، وتثبيط النفوس ، وتثبيط الهمم عن مواصلة المواجهة مع الروم . لكن نفس سيف الدولة لم تكن من ذلك اللون أو النوع الذي ينكسر ، ولم يكن لليأس والوهن اليها سبيلا ، لما غطى عليه من نفس أبيه وهمة فولاذية قوية . بل أن سيف الدولة جعل من هذه الهزيمة المؤلة ، نقطة انطلاق ، لرحلة جديدة من المواجهة مع الروم

(١) بروفيروجنتس : ادارة الامبراطورية ص ٢٠ .

(٢) سامي الكيالي : سيف الدولة ص ٨٤ .

حفظا لكيان العالم الاسلامى • ولا غرو ، فلم يكن سيف الدولة يحارب عن نفسه أو أسرته ، بقدر ما كان يقوم بدور المجاهد دفاعا عن عرين الاسلام وحمائته من هجمات الروم وقتلهم • فبدأ فى التجهيز فورا لجولة جديدة ، يمسح بها آثار هزيمة ذرب الجوازات فى جمادى الآخرة سنة ٣٣٩ هـ • هذا بينما نزل امبراطور الروم فى نفس العام على حصن أنفامية وجميع عظام قتلاه ، وصلى عليهم ودفنهم ، ثم فتح شيزر بالأمان لخطوها من مدافع^(١) .

فى هذه الأثناء وبينما سيف الدولة يستعد لجولة جديدة ، جاء الروم فى قوة كبيرة وهاجموا مدينة سروج^(٢) ، « وخرّبوا مبانيها ومسجدها ، ونهبوا مالها »^(٣) فلما علم بذلك سيف الدولة ، أسرع بقوة ليشتبك مع القوات الغازية من الروم سنة ٣٤٠ هـ فى معركة حالفه فيها النصر ، وجعل يتعقبهم حتى أجلاهم عن سروج ، ثم اتجه الى مرعش^(٤) ، فأعاد سنة ٣٤٠ هـ بناء ماكان الروم قد هدموه فى غزوتهم عام ٣٣٧ هـ ، وهو ما نوه به المتنبى فى احدى قصائده حين قال^(٥) .

| | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| فيوما بخيل تطرد الروم عنهم | ويوما يجود تطرد الفقر والجديبا |
| سر ايك تترى والدمستق هارب | وأصحابه قتلى وأمواله نهبا |
| أتى مرعشا يستقرب البعد مقبلا | وأدبر اذ أقبلت تستبعد القربا |
| كفى عجباً أن يعجب الناس أنه | بنى مرعشا تباً لآرائهم تباً |
| وما الفرق ما بين الأنعام وبينه | أذ حذر المحذور واستصعب الصعبا |

بعد أن عاد سيف الدولة الى حلب سنة ٣٤١ هـ — عقب تخليصه

-
- (١) ابن الوردي : تنبيه المختصر (تاريخ ابن الوردي) ٤٢٣/١ .
 (٢) سروج : مدينة من ديار مصر ، قرب كل من حلب وحران . راجع ياقوت : معجم البلدان مادة سروج وابن الوردي : تنبيه المختصر ٤٢٥/١ .
 (٣) ابن الوردي : المصدر نفسه ٤٢٥/١ .
 (٤) مرعش : أول الثغور الشامية مما يلى جبل اللكام . خربتها الروم سنة ٣٣٧ هـ فأعاد سيف الدولة بناءها سنة ٣٤٠ هـ . راجع ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٩١ — ١٩٢ .
 (٥) ابن الوردي : المصدر نفسه ٤٢٦/١ والمتنبى : ديوانه .

مدينة سروج من الروم — علم بمعاودتهم الاستعداد لغزو حلب • حاجتناز نهر الفرات الى دلوک (دلوص) ثم الى قنطرة صنجة ، حيث تعقب الروم ، حتى ادركهم في ملطية آخر ٣٤١هـ ومستهل عام ٣٤٢هـ واحتدم القتال بين الفريقين اباما ، لينتهي بنصر مؤزر للقوات الحمدانية ، وهزيمة الروم ، الذين قتل كثير منهم ، وأسر منهم اعداد غفيرة • كما جرح القائد برداس فوكاس Baradas Phocas في وجهه وكان قسطنطين بن برداس فوكاس من بين الاسرى • وقد أذهله وقوعه في أسر المسلمين قرب مرعش ٣٤٢هـ (٩٥٣م) ، فمال في هم وكمد حتى قضى نحبه وهلك في الاسر • فحزن لموته سيف الدولة كثيرا ، حتى يقال انه أرسل فيه عزاء لوالده^(١) .

والحق ، لقد كانت هذه الجولة الأخيرة بين الحمدانيين والروم — معركة ملطية ٣٤١هـ ومرعش ٣٤٢هـ — من اشد ما مر بالروم من كوارث ونكبات • اذ انتاب الحزن بعدها برداس فوكاس ، لأسر ابنه قسطنطين ثم موته أسيرا • بل لم يلبث برداس نفسه أن ترهب وتسابق شعراء سيف الدولة الحمداني في وصف هذه المواجهة ببراعة فائقة • من ذلك ما قاله أبو الطيب المتنبى موجه كلامه لامبراطور الروم^(٢) :

نجوت باحدى مهجتك جريحة وخلفت احدى مهجتك تسيل
أتسلم للخطية ابنك هاربا ويسكن في الدنيا اليك خليل
بوجهك ما أنساكه من مرشة نصيرك منها رنة وعويل

ومنها قوله في قصيدة أخرى :

فلو كان ينجى من على ترهب ترهبت الأملاك مثني وموحدا^(٣)

(١) ابن شداد : الاعلام الخطيرة ٢٥٩/١ وابن الوردي : تنمة المختصر ٤٢٧/١ .

(٢) المتنبى : ديوانه وابن العديم : زبدة الحلب ١٢٤/١ وابن الوردي المصدر السابق : ٢٨٦/١ ومصطفى الشكعة : سيف الدولة الحمداني ص ١١٠ .

(٣) ابن الوردي : تنمة المختصر : ٤٢٧/١ .

وهكذا تنتهى هذه المواجهة الحمدانية البيزنطية فى تلك الفترة (٣٣٣ — ٣٤٣ / ٩٤٤ — ٩٥٤ م) بنصر مؤزر المسلمين أحرزه لهم سيف الدولة الحمدانى البطل وجنوده البواسل ، ضد الروم .

المرحلة الثانية : مرحلة الانقضاى البيزنطى وأفول نجم سيف الدولة

(٣٤٣ — ٣٤٨ / ٣٤٩ هـ)

عاود الروم اعتداءاتهم سنة ٣٤٣ / ٩٥٤ م على تخوم (ثغور) الدولة الاسلامىة فى بلاد الشام ، مما دفع سيف الدولة للقيام لصددهم . ولذلك نشبت المعارك بين الطرفين قرب حصن الحدث Adatha (١) . وكان عدد جيش الروم هذه المرة — كمعادتهم — كثيفا أيضا — يقال أنه بلغ خمسين ألفا من الفرسان والرجال — تجمع من جموع الروم والأرمن والبلغار والروس والصقالية والخزرىة . وظلت المعركة من الصباح حتى العصر ، حيث تمكن سيف الدولة فيها من قتل الكثير من قوات الروم وعلووجهم ، حتى بلغ ما قتل منهم نحو ثلاثة آلاف ، عدا من أسر وكان عددهم كبيرا ، كان منهم الامبراطور قسطنطين نفسه وبعض بطارقه (أى قواده) (٢) .

ويصف الثعالبى معركة الحدث وما وقع فيها بقوله (٣) :
« . . . وسار سيف الدولة لبناء الحدث — وهى قلعة عظيمة الشأن — فاشتد ذلك على ملك الروم ، فجمع عظماء مملكته ، وجهزهم بالصليب الاعظم (ما يسمونه صليب الصليوت) وعليهم فردوس (برداس) الدمستق ثائرا بابنه قسطنطين ، فى عدد لا يحصى ، حتى اجابوا بعسكر سيف الدولة ، والتهبت الحرب ، واشتد الخطب وساءت ظنون المسلمين . ثم أنزل الله نصره ، فحمل سيف الدولة يخرق الصفوف طلبا للدمستق ، فولى هاربا وابن بنته وقتل خلق كثير من الروم » . وقد سجل المتنبى هذا النصر الحمدانى الاسلامى المؤزر

(١) الحدث مدينة صغيرة بالشام . راجع أبو الفدا : تقويم البلدان ٢٦٣

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ١ / ١٢٤ — ١٢٦ .

(٣) الثعالبى : يتيمة الدهر (ط . مصر ١٩٣٤ م) .

للامير سيف الدولة في قصيدته « على قدر أهل العزم تأنى العزائم » (١) التي جاء فيها .

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلهم هزيمة ووجهك واضح وشعرك باسم

والحق أن سيف الدولة كان يرمى دائما من وراء معاركه ، الى تحقيق هدف واحد لم يرغب عنه لحظة واحدة ، ألا وهو حماية الدولة الاسلامية ممن ييغى بها سوا أو شرا . أما الروم فكانوا يشعلونها حربا دينية لاخذ بلاد دخالها الاسلام ، وسكن بنوره في قلوب وأفئدة أهلها . وليس لاعادتهم للضلال سبيل . فالتاريخ لا يعود للوراء أبدا ، والحق لا بد وان ينتصر مهما طال الأمد . مما يجعلنا نقرر بشيء من الثقة أن عصر الحروب الصليبية ، انما يرجع الى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، وليس الى تلك الصيحة الرعناء التي نهق بها البابا أوربان الثانى في مجمع كليرمونت سنة ١٠٩٦م (اواخر القرن الخامس الهجرى) .

لقد كانت معركة الخدث ٣٤٣هـ حقا من المعارك التي منى فيها الروم بخسائر فادحة في الرجال والاموال ، وكان اندحارهم فيها مزرىا . لكن سيف الدولة لم يستخف هذا النصر الباهر على عدوه وعدو دينه وأمتنه ، بل ظل حذرا متيقظا دائما لما يمكن ان يقوم به الروم من هجوم مباغت . ولولا هذه اليقظة التي تمتع بها سيف الدولة ، لما كانت الدولة الحمدانية ، ولما كان لتسيف الدولة هذا الصيت الداوى على مر الاجيال .

سار سيف الدولة في عام ٣٤٥هـ (٩٥٦م) ، على رأس جيشه قاصدا أرض الروم . وقد صحبه في حملته هذه شاعره أبو الطيب المتنبى ، ليشهد بنفسه المعارك التي طالما سمع عنها من الرواة . وعبر

(١) المتنبى : ديوانه .

سيف الدولة بقواته نهر أرسناس^(١) ، ثم اجتاز حصن الران^(٢) ، ومنه الى تل بطريق ، الذي كان ضمن المناطق البيزنطية . ولم تجد القوات الحمداية في هذه النواحي مقاومة تذكر^(٣) .

وقد سجل المتنبي هذه المناسبة في قصيدة له جاء فيها^(٤) :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهى المحمل الثانى

ومنها قوله :

لولا سمي سيوفه ومضاؤه لما سلن لكن كالأجفان
مازلت تضربهم دراكا في الذرى ضربا كأن السيف فيه اثنان
فرموا بما يرمون عنه وأدبروا يطأون كل حنيئة مرنان
بغشاهم مطر السحاب مفصلا بمهند ومثقف وسببنا
يامن يقتل من اراد بسيفه اصبحت من قتلاك بالاحسان
فاذا رأيته حاد دونك ناظري واذا مدحتك هار فيك لسانى

كان لخبر وصول القوات الحمداية الى منطقة تل بطريق ، وقع الصاعقة في نفوس الروم وقادتهم . فلاحقوا بسيف الدولة ، والتحم الفريقان في قتال ، جادت أثناءه السماء بمطر غزير عطل القسى عن الرماية ، مما أذهل الروم وأفرغهم ، فطفقوا بتفرقون في انحاء المملكة البيزنطية ، وانسحبوا كالجرذان المذعورة الى جحورها ، مما اشعل الحمية والحماس في نفس جيش الحمدايين وقائدهم سيف الدولة . « فركبوا أقفية الروم المندحرة » ، حتى أوغلوا في

(١) نهر أرسناس : نهر في بلاد الروم يوصف ببرودة مائه . راجع ياقوت معجم والبلادى : فتوح .

(٢) يقع حصن الران على منطقة الحدود الاسلامية البيزنطية قرب ملطية .

(٣) ابن ظافر : الدول المنتطعة ج ١ ص ٨ ومحمد كرد على : خطط الشام ج ١ ص ١٩٠ .

(٤) المتنبي : ديوانه وابن الوردى : تنمة المختصر ج ١ ص ٤٢٨ .

أرضهم ، يسبون كل ما أحلته لهم قواعد الحرب • وكانت نتيجة هذه الغزاة مؤلة وشديدة الوقع في نفوس الروم^(١) .

وقد أورد الأنطاكي انباء هذه الواقعة في تاريخه حيث قال :
« غزا سيف الدولة الى بطن هنزيط (خنزيت • • • • Khanzit)
في سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ، ونزل شاطيء نهر أرسناس ، وعبر
الى الجانب الآخر في الزواريق ، وكان يأنس بن الشمشقيق (يوحنا
زيمسكس) في تل بطريق فكبسه سيف الدولة ، فانهزم ابن الشمشقيق ،
وفتح سيف الدولة تل بطريق ، وانثنى سيف الدولة قاهلا الى الدرب
يئس له درب الخياطين ، وألقى الدمستق (قائد الجيش البيزنطي)
وابن الشمشقيق قد أخذوا الدرب وأشحناه (عباه) بالرجال ، فانتشب
القتال بينهم ، واستظهر سيف الدولة عليهما ، وكان سيف الدولة
قد خلف بدوك (دلووس) أبا العشائر الحسين بن علي بن الحسن بن
حمدان^(٢) ، ورسم له النزول على حصن عرمدا وبناءه • وخرج لاون
البطريق بن الدمستق ، ولقيه أبو العشائر فأسره — أي أسر أبا
العشائر — وحمله الى القسطنطينية ومات في الأسر »^(٣).

وفي نفس السنة (٨٣٤٥) غزا سيف الدولة — باحدى سراياه —
منطقة سمندو ، فوجدوا فيها : استراتيجيوس (حاكمها) ابن
البلنطس ، وأسروه • • « وقتل سيف الدولة ، وأحرق وأسر ثم عاد » •
كما قصد بعد ذلك حصن زياد وحاصره واتصل به (أي علم) أن
الدمستق متوجه الى الشام فتسرع (فأسرع) سيف الدولة الى
لقائه ودفعه^(٤) .

وقد أورد ابن الأثير في سرده لأحداث عام ٨٣٤٥ (٩٥٦ م)
« أن سيف الدولة سار في رجب من هذه السنة في جيوش الى بلاد

(١) الانطاكي : تاريخ بحبي بن سعيد الطريق ص ٧٤ — ٧٦
(٧٧٢ — ٧٧٤) •

(٢) هو احد قواد سيف الدولة ، ووالية على انطاكية آنذاك .

(٣) الانطاكي : تاريخ يحيى بن سعيد ص ٧٤ — ٧٦ •

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ٨ حوادث ٨٣٤٥ •

الروم ، وغزاهما ، حتى بلغ خرشنة (خرسيون) وصارخه ، وفتح عدة حصون ، وسبى ، وأحرق ، وخرّب ، وأكثر القتل فيهم ، ورجع إلى أذنه (أظنه) ، فاقام بها حتى جاءه رئيس طرسوس ، فخلع عليه سيف الدولة واعطاه شيئاً كثيراً وعاد إلى حلب ، فلما سمع الروم بما فعل ، جمعوا حشودهم وساروا إلى ميفارقين ، وأحرقوا سوادها ، نهبوه وخرّبوا ، وسلبوا أهلها ، ونهبوا أموالهم وعادوا » (١) .

عزم الدمستق نقفور فوكاس على الانتقام من المسلمين ، نتيجة ما ألحقته بهم هجمات قوات الحمدانيين في الشام من هزائم وخسائر . فجهز حملة كبيرة جعل قيادتها إلى القائد حنا زيمسكيس (ابن الشمشقيق عند العرب) الذي بدأ إغاراته على أطراف منطقة ديار بكر . وكان زيمسكيس قد أقسم لنقفور فوكاس أنه « لن يرجع حتى يخذل سيف الدلة خذلانا مبينا » (٢) . وقد نوه المتنبي بهذا القسم في قصيدة له جاء فيها (٣) :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم
ماذا بزيديك في اقدامك القسم
وفي اليمين على ما أنت واعده
مادل انك في الميعاد متهم
آلى الفتى ابن شمشقيق فأحنثه
فنى من الضرب تنسى عنده الكلم

لما علم سيف الدولة نبأ حملة زيمسكيس ، زحف بقواته نحو سميساط . وهناك انضم إليه بنو نمير (٤) . مما عزز قواته ، ثم لحق بالروم ، وقد ظنوا أن باستطاعتهم استدراجه ، لكنهم كانوا واهمين . وقد التقى الفريقان — الحمداني والبيزنطي — في عام ٣٤٥ هـ (٩٥٦ م) في مكان ضيق يسمى « درب باقسايا » ، حيث أنزل

(١) ابن الأثير : نفس المصدر حوادث ٣٤٥ هـ .

(٢) الانطاكي : تاريخ الانطاكي (صلة اوتيا) ص ٧٤ — ٧٦ .

(٣) المتنبي : ديوانه .

(٤) راجع ابن خزم : جمهرة انساب العرب « بنو نمير » .

بالروم هناك هزيمة فادحة ، وقتل من قواتهم نحو أربعة آلاف ، بينهم عدد من كبار قادتهم وبطارقتهم ، وكانت مغنم الحمدانيين في هذه الواقعة وفيرة من العتاد والذخائر ، عدا النفائس الثمينة كالحلى والديباج^(١) .

واستمر الحمدانيون في تعقبهم للروم ، حتى قتلوا حدهم ، ومزقوهم شرق ممزق . وكانت موقعة درب باقسيا هذه مما أثار شجن ووجد المتنبي ، حتى انه نوه بها في قصيدته « الرأى قبل شجاعة الشجعان » ، اذ ورد في بعض أبياتها وصفا للمعركة والاماكن التي دارت فيها ، نورد منها هذه الأبيات^(٢) :

في جحفل ستر العيون غباره فكأنمـــــــــــــــــا يبصرن بالآذان
يرمى بها البلد البعيد مظفر كل البعيد له قريب دان
فكأن أرجلها بتربة منبجج يطرحن أيديها بحصن البران
حتى عبرن بأرسناس سوابجا ينشرن غيه عمائر الفرسان
كما أشار المتنبي الى صعوبة الطريق والدروب التي سلكها سيف الدولة بقواته في قوله^(٣) :

وعلى الدروب في الرجوع غصاصة
والسير ممتنع من الامكان
والطرق ضيقة المسالك بالقنـــــــــــــــــا
والكفر مجتمع على الأيمنــــــــــــــــان
نظروا الى زير الحديد كأنما
يصعدن بين مناكب العقبــــــــــــــــان
وقوارس يجبى الحمام نفوسها
فكأنمــــــــــــــــا ليست من الحيــــــــــــــــوان

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٨ حوادث ٣٤٥ هـ .

(٢) المتنبي : ديوانه .

(٣) المتنبي : ديوانه .

مازلت تضربهم دراكاً في الــذرى
ضرباً كأن السيف فيه اثـنـان
رفعت بك العرب العمـاد وصيرت
قـمم الملوك مواقد النـبـرـان

لما سمع الروم بما فعلته القوات الاسلامية بقيادة سيف الدولة الحمداني ، ساروا الى ميافارقين (مارتيروبوليس) « فأحرقوا سوادها ، ونهبوها ، وخربوها ، وسبوا أهلها ، ونهبوا أموالهم ، كما سيروا حملة بحرية الى طرسوس ، حيث اعملت القتل في أهلها العزل ، حتى بلغ من قتلهم منهم نحو ألف وثمانمائة (١٨٠٠) رجلاً ، كما حرقوا ما حولها » (١) . وبذلك يبدأ العد التنازلي لقوة الحمدانيين ومجدهم .

ذلك أن الفترة التي أعقبت ذلك ، وبخاصة ابتداء من عام ٣٤٧ هـ (٩٥٨ م) ، اتسمت بظهور علامات ودلائل الضعف ، التي بدأت تتخرق في كيان القوة والدولة الحمدانية . وهي التي كانت تتحمل منذ قيامها عبء المواجهة الحربية مع الروم ، في مناطق الثغور سواء الجزرية أو الشامية . وسيكون لذلك التطور أثره في المواجهة في الثغور الشامية والجزرية ومياه شرقي البحر المتوسط آنذاك .

وإذا كان السيف هو فيصل العلاقات بين القوى الاسلامية من ناحية والدولة البيزنطية من ناحية أخرى في بلاد الشرق الاسلامي — (الشام والجزيرة وأرمينية) — فإن الأمر اختلف في النطاق العربي للعالم الاسلامي . إذ استقبل انحاكم الأموي في بلاطه بقرطبة (في الاندلس) سفارة بيزنطية منذ عام ٣٣٩ هـ (٩٤٧ م) ، للعمل على موادعته على حد قول المقرئ (٢) . وذلك لأن الامبراطور البيزنطي — وقتذاك — قسطنطين

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٨ حوادث ٣٤٥ هـ .

(٢) المقرئ : نفخ الطيب ١/٢٦٤ وما بعدها .

السابع بورفيريوجنتس (٩١٣ — ٩٥٩ م)^(١) ، كان يخشى من نوايا الفاطميين ببلاد المغرب ، الذين سبق لهم التحالف مع البلغار ضد الامبراطورية البيزنطية في عهد رومانوس ليكاينوس^(٢) .

على أى حال ، لقد شهدت الفترة فيما بين سنتي ٨٣٤٥ و ٨٣٤٨ (٩٥٧ — ٩٦٠ م) نشاط بيزنطيا مركزا ، على جهة المواجهة ضد المسلمين ببلاد الشام واقليم الجزيرة . اذ سار الروم في شهر ربيع الأول ٨٣٤٥ في حملة قصدت « حصن الحدث » ، حيث فتحوه صلحا . ثم انصرفوا من توهم الى مدينة حلب لفتحها . وفي سنة ٨٣٤٧ سارت القوات البيزنطية بقيادة يوحنا زيمسكيس (الشمشقيق) الى مدن آمد Amida ، وأرزن Arzen وميافارقين (مارتيروبوليس) ، ونصيبين ، ونزلوا على حصن يسمى « الحصن اليماني » من أعمال آمد^(٣) .

ولما علم سيف الدولة بهجوم الروم على هذه المناطق ، سير غلامه « نجا الكاسكى » على رأس جيش قوامه نحو عشرة آلاف مقاتل . والتقى الجمعان في معركة ضارية ، انتهت بهزيمة القوات الحمدانية ، ومقتل نحو خمسة آلاف منهم ، وأسر ثلاثة آلاف تقريبا ، كما استولى الروم على جميع سواد نجا الكاسكى غلام سيف الدولة^(٤) . وقد واصل الروم زحفهم بقيادة يوحنا زيمسكيس ، الذي رافقه باسبيل الباركمونس Basil Le Perakmaumène حيث نزلا بقواتهما على سميساط Samosata وفنحاهما ، ثم سارا عنها الى رعبان (أورعبان Rābān) فحاصراها في شعبان / رمضان ٨٣٤٧ (أكتوبر / نوفمبر ٩٥٨ م)^(٥) .

(١) اشترك هذا الامبراطور في الحكم مع رومانوس ليكاينوس فيما بين سنتي ٩١٩ — ٩٤٩ م . ثم انفرد بالحكم بعد ذلك حتى ٩٥٩ م راجع : بورفيريوجنتس : ادارة الامبراطورية ص ٢٣٥ (ثبت الاباطرة البيزنطيين) .

(٢) بورفيريوجنتس : المرجع السابق ص ٣١ .

Grousset; R. :Hist. de la Armenie, P. 476 - 477.

(٣)

(٤) الانطاكي : تاريخ يحيى بن سعيد ص ٧٧٤ — ٧٧٥ .

Grousset : Hist. de la L'Armenie, P. 477.

(٥)

هكذا نرى الجانب البيزنطى يحرز جولات ينتصر فيها على القوات الحمدانية فى فترة ضعف القوى الاسلامية ، وذلك بفضل ثلاثة من أبرع قادة الروم وهم : ليوفوقاس ، وياسيل باراكومنس ، ويوحنا زيمسكيس (الأرمنى الأصل) • فيتقدم الزحف البيزنطى نحو آمد ، وأرزن ، ونصيبين ، وميافارقين • غير أن هذه الحملات البيزنطية لم تتعد كونها اغارات سريعة مضادة ، قام بها الروم كرد فعل للنشاط الاسلامى ، الذى كان قد سجل الكثير من الانتصارات على الروم فى جولات سابقة واماكن مختلفة •

والدليل على أن هذه الحملات البيزنطية كانت بمثابة غارات خاطفة أن المدن الأربعة المذكورة — آمد ، أرزن ، نصيبين ، وميافارقين — استمرت — بعد انسحاب الروم منها — تحت سيادة الامارة الحمدانية وسلطة الامير الحمدانى ، المتمركز فى حلب • أما عن النصر الذى أحرزه زيمسكيس على سيف الدولة وقواته فى رعبان (رعبان) ، فكان من نتائجه الأساسية ضمان الروم السيطرة التامة على سميساط^(١) • والحق أن الروم أوقعوا بقوات سيف الدولة فى معركة رعبان (شعبان / رمضان ٣٤٧ هـ) هزيمة كبرى • إذ قتل من القوات الحمدانية الكثير ، كان منهم عدد ليس بالقليل ، من اصحاب وغلان سيف الدولة ، مما يند عن الحصر ، هذا بخلاف عن سيق أسيرا (وعددهم نحو ألف وسبعمائة) الى شوارع القسطنطينية ، حيث طيف بهم فى شوارعها وهم يركبون خيولهم ومعهم اسلحتهم^(٢) •

تشجع الروم بما أحرزوه من انتصارات على القوات الحمدانية ، فاندفعوا يزحفون فى نفس سنة ٣٤٧ هـ على مدينة قورس^(٣) ، حيث أسروا عددا من أهلها ، استخلصهم سيف الدولة فيما بعد • وفى السنة التالية يموت امبراطور الروم قسطنطين بن ليو (بورفيروجنتس) (فى اكتوبر ٩٥٩ م / شعبان ٣٤٨ هـ) ، بعد حكم دام زهاء ٤٨ عاما ،

Grousset : Ibid. P. 477 - 478.

(١)

(٢) الانطاكى : المصدر السابق ٧٧٥ — ٧٧٦ .

(٣) مدينة قورس : تقع بين نل عفرين وكلس . راجع الانطاكى :

تاريخه ص ٧٧٥ — ٧٧٦ .

بزغ خلالها نجم كل من ليوين برداس فوكاس ، ونفقور فوكاس ، بحيث صار للأول حكم شرق الدولة البيزنطية . والثاني غربها (١) .
والحق ان قسطنطين بورغريوجنس — الامبراطور ومؤلف كتاب ادارة الامبراطورية البيزنطية — مات في وقت أصبحت فيه منطقة الفرات من جديد قاعدة للعمليات البيزنطية ، وصارت منطقة دجلة هدفا للغارات والجحافل البيزنطية فيما بعد (٢) .

وفي مستهل شوال عام ٨٣٤٨ هـ ، سار الروم الى طرسوس ، حيث فتحوا حصن المهارونية . كما سارت فرقة منهم الى ناحية ديار بكر في نفس العام . فلما علم بذلك سيف الدولة سار من حلب الى هناك ، فرحل الروم الى ناحية الشام . بعد أن قتلوا عددا من أهله ، وخربوا حصونا كثيرة ، كما أسر محمد بن ناصر الدولة الحمداني (٣) . كما حشد الروم قواتهم بقيادة ليوفوقاس ، حيث استولوا على مدينة الحدث ، ودخوا حصونها .

وفي نفس العام ٨٣٤٨ هـ (٩٥٩ م) نجح الروم في السيطرة على مدينة مرعش (٤) .

ومن ناحية أخرى شجعت هذه الانتصارات البرية حكام الامبراطورية البيزنطية على نقل ميدان صراعهم ضد المسلمين ، الى الحوض الشرقي للبحر المتوسط في جزيرة كريت (اكريطش) حيث انقض الاسطول البيزنطي في عام ٨٣٤٩ هـ على الجزيرة (٥) ، محاولا أخذها من المسلمين ، وهو ما لم ينجح فيه الا مستهل عام ٨٣٥٠ هـ بسبب انشغال القوي الاسلامية المعاصرة — كالفاطمية في المغرب والاشيدية في مصر — في مشاكلها الاقليمية الخاصة ، فضلا عن تردى أوضاع الخلافة العباسية آنذاك (٦) .

(١) الانتاكي : نفس المصدر ص ٧٧٦ .

(٢) Grousset : Hist. de L'arameie., P. 477.

(٣) الانتاكي : نفس المصدر ص ٧٧٥ . ٧٧٦ هـ والهامي : التوفيقات

الالهامية ص ١٧٤ .

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب ١/ ١٢٠ ، وبورغريوجنيس ص ٢٩ .

(٥) بورغريوجنيس : ادارة الامبراطورية البيزنطية ص ٢٩

(٦) ابن العديم : زبدة الحلب ١/ ١٤٧ وصابر دياب : سياسة الدول

الاسلامية في حوض البحر المتوسط ص ١٣٤ — ١٤٠ .

هكذا أصبحت مناطق الثغور الاسلامية — البيزنطية في مستهل عام ٣٤٩م (٩٦٠م) تحوى مدنا حدودية (ثغرية) ، تمتد من الشمال الى الجنوب ، صارت خاضعة للسيطرة والسلطة البيزنطية مثل : سميساط ، بهسنى ، وكوكوسوز (جوكوسن Goksun) وجمانة ، وبوداندوس (بوزانتى Podandos) ورومانوبوليس Romonopolis وكركارون (جرجر)^(١) .

وبهذه الانتصارات التى أحرزها الروم (البيزنطيون) على المسلمين — منتصف القرن الرابع الهجرى (منتصف العاشر الميلادى) — فى المناطق الثغرية باقليم الجزيرة (ما بين النهرين أو منطقة الميزوبوتوميا) وبلاد الشام ، تكون الحدود البيزنطية قد اقتربت أو بل تأخمت الولايات الأرمينية المستقلة . وهذا الوضع الجديد ستترب عليه مشكلة كبرى سماها جروسية Grousset « مشكلة الايام القادمة » وهى : هل تساعد الممالك الأرمينية الدولة البيزنطية فى حربها ضد المسلمين ؟ أم تعرقل تقدم قواتها ونشاطها بعد أن زاحمت السيادة البيزنطية تلك الممالك فى عقر دارها ؟^(٢) .

٣ — المرحلة الثالثة : محاولات نقفور فوقاس انهاء الجود الاسلامى من مناطق الثغور الاسلامية (٣٤٩ — ٣٥٦م / ٩٦٠ — ٩٦٧م) :

علم سيف الدولة ، فى مستهل عام ٣٤٩م ، أن الروم يخططون لايقلاع الثغور الاسلامية ، وانهم حوموا حولها متعدين حدود طرسوس والرها (ادسا Edessa) وقتلوا وسبوا دون أن يلقوا مقاومة تذكر . فأعد سيف الدولة عدته ، وجيش فوائمه : وأعلن الجهاد لدحر اعداء الاسلام ، ولينتقم لى انتهاك من حرمان المسلمين .

وسار سيف الدولة فى نفس العام (٣٤٩م) الى خرسيون

Grousset : Hist. de L'Armenie, P. 477.

(١)

Grousset : Ibid., P. 478.

(٢)

(خرسنة)^(١) ، عازما على ضرب الروم في عقر دارهم وقلب حدودهم ، وليحول بينهم وبين التوغل في البلاد الاسلامية . خاصة وان مطامعهم كانت تهدف الى احتلال حلب ، واخذ بلاد الشام من المسلمين ، وهو ما اتضح من تحركاتهم .

وقد أخذ سيف الدولة — وهو في طريقه الى خرسنة سنة ٣٤٩هـ عددا من الحصون البيزنطية ، مما أجبر الروم على الانسحاب أمامه ، محاولين استدراجه الى هوة سحيقة . وقد ابتلع سيف الدولة وجنوده الطعام ، في المنطقة بين البستين والحدث ، « حيث قطعوا الاشجار وسدوا بها الطرق ، ودهدوها الصخور في المضائق (أى القوها) على جيشه ، والروم مع الدمستق وراء الناس يقتلون ويأسرون »^(٢) .

اندلع القتال بين الجانبين — الحمداني والبيزنطي — ودارت المعركة ، فاستبسل سيف الدولة وجنوده . لكن النصر جانب القوات الحمدانية ، حيث انتصر الروم عليهم وراح من جند سيف الدولة (وكان عددهم نحو ثلاثين ألفا) عدد كبير جدا ، بحيث لم يبق سوى عدد لا يزيد على الثلاثمائة ، زادوا عن سيف الدولة واستبسلوا. زودا عنه ، حتى انقذوه بعد جهد جهيد . وقد عرفت هذه الغزوة باسم « غزوة المصيبة » ، نسبة للنتيجة المؤلمة التي انتهت بها على الحمدانيين وقواتهم . مثلما حدث وفي نفس المكان منذ عشر سنوات (٣٣٩هـ في جمادى الآخرة) وهي منطقة درب الجوازات^(٣) .

(١) ورد اسم خرسيون (خرسنة او خرسنة) مرارا في اشعار كل من المتنبي وابى فراس الحمداني ، الذي بقى أسيرا حيث خاطب خرسنة بقوله : ان زرت خرسنة اسيرا فلکم حللت بها أمرا ١ وفي رواية مغفرا) وهي — كما أوضحنا قبل — بلدة ثغرية قريبة من ملطية ، وهي ثغر رومي راجع ياقوت : معجم البلدان مادة خرسنة .

(٢) محمد كرد على : خطط الشام ج ١ ص ١٩٠

(٣) راجع بورفمروجنس : ادارة الامبراطورية البيزنطية ص ٢٩ — ٣٠ وابن العديم : زبدة الحلب ١/١٢١ وابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٤٨٥ — ٤٨٦ (حوادث ٣٤٩هـ) وسامى الكيالى : سيف الدولة ص ٩٣ وابن الوردي : تنمة ٤٣٠/٠ ، ومحمد كرد على : المصدر السابق ١/١٩٠ .

وقد أورد ابن مسكويه تصويرا دقيقا لما جرى في « وقعة المصيبة » هذه حيث قال (١) :

« وفيها (٣٤٩ هـ) غزا سيف الدولة في جمع كثير ، فأثر في بلدان الروم آثارا عظيمة ، وأحرق وفتح حصونا ، وحصل في يده سبي كبير وأسارى ، وانتهى في غزوه الى خرشنة ، فلما أراد الخروج اخذ الروم عليه المضايق (أى حاصروه) فما تهيأ له ان يتخلص الا بجهد عظيم ، هو ونحو ثلثمائة غلام ، وهاك باقى أصحابه أسرا وقتلا ، وأرتجع منه السبي كله والأسارى والغنيمة ، واخذ جميع خزائنه وسلاحه وكراعاه ، وقتل من الوجوه ، الذين كانوا معه حامد ابن النمى ، وموسى بن سبأ ، والقاضى أبو حسين ، وكان معه (أى مع سيف الدولة) ثلاثين الفا ، وخرج أهل طرسوس من طريق آخر فسلموا » .

ويقال ان سبب انكسار سيف الدولة وقواته وانهزامهم في خرشنة ٣٤٩ هـ انما يرجع الى اهماله مشورة من حوله ، لأنه كان ضلب الرأى - أو كما يذكر ابن مسكويه - « كان هذا الرجل معجبا برأيه ، يحب أن يستبد به ، وألا تتحدث نفسان أنه عمل برأى غيره » . وكان اشار عليه أهل طرسوس بأن يخرج معهم ، لانهم علموا ان الروم قد ملكوا عليه الدرب الذى يريد الخروج منه . وشحنوه بالرجال فلم يقبل (سيف الدولة) منهم ولج (أصر على رأيه) فأصيب المسلمون بأرواحهم ، وأصيب هو بماله وسواده وغلماه (٢) .

لكن ألا يمكن أن نستنتج من عدم اذعان سيف الدولة لرأى ومشورة الطرسوسيين ، سببا آخر غير الاستبداد بالرأى . كأن يكون عز على سيف الدولة أن يسجل التاريخ عليه أنه لم يستطع مواجهة الروم ، حين أذوا عليه الدروب ، وأنه سلك طريقا آخر هربا منهم .

(١) ابن مسكويه : المصدر نفسه ١٨١/٢ وراجع ايضا محمد كرد على : الخطط ١/ ١٩٠ .

(٢) ابن مسكويه : تجارب الامم ١٨١/٢ (٢٤٠/٢٣٩ الاصل) حوادث ٣٤٩ هـ .

وان كان ذلك في الحرب لا يعد هرباً أو تجانباً ، بقدر ما كان سينظر اليه على أنه تحسّر وخداع ، وهو ما حض الاسلام عليه فيما ورد من قول الله عز وجل « ومن يولهم يومئذ دبره ، الا متحرفاً لقتال أو متحيزاً . الى فئة فقد باء بغضب من الله » . . . الآية » .

واذا كانت كبرياء وأنفة سيف الدولة قد أوردته في بعض المواقف موارد المهلكة ، فقد كانت من ناحية أخرى وفي مواقف كثيرة ، من أهم عوامل ثباته وصموده امام هجمات القوات البيزنطية المتلاحقة في مواقع عدة كان النصر حليف سيف الدولة في الكثير منها .

وقد أشار المؤرخ الفرنسي بول بورين في كتابه تاريخ حلب « ماضيها وحاضرها » الى هذه المعركة فقال^(١) : « وفي سنة ٩٦٠م (٣٤٩هـ) انهزم سيف الدولة شر هزيمة أمام العدو ، وعاد الى حلب برفقة ثلثمائة فارس فقط وقد أسر البيزنطيون عدداً من رجاله ، منهم أبو العشائر أحد أقرباء الأمير ، الذي مات في القسطنطينية والشاعر المشهور أبو فراس^(٢) ، ومن جملة القتلى كان أبو حصين الرقي قاضي حلب ، وقد كان الأسرى الحلبيون عديدين » .

على أن المؤرخ الفرنسي بول بورين اختلف في روايته عن أبي فراس ، عما أوردته المصادر العربية ، التي تذكر أن أبا فراس أسر سنة ٣٥١هـ . بينما يذكر هو والروايات الاجنبية انه أسر سنة ٣٤٨هـ . والراجح أن أبا فراس أسر مرتين احدهما ٣٤٨هـ ، والاخرى ٣٥١هـ حيث أسر من منبج كما يذكر ابن مسكويه^(٣) ، وما يرجح هذا القول

Paul, Bourain : Alep, Autrefois et aujourd'hui

(١)

(٢) أسر الروم أبا فراس بن أبي العلاء بن حمدان — ابن عم سيف الدولة — بعد اصابته بجرح في معركة خرشنة ٣٤٩ هـ . وبقي النصل الذي اصابه في فخذه . ثم نقل الروم الأسرى ومنهم أبا فراس — الى عاصمتهم ، حيث مكث بها أسيراً مدة ، لتعذر الافتداء وقتذاك . وقد حاول الفرار سنة ٣٥١ هـ . واستمر أسيراً حتى أطلق مقتدياً من سيف الدولة سنة ٣٥٥ هـ . وكان أبو فراس يصدر اشعاره في الأسر ، والمرض ، واکرام سيف الدولة له ، وفرط الحنين للأهل والأحبة ، والتبرم من حياته وحاله . مما يصدر عن صدر مكلوم ، وقلب مصدوع . فينسب شعره رقيقاً يبكي من يسمة لرقته وسلاسته . راجع : الثعالبي : نبتة الدهر والكيالي : ص ١٤١ — ١٤٥

(٣) ابن مسكويه : تجارب الأمم ١٩٢/٢ (الأصل ٢٥٤) .

أن أبا فراس كان قد أرسل — وهو في الأسر — قصائد الى حصين الرقى قاضي حلب ، الذي كانت في موقعة خرشنة ٣٤٩هـ كما أوردت الروايات . وهذا معناه أن أبا فراس أسر قبل معركة خرشنة سنة ٣٤٩هـ ، يعنى سنة ٣٤٨هـ غالبا . على أن المتفق عليه أن النصر لم يؤت سيف الدولة في هذه الغزاة ، وانه عاد لحلب ليفكر في الثأر من عدوه .

لكن القوات الحميدانية ، التي تجرعت مرارة الهزيمة في ٣٤٩هـ في موقعة خرسيون (خرشنة) ، أمكنها الفوز — في نفس السنة — عقب موقعة خرسيون سنة ٣٤٩هـ . إذ سار « نجا الكاسكى » — غلام سيف الدولة — في جيش كثيف ، ليثأر لهزيمة المسلمين في خرشنة . فنزل على حصن ذى القرنين وحاصر أهله ، ووافاه ميخائيل بطريق هنزيط وطرنيق (ديرنيك) وغيرهم في جمع عظيم ، قيل انهم كانوا عشرة امثال قوات المسلمين التي مع نجا . والتحم الفريقان في معركة ، صرع فيها نجا بقواته كثيرا من الروم ومطارقتهم ، وهزم باقيهم ، ففروا مذعورين ، وأكثر فيهم نجا قتلا وأسرا ، وكان بين من أسر طرنيق (ديرنيك) وغيره ، وتعقبهم نجا وقواته بسيوفهم حتى ضاق بكثير منهم المقام ، فألقوا بأنفسهم من فوق جبل عال ، بينما طلب آخرون الأمان فلم يؤمنهم نجا^(١) . فكانت هذه الموقعة بمثابة رد فعل اسلامي قوى وعنيف على الروم ، لما فعلوه بالمسلمين في خرشنة سنة ٣٤٩هـ وغيرها قبل ذلك .

ساد الهدوء النسبي جبهة الثغور الاسلامية — البيزنطية في الشام ، بعد معركة خرشنة الثانية ٣٤٩هـ (٩٦٠م) وهزيمة الروم على يد نجا وقواته . واستمر هذا الهدوء مدة تزيد على العام ، أمضاها الأفريقان (الاسلامي) الحميداني ، والبيزنطي (المسيحي) ، في الاعداد لمعركة أخرى حاسمة . وقد كان سيف الدولة يدرك تماما أن الاعداء يتأهبون للقضاء عليه وعلى دولته — كما يذكر بول بورين — دفعة واحدة^(٢) .

(١) ابن ظافر : أخبار الدولة المنتظمة ج ١ ص ٨-٩ .

(٢) راجع — من سامى الكيالى : سيف الدولة — كتاب

Paul, Bourain : Ibid.,

ذلك أن ماكان يهدف اليه نقفور من ذلك كله ، هو ازاحة الوجود الاسلامى الخطر — حسب تصوره — عن كيليكيا وسورية وفلسطين والعراق • وأن يمد حدود المملكة البيزنطية حتى الدجلة ورمال الجزيرة العربية • وكان أول ما فطن اليه نقفور هو ضرورة اخذ كيليكيا ، وجعلها مقرا لقيادته ، ليكون على مقربة من مسرح المعارك • ولتكون بمثابة المفتاح الذى يسيطر منه على منطقة آسيا الجنوبية من جهة الشمال ، وسورية من جهة الجنوب • وكانت منطقة مضايق الأمانوس وطوروس وكيليكيا آنذاك وحتى سنة ٨٣٥٠ م (٩٦١ م) فى حوزة سيف الدولة أمير حلب •

فهل استطاع نقفور بكل ما فعل أن يحتق ما كان يرثون اليه ويهدف ، وان يثار لدماء قتلاه على أيدي وسبوف الحمدانيين فى أراضى كيليكيا ومضايق الطوروس ؟ هذا ما سنحاول الاجابة عليه •

محاولة نقفور الانتقام من سيف الدولة :

مرت سنة ٨٣٥٠ م دون قتال ، فيما عدا بعض مناوشات بسيطة جرت بين البيزنطيين وجماعات العرب من ساكنى طرسوس ، وقد يكون للطبيعة أثرا القوى فى وقف القتال • ذلك أن المؤرخين يتحدثون عن اشتداد البرد اشتدادا عظيما كان من نتيجته هطول الثلوج كثيرا ، وتجمد نهر الفرات ، الأمر الذى تعذر معه القتال • لكن ما أن حل فصل ربيع عام ٨٣٥١ م ، حتى زحف الروم على مدينة « عين زربة » (عين زربى) — وهى من مدن الثغور — فى وقت لم يكن سيف الدولة قد اتم اسعداده بعد للقاءهم وكان البيزنطيون يعلمون ذلك فقررروا أن يباغثوه بالهجوم^(١) •

وقد جهز نقفور فوكاس Nicephore Phocas جيشا عظيما تراوح تعداداه ما بين ١٦٠ ألف ، ٢٠٠ ألف مقاتل ، ممثلا لأكبر حشد بيزنطى فى تاريخ الحروب البيزنطية الاسلامية • ولعل هذا الجيش اللجب ، يدلنا دلالة قاطعة على مدى ما أحدثته معارك سيف الدولة

(١) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١٠٧ •

في نفوس البيزنطيين من مخاوف وقلق • إضف الى ذلك أن نقفور فوكاس زود جيشه الكثيف بما يحتاجه من عتاد وذخيرة ، وحاملات جنود ، وراجمات • فضلا عن الصناعات والعمال في مختلف المهن ، لتذليل أية صعوبة فنية ، قد نعترض طريق الجيش في زحفه على الثغور الاسلامية • فكان هناك نحو « ثلاثين ألف صانع للمهدم وتطريق الثلوج — أى ازاحتها — وأربعة آلاف بغل عليها حسل الحديد ، يحيط به معسكر قواته :يلا (وهو ما يئسبه الاسلاك الشائكة) ودبابات وناريونانية^(١) ، كان فعلها في الحروب وقتذاك عظيما ، كفعل وتأثير القنبلة الذرية أو الهدروجيلية في عصرنا الحديث ، من حيث قوتها التدميرية في هدم المدن وحصد الأنفس •

بهذا الجيش الجرار الجب انقض نقفور فوكاس على عين زربة^(٢) Anazarbe الواقعة في سفح الجبل — فحاصرها من كل جانب ، وقاتلت قواته اهلها الذين استسلموا في الدفاع عن مدينتهم ما وسعهم الجهد ، حتى آخر قطرة دم في كل منهم • ولم يكن أمامهم في النهاية سوى الاستسلام ، بسبب عدم تكافؤ القوى ، وحفاظا على ما بقى في المدينة من أثر للحياة ، وحماية لها من أن تحرق أو تدمر •

وقد وصف لنا ابن مسكويه^(٣) هذه الواقعة (وقعة عين زربة) سنة ٨٣٥١ ، فيقول : « وفيها — أى في سنة ٨٣٥١ — ورد الروم عين زربة في مائة وستين ألف ، وهى في سفح جبل ، والجبل مطل عليها ، فلما جاء اندمستق (نقفور فوكاس) في هذا الجمع

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ١٩٣ •

(٢) كانت من مدن الثغور الشمالية الهامة ، وقد حصنها المسلمون كثيرا ، وانفق عليها سيف الدولة نحو ثلاثة ملايين درهم لتعمرها وتقويتها راجع :

Grousset, R. : Hist. de L'Arménie, P. 489.

(٣) أبو على أحمد بن محمد (المعروف بابن مسكويه) : تجارب الأمم ج ٢ ص ١٩٠ — ١٩١ • وراجع أيضا : ابن الوردي : تنمة ٤٣٢/١ •

العظيم ، أنفذ قطعة من جيشه الى الجبل ، ونزل هو على بابها ،
فملك جيشه الجبل . فلما رأى أهل عين زربة أن الجبل قد
ملك عليهم ، وان جيشا آخر ورد الى باب المدينة ، وأن مع الدمستق
دبابات كثيرة ، وأنه قد اخذ في ثقب السور ، طلبوا منه الأمان ،
فأمنهم ، وفتحوا له باب المدينة قد خلها ، فوجد الذين في الجبل
قد نزلوا الى المدينة ، فندم على اعطائهم الأمان . فنادى في البلد
من أول الليل بأن يخرج جميع أهله الى المسجد الجامع ، وأن من تأخر
في منزله قتل ، فخرج من أمكنة الخروج ، فلما أصبح أنفذ رجاله في
المدينة وكانوا ستين ألفا ، من وجدود في منزله قتلوه . فقتلوا عالما
من الرجال والنساء والصبيان والأطفال ، وأمر بجمع ما في
البلد من السلاح ، فجمع منه أمر عظيم وكان في جملة أربعون ألف
رمح ، وقطع ما في البلد من النخل ، فقطع نحو خمسين ألف
نخلة ، ونادى فيمن حصل في المسجد الجامع من الناس بأن
يخرجوا عن البلد الى حيث شاعوا ، وأن من أمسى ولم يخرج قتل ،
فخرج الناس مبادرين وتراحموا ، فمات بالضغط جماعة من
الرجال والنساء والصبيان ، ومروا على وجوههم حفاة عراة
لا يدرون أين يتوجهوا . فماتوا في الطرقات ، ومن وجد في المدينة
آخر النهار قتل ، وأخذ ما خلفه الناس من أمتعتهم وأموالهم ،
وهدم السوران اللذان على المدينة ، وهدمت المنازل ، وبقي
الدمستق مقيما في بلدان الاسلام واحدا وعشرين يوما ، وفتح حول عين
زربة أربعة وخمسين حصنا منها بالسيف ومنها بالأمان . وكان
من هذه الحصون التي فتحت بالأمان حصن « أمر أهله بالخروج منه ،
فخرجوا فتهرض بعض الأرمن للنساء اللواتي خرجن منه . فلحق
رجالهن غيرة عليهن ، فجردوا سيوفهم ، فاغتاز الدمستق منهم ، وأمر
بقتل الجميع وكانوا أربعمئة رجل ، وقتل النساء والصبيان ،
ولم يبق الا جارية حدثه ، أو من يصلح أن يسرق » (١) .

فإذا كانت الحصون التي فتحت بالأمان قد تعرضت لهذه القذائف

(١) ابن الوردي : تنمة المختصر ١/٤٣٢ .

والاهوال فما بال تلك التي فتحت بالسيف وتعرضت للهدم والتدمير .

لقد استطاع الروم في هذه المعركة (معركة عين زربة) أن ينتقموا لما وقع بهم قبل ذلك على سيد سيف الدولة . لكنهم في الواقع لم يتمكنوا من اشفاء عليلهم وري ظمأ حقدتهم وغضبهم من دم الأمير سيف الدولة ، بل فقط من تلك البلدة الآمنة ، القوية برجالها ، الغنية بخيراتها . فكانت النساء والرجال وأشجار النخيل ضمة شهوة الثأر والانتقام ، التي تأجبت نيرانها في نفوس الروم بفعل نكيات حروب سيف الدولة فيهم .

ولا شك أن أخبار هذه المعركة ، وما وقع لأهل عين زربة والحصون الخمسين التي حولها ، وما حدث لها من تدمير ونكال على يد نقفور اللعين وقواته المباغية ، قد بلغ مسامع الأمير الحمداني سيف الدولة وآله أشد الألم ، وحفزته للانتقام لما راح من شهداء المسلمين وضحاياهم من النساء والعجزة والأطفال^(١) . بدليل اننا نراه يجمع ما استطاع جمعه من وحدات جيشه بجهد جهيد ، باذلا الكثير من المنح والعطايا لتشجيع الرجال على التطوع للبلد والعداء . ولكن ترى هل خمدت في النفوس جذوة الاقبال على الجهاد في اعداء الله صونا لديار الاسلام ودين الله على هذه الأرض ؟

ومما لا ريب فيه أيضا ، أن هزيمة سيف الدولة في خرشنة سنة ٣٤٩ هـ ، ونجاته بأعجوبة بعد ضياع جيشه كله (٣٠,٠٠٠ ألف جندي) ، ثم دخول البيزنطيين عين زربة سنة ٣٥١ هـ ، واقتحامهم الثغور بجيشهم الكثيف ، كل هذه الاحداث لابد ان تكون قد بثت بعض الوهن والخوف أو الذعر في نفوس قوات !!حمدانيين^(٢) .

(١) ابن الوردي: نفس المصدر ٤٣٢/١ وقد أورد ابن الاثير تفاصيل غدر نقفور بأهالي البلد وقتل الكثير من الرجال والنساء والصبية والاطفال راجع ابن الاثير : الكامل حوادث ٣٥١ هـ .

(٢) سامي الكيالي : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص ١٠٩ — ١١٠

الزحف البيزنطي صوب حلب :

من المعلوم ان الحرب سعيرو وبركان فوار مدمر ، لا نتيجة لها الا الدمار والخراب ، وهدم الأنفس • فهمل يجازف سيف الدولة بقواته القليلة التي جمعها في وقت اخذت فيه اراجيف المرجفين والمثبطين تعمل عملها • هذا وعرين الاسلام يتهدده الخطر المالحق الحائق ، والامر جد خطير ، لا مجال فيه لسفسطات ، أو فلسفات • وليس هناك مندوحوه ولا مجال للانتقاذ الا عن طريق الجهاد والاستبسال في ساحة الوغى ، وهو أفضل كثيرا جدا من حياة غموسها الذل والنهوان ، وشرابها مرير مرارة الذل والانكسار • اذ ما قيمة حياة سلبت منها الكرامة ، وديست فيها الاعراض ، وانتهكت الحرمات ؟ وما قيمة حياة سلب منها نور الحياة بسلب كرامتها ؟ وهل هناك طريق آخر غير بذل المهج والارواح قربانا وفداءا للدين والعرين ؟

فها هي عين زرية صارت في قبضة نقفور اللعين ، تزرع تحت نيره واغلاله وتثمن من وطأة بطشه الغاشم هو وبنى جلدته • وها هو نقفور يعلن — خداعا منه ومكرا — انه سيعود للقتال بعد افطر ، وانه سيخلف في قيسارية جيشه^(١) • اذ ليس من المعقول — وهو يعلم تمام العلم ما فعله ببلاد الاسلام وأهله — أن يطمئن أو يركن الى هدنة أو مسالة ، يسلم فيها خصمه (المسلمين) فرصة ذهبية • وهو أى نقفور — قد أعد حملة — كبيرة للقضاء على سيف الدولة نهائيا ، وأخذ الشام كله — لو تمكن — وضمه الى القبضة البيزنطية^(٢) •

ويورد الأستاذ سامى الكيالى — فى كتابه سيف الدولة وعصر الحمدانيين فقرة مما كتبه بول بورين Bauren, Paul — فى كتابه « حلب » ماضيها وحاضرها » — يصف فيها الفترة التى اعقبت موقعه

(١) راجع ابن مسكويه : نجارب الامم ١٩١/٢ •

(٢) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١١٠ — ١١١ •

عين زربة سنة ٣٥١هـ (٩٦٢م) بأنها فترة استرخاء واستراحة » .
فيقول بورين « بعد أن رسم نقفور فوكاس منذ ٩٦٢م (٣٥١هـ)
خطته الحربية بأكملها ، انقضى على كيليكيا كالصاعقة وفي برهة ٢٢
يوما ، استولى على خمسة وأربعين حصنا وبلدا » (١) ، فوقع العدو
في ارتباك عظيم . أما نفقور فإنه استغل خيرة العدو ، وذهب
بستريخ في قيسارية . وفي خريف السنة نفسها (٩٦٢م / ٣٥١هـ)
اجتاز جبال طوروس ثانية ومعه جيش من مائتي ألف محارب ،
قاصدا حلب . وبعد أن استولى على كيليكيا ، اجتاز جبال الأمانوس
في أواخر تشرين الثاني ، ولم يستطع سيف الدولة أن يدافع عن
مضايق الأمانوس لأنه أخذ على حين غرة .

هكذا أصبح الروم على مشارف حلب ، فلما علم بذلك
سيف الدولة ، نادى بالجهاد بين جنده ورجاله ، لدفع الخطر الداهم .
هذا في الوقت الذي كان فيه الروم قد وصلوا الى « اعزاز » ، ولم
بعد مناصر من الالتحام في القتال وجها لوجه . وأصبح سيف الدولة
الآن امام نحو ثمانين ألف جندي رومي (بيزنطي) وليس معه سوى
أربعة آلاف مقاتل هم كل من كان معه وقتذاك . فهل تتحقق
المعجزة البدرية مرة أخرى ، وينجز الله وعده بنصر هذه الفئة القليلة
المعتدى على عرينها وحرماها ، كما نصر إسلامهم في بدر ، على تلك
الفئة الباغية المتهاوية بكثرتها وكثافتها وعدتها ، واكن هل النفوس
والقلوب في القرن الرابع الهجري هي نفسها نفوس وقلوب أهل
معركة بدر الكبرى في السنة الثانية للهجرة .

بهذا الايمان القوي الآمل في نصر الله ، والمؤمن بعدالة القضية ،
وسلامة المقصد والهدف ، اندفع سيف الدولة بقواته في مدافعة الروم
« وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » ، وقاتل سيف الدولة
بقواته ببسالة نادرة ، حتى قتل أكثر من كان معه ، وارتد هو الى

(١) تذكر الروايات العربية : انها أربعة وخمسون حصنا وليست
خمسا وأربعون ولا نعلم ما اذا كان هذا من تحريف الاقلام وتصحيفها ،
خاصة ان الرقمين متقاربان الى حد كبير .

حلب ، وخيم بظاهرها ، بفكر كيف الخروج من هذا الوضع الحرج في مواجهة الروم^(١) .

في هذا الوقت ، كان الروم قد أوغلوا في البلاد الاسلامية ، وقد جهز سيف الدولة فتاه « نجبا الكاسكي » في ثلاثة آلاف ، ثم لحقه . وعلم في الطريق ان الروم في تل جبرين ، وانهم أوشكوا على مداومة حلب المشهية . فعاد سيف الدولة الى لؤلؤته (حلب) ونادى في الناس للجهاد ، ووزع مافي الخزائن من سلاح وعتاد . واندلع القتال بين الجانبين (الاسلامي والبيزنطي) ودارت معركة غير متكافئة ، تطايرت فيها الرؤوس ، وتناثرت الاشلاء ، وصارت الدماء تجري في الشوارع أنهارا . ولم ينج سيف الدولة الا بصعوبة بالغة ، حيث اتجه الى بالس - الرقة^(٢) . فطارده ابن الشمشقيق (يوحنا زيمسكيس) في عشرين ألف فارس رومي ، لكنه لم يتمكن من القبض على سيف الدولة مما حز في نفسه كثيرا ، وأدخل الحسرة في نفس نقفور اللعين^(٣) .

وقد ذكر شلومبرجر^(٤) كيف كان سيف الدولة عظيما في انكساره كعظمته في انتصاره ، وأن « امبراطورية البيزنطيين العظيمة هذه ، التي ملكت العالم القديم ، كانت تخافه منتصرا وتجله (تحترمه) منكسرا » . « ففي سنة ٩٦٢م (٣٥١هـ) فامت على أبواب حلب معركة بين الجيش البيزنطي ، والجيش الذي يقوده سيف الدولة الامير » . أما كيف كان القتال في هذه الملحمة ، فلا يستطيع وصفه غير الذي شهد المعركة ، وأطل على ساحتها وميدانها « ومع ذلك يصف لنا المؤرخ المذكور كيف كان الامير (سيف الدولة) يثير حماسة الامبراطور ، ويلهب شعوره ، حتى اضطر قيصر البيزنطيين الى مصارحة قواده ، لا أربده قتيلا ، بل أريده أسيرا . فأيكم كانت

(١) سامي الكيالي : سيف الدولة ص ١١١ - ١١٢ .

(٢) بين حلب والرقة على الضفة الغربية لنهر الفرات .

(٣) سامي الكيالي : سيف الدولة ص ١١٢ .

(٤) شلومبرجر : حلب تنافس بيزنطة (نقلا عن سامي الكيالي :

المرجع السابق ص ١١٣) .

له القدرة على أسر منتحتة مقاطعة كاملة » • وهذا لعمري فيه الكفاية
لبيان ما أحدثته حملات سيف الدولة من وقّع مؤلم في نفوس
الروم أمبراطورا وقادة وجنودا •

نقفور يدخل حلب :

ترك سيف الدولة حلب ، ففقدت المدينة بخروجه منها بعض
آمالها الكبار ، مما جعلها تشعر بياس قاتل ، وحيرة ملحة ، وذ هول
عميق • فماذا عساها تفعل ؟ لقد تناثر فرسانها ، وتفرق جيشها ، فلم
يبق فيها غير الكهول والاطفال والنسوة وبعض الحرس • فهل تستسلم
المدينة لهذه القوة الباطشة لتفعل غيها ما تشاء • ؟

لقد أصبح البيزنطيون قرييين من حلب ، فحوموا حولها • أما
أهلها فاعتصموا في الداخل ، وأغلقوا الابواب ، واستعدوا للقتال
بهذه الروح القوية التي ايقظها فيهم الأمير الحمداني الهمام ، لتتقلب
في هذه اللحظات العصبية وهجا ولهيبا ودما • ولكن هذه القوة البسيطة
العزلاء من السلاح ، لن تستطيع مقاومة جيش جرار ، من ثمانين ألف
مقاتل ، مدججين بالسلاح والعتاد عدا المشاة ، ومع ذلك قاتلوا زودا
عن حمائم^(١) •

لقد أسفرت المواجهة عن استشهاد أكثر من ثلثمائة مسلم بينهم
غير واحد من بنى حمدان منهم أبو طالب بن حمدان وابنه ، وداود بن
على كاتب سيف الدولة ، وأبا نصر بن حسين بن حمدان • وظل
البيزنطيون يحومون حول البلد (حلب) دون أن يدخلوها • ثم
اتجهوا الى قصر الأمير سيف الدولة الحمداني — ويسمى الدارين —
خارج البلد ، وكان مما انبهر له نقفور فوكاس ، بسبب ما كان فيه من
التخف والنفاثس والزخارف والعتاد • غير ان اعجابه بالقصر وانبهاره
به ، لم ينجياه من الدمر والتخريب • ومما يذكره المؤرخون ان مما
نقل من القصر « أربعة ملايين درهم فضة ، آلاف من البغال ، وحصنا
(جمع حصان) من نجد ، وأفراسا عربية ، وستة آلاف ذراع ٣٧٠٤ حملا

١) سلمي الكيالي : سيف الدولة الحمداني ص ١١٣ — ١١٤ •

ورسما فقط • ولحق فان الخليفة كان يشعر ويحس بشعور واحساس الشعب المسلم • لكنه كان مسلوب الارادة والسلطة ، لا يملك — ازاء ما سمعه من قول — الا أن يتقابل كلام الناس له بكثير من المراتة تسكن في نفسه • وكانت اجابته للرعبة ناطقة بما وصلت اليه حال الخلافة والخلفاء آنذاك من الضعف والهوان ، لسلط آل بوية على الخليفة ، واستبدادهم دونه بالسلطة ، وتسلطهم على الناس • لكن التاريخ لن يغفر لهم ذلك أبدا •

وقد حاول سيف الدولة أن يلتقى بالجيش البيزنطى سنة ٨٣٥١ بعيدا عن حلب ، لكنه أدرك أن هيزان الموقف لن يكون في صالحه في حالة المواجهة ، لتفوق العدو عددا وعدة • ونذلك بعث بعلامة نجا الكاسكى « على رأس جيش من ثلاثة آلاف ، ثم نجحه ، ثم عاد فوزع ما فى الخزائن من السلاح • ودار القتال بين الفريقين — وكان قتالا غير كافى عددا ، اذ كان ثلاثة آلاف جندى للحمدانيين يقاظون ثلاثين الف جندى رومى (بيزنطى) ، فضلا عن نجدة وأفتهم قدرها أربعون ألفا آخرين كان فيهم يوحنا زميسكيس نفسه • فكانت النتيجة بطبيعة احوال ليست فى صالح المسلمين (الحمدانيين) ، الذين وقع منهم كثير من القتل ، فضلا عن أسر ، بينما لاذ فريق ثالث بالقلعة (قلعة حلب) فنجوا بذلك • أما المدينة فقد أحكم الروم حصارها ، وحاولوا فتح ثغرة فى سورها وقد نجحوا فى ذلك ، لكن الأهالى — كما قلنا اعادوا ترميم الجزء المنكسر عن السور (١) •

وكان أكثر من اعتصم بقلعة حلب من العلويين والمهاشميين والوزراء ، والكتاب ، وجمهور من الأهالى ، فضلا عن فريق من المقاتلة • وقد امتنعت القلعة على الروم على الرغم مما بذله نقفور فى محاولة اقتحامها • وهكذا تبقي قلعة حلب بيد الحمدانيين ، لم تصل اليها يد الروم هذه المرة • وكان ذلك مما استاء له ابن أخت نقفور فوكاس ، الذى أصر على اقتحام القلعة • فكان فى ذلك كمن سعى الى حتفه بظلفه • اذ تناوله واحد من فى القلعة بطعنة رمح أردته

(١) مصطفى الشكعة : سيف الدولة الحمداني ص ١٢٤ — ١٢٥
ومحمد كرد على : خطط ١٩١/١ •

قتيلا لثوّه • فحزن نقفور لمقتله ، وانتقم له بمقتل ألف ومائتي مسلم أسير أو أكثر على مرأى ومسمع من الحلبيين ، امعانا في اربابهم والانتقام منهم^(١) •

وعلى الرغم من كل ذلك ، استعصت قلعة حلب على نقفور وجيوشه سنة ٣٥١ هـ (٩٦٢ م) مما جعل الوساس والمخاوف تتنابه ، خشية أن يتعرض بقواته لانقضاضة مباغطة من هنا أو هناك • فانسحب بعد أن أمر سكان حلب بالعودة الى زراعة الأرض وفلاحتها ، قائلا لهم أن هذه البلاد صارت لنا (للروم) ، وأنه سيعود في العام المقبل ليحصد مازرعوه^(٢) • وفي ذلك يذكر ابن مسكويه^(٣) : ان « نقفور سار الى بلد الروم (القسطنطينية) بما معه ، ولم يعرض لسواد حلب والقرى التي حولها ، وقال لأهلها : هذا البلاد قد صار لنا فلا تقصروا في العمارة ، فانا بعد قليل نعود اليكم » •

وهكذا انتهت هذه الحملة البيزنطية الكبيرة على حلب بالانسحاب في نفس العام (٣٥١ هـ) ، دون أن تتمكن من تحقيق ما كان يعتبر هدفا رئيسيا لها ، وهو وضع حد لهجمات المسلمين المتوالية بقيادة سيف الدولة الحمداني • وضم هذه البلاد (بلاد الشبام كلية) الى دائرة السيطرة والنفوذ البيزنطي ، الذي اندحر عنها لثلاثة قرون كاملة^(٤) • وقد شاع خبر انسحاب نقفور والقوات البيزنطية الغازية ، وعلم بذلك سيف الدولة — وكان في قنشرين وقتذاك — فأسرع الى عاصمة ملكة دافع العين ، حزين النفس ، مصدوع القلب ، لما آل اليه حال حلب الشهباء • وكان قد اعتاد دخولها دخول الظافرين ، مستقبلا بالزغاريد والأهازيج ، مشفا أذنيه بأبيات من الشعر يقرضها لها المتنبى وغيره من شعراء العصر • لكنه هذه المرة لا يسمع الا بكاء أو عويلا ينطلق من صدور أمهات وزوجات ثكلى • ولا يرى الا أصداء

(١) ابن مسكويه : تجارب الامم ١٩٣/٢ — ١٩٤ •

(٢) سامي الكيالي : سيف الدولة ص ١١٧ — ١١٨ ومصطفى الشكعة : نفس المرجع ص ١٣٦ •

(٣) ابن مسكويه : تجارب الامم ١٩٤/٢ (حواشي ٣٥١ هـ) •

(٤) سامي الكيالي : سيف الدولة ص ١١٨ •

ومما يذكر أن الحرس نفسه — وهم بشر أيضا — احتجبوا بالبشر العادية — اشتركوا في أعمال النهب • فيورد ابن مسكويه أن رجال الشرطة حلب ذهبوا « إلى منازل الناس وخانات التجار ينهبونها وقيل للناس الحقوا بمنازلهم فانها قد نهبت • فنزلوا عن السور وأخلوه ومضوا إلى منازلهم مبادرين ، ليدفعوا عنها » (١) •

لما رأى الروم أن الاضطرابات عمت حلب وأهلها ، اقتحم نفقور وجنوده أبواب المدينة ، ودخلوها ونفوسهم تغلى في سوادها ، والانتقام • فأعملوا القتل والنهب والتدمير في المدينة ستة أيام كاملة ، من يوم السبت إلى يوم الأحد ثلاث بقين من ذي القعدة ٣٥١ هـ (٢) • وهكذا خضعت حلب لأبطش البيزنطى • وفروعت النساء والأطفال إلى وعاء جند الروم في أرضها فسادا ، منتهكين الحرمات ، ووضعوا للسيايف في الناس ، فقتلوا كل من لقيهم ولم يرغبوا إلا يعد أن كلوا ووضجوا • وكان في البلد من أسارى الروم ألف ومائتا رجل ، فتخلصوا (مهربوا من المسلمين) ، وحملوا السلاح على المسلمين • وكان سيف الدولة قد أعد من الروم سبعمائة رجل ليفادى بهم ، فأخفهم الدمستقي (القيائد البيزنطى) وسبى من البلد ومن المسلمين والمسلمات ، بضعة بعشر ألف صبي وصبية ، وأخذ من خزائن سيف الدولة ، وأمتعة التجار ما لا يحصى ولا يوصف كثرة (٣) •

وقد عمد الروم بقيادة نفقور فوكاس « إلى الحياض التي يخبر فيها الزيت (أى يحفظ) فصب فيها الماء ، حتى فاض الزيت على وجهه الأرض ، وأخرب المساجد ، وأقام فيها (فى حلب) تسعة أيام (٤) • ثم قال نفقور : « هذا البلد قد صار لنا فلا تقصروا في العمارات فإنا معد قليل نعود إليكم » (٥) • والحق ، أن نفقور استخدم كثير من الوسائل

-
- (١) ابن مسكويه : المصدر السابق ج ٢ ص ١٩٢ (حوادث ٣٥١ هـ) •
 (٢) ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ ص ١٣٣ وابن مسكويه المختصر نفسه ١٩٢/٢ — ١٩٣ •
 (٣) ابن مسكويه : المصدر السابق ج ٣ ص ١٩٣ •
 (٤) ابن مسكويه : المختصر السابق ١٩٣/٢ •
 (٥) ابن مسكويه : نفس المصدر ١٩٣/٢ •

الخصيصة التي لا تتفق وقانون الحروب الذي كان يلتزم به سيف الدولة (١) .

اتصل الحمدانيون — أبان المعركة التي دارت رحاها على أبواب حلب عام (٩٦٢ م) — بالخليفة العباسي المطيع لله (٣٣٤ — ٣٣٣ هـ) طالبين منه أن يمددهم بنجدة ، لكيلا يتساح للروم الفرصة في أن يمسوا في غزوتهم الكبرى . فماذا كانت النتيجة ؟ وماذا حدث ؟

يقول الذهبي — في كتابه تاريخ الاسلام — : « وذاع الخبر في بغداد ، فأغلق الناس الأسواق ، وذهبوا إلى باب الخلافة ، ومعههم كتاب يشرح مصيبة حلب وضجوا . . فخرج اليهم الحاجب ، وأوصل الكتاب إلى الخليفة فقرأه ، ثم خرج اليهم (الحاجب) وأفهمهم أن الخليفة بكى ، ونقل اليهم نص ما قاله : لقد غمى ما جرى ، وأنتم تعلمون أن سيفي معز للدولة ، وأنا أرسله في هذا : لكن أهمل العراق — الذين تربطهم ببلاد الشام أواصر القربى والدم واللغة — لم يرضهم هذا الجواب . فضج الناس وطلبوا إلى الخليفة أن يخرج إلى الجبهات بذاته . وقالوا : لا نقنع إلا بخروجك ، وأن تكتب إلى سائر الأفاق وتجمع الجيوش ، والا فانهزل لتولي غيرك » (٢) .

وكان هذا يعتبر دليلا واضحا على مدى فداحة المصيبة ، التي توشك أن تحل — ليس فقط بالحمدانيين في حلب والثغور الشامية — بل بالمسلمين جميعا . فلقد كانت هذه الكلمات — على إيجازها — بمثابة صرخة تخرج من قلب أمة مثألمة تدرى أية كارثة تصدق بالدولة الإسلامية وشعوبها ، إذا لم تتوحد الصفوف وتصبدق النسيات ، وتصدد متصدية لهذه الأخطار الداهية . وتتكاثر لدحرها ودرئها . وما أشبه الليلة بالبارحة . أفهنا نتعظ ؟

لكن الخليفة ما كان يستطيع أن يفعل شيئا : وقد أصبح شبعا

(١) مصطفى الشكعة : سيف الدولة الحمداني ص ١٣٤ .

(٢) راجع ابن مسكويه : تجارب الأمم ص ٢٠١ . وقد روى ابن مسكويه ذلك بنص الذهبي . راجع أيضا : سامي الكيالي : سيف الدولة ص ١٣١ .

الخراب يرن في جنبات حلب ، وأصوات البوم ينق بين أطلالها
ورسومها . بل أنه ليسمع بكاء المدينة الثكلى نفسها ، وقد سادها حزن
عميق دفين ، وذ هول مخيف^(١) .

والواقع ان خسائر العرب في معركة حلب كانت هادحة : سواء في
الرجال أو المال أو المعتاد . فمن الرجال قتل الكثير من أعيان حلب وعلى
رأسهم أبو طالب بن داود بن حمدان ، وابنه ، وداود بن علي ، وأبو
محمد الفياض كاتب سيف الدولة ، وأبو طالب الأتوي ، وغيرهم آلاف
من الرجال والنسوة والأطفال . وفي الخسائر المادية ، فقد نهبت
المتاجر والحواريات عن آخرها ، وكانت تحوى بضائع بالملايين من
الدينار^(٢) . كما أخذت من خزائن سيف الدولة ، وأمتعة التجار
ما يند عن الحصر . هذا فضلا عن إفساد الجند البيزنطيين لمؤونة
المدينة ، اذ كانوا يصبون الماء على الحباب التي يخزن فيها الزيت
حتى فاض على وجهه الأرض ، وأحرقوا مسجد المدينة المهي الجميل
الرائع ، وخرّبوا قصر الحلب أجمل قصور حلب ، ونهبوا كل ما كان
في حلب من خيل وسلاح وعتاد وميرة وديباج وحرير وأوان ذهبية
قيمة ، بل انهم نقلوا سقوف الدار انحدانية معهم حيث كانت مذبحة^(٣) .

ويوضح ابن العديم ان سبب هزيمة المسلمين في حلب راجع الى
عدم سماع أهلها أمر سيف الدولة^(٤) « بالتحصن خلف الأسوار لحين
استرجاع جيشه الذي كان قد توغل به في بلاد الروم » . اذ قال لهم :

-
- (١) سمي الكيالي سيف الدولة ص ١١٩
(٢) مصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١٣٦ وابن الأثير : الكامل
٣٠٢/٧ وابن مسكويه : تجارب ١٩٢/٢ .
(٣) يقدر ابن مسكويه الأموال التي وجدتها تقفور في قصر الحلب بنحو
ثلثمائة وتسعين بكرة ، ويستطرد ابن الأثير بأن الروم استولوا على ألف
وأربعمائة بقل وعلى كيات كبيرة من الأسلحة . ويضيف ابن ظافر ان الروم
أخذوا ثلثمائة حمل من البز والديباج ، وخمسين حملا من أواني الذهب
والفضة . وثلثمائة رأس من الخيل ومائة حمل من السلاح والمناسق .
والتجانيف والسيوف ونقل معه سقوف . راجع ابن مسكويه ١٩٢/٢ وابن
الأثير : ٣٠٢/٧ وابن ظافر : ١٠٠/ورقة ١٠٠ - ب .
(٤) ابن العديم : زبدة الحلب ١٣٣/١ ومسكويه ١٩٢/٢ - ١٩٣
وابن الأثير : ١٠٤/٨ .

« اغلقوا الأبواب واحفظوها وأمضى أنا وانظم جنودى وأعود اليكم ،
وأكون من ظاهر البلد وأنتم من باطنه » ، فلا يكون دون الظفر بالروم
شيء » . فلما أبى الحلبيون ذلك قال لهم : « اثبتوا فانى معكم » (١) .

لقد انتقم الروم في هجوم (سنة ٣٥١ هـ) من العاصمة العتيدة
العنيدة بتدميرها واحراقها بعد استعمال وسائل الغدر والخسة . وكان
من الممكن أن تظل البلد صامدة ، وتستعصى عليهم لولا حركة النهب ،
والسلب التى قام بها بعض اللصوص داخل المدينة . الأمر الذى شغل -
كما أوضحنا - المدافعين عن حماية السور ، لكى يحافظوا على
أعراضهم وأموالهم (٢) . ونعتقد أنه لو كانت هناك قيادة من أى نوع
داخل المدينة ، ولو أن الأهالى سمحوا لسيف الدولة بجمع الجيش ،
وتحصنوا داخل أسوار المدينة لحين عودة سيف الدولة - بعد
تجميع قواته واعادتها من أرض الروم كما أشار عليهم - لعاد
نقفور خائبا مدحورا الى بلده ، ولما أمكنه أن يحصل على مثل هذا
النصر الرخيص الخسيس الذى احززه بالغدر والخسة (٣) .

آخر أيام سيف الدولة : (٣٥٤ - ٣٥٦ هـ) :

لم تذهب الهزيمة أمام الروم في حلب بثبات وعزم الأمير
الحمدانى « سيف الدولة » ، بل انه عاد الى عاصمته في نفس الشهر ،
وقد وقف على اطلال المدينة (حلب) يساوره ويكتنفه حزن عميق
وآلم يعصر فؤاده ، مع اصرار في النفس على الانتقام لرجاله ،
وللكرامة العربية الاسلامية ، وللأبرياء العزل الذى قتلهم الروم في
حروبهم بخسة ودناءة (٤) .

خرجت جيوش المسلمين من طرسوس واقتحمت بلاد الروم ،
وأوقعوا بجيوشهم وعادوا بغنائم وافرة . ولما علم سيف الدولة
بما دب من خلاف بين الأسرة الامبراطورية والادارة البيزنطية على من

(١) ابن العديم : نفس المصدر ١/ ١٣٤ .

(٢) مصطفى الشكعة : سيف الدولة الحمدانى ص ١٣٧ .

(٣) مصطفى الشكعة : المرجع السابق ص ١٣٧ .

(٤) مصطفى الشكعة : المرجع السابق ص ١٣٧ .

بنى العرش الامبراطوري البيزنطي . انتهر الفرصة ودخل بلادهم ، وأحرقها وسبى أكثر من ألفين ، كما غنم الكثير من المواشى (أكثر من مائة ألف رأس) . وظل يضرب بلادهم حتى وصل الى ملطية وكان ما غنمه وسباه يضيق عنه الحصر^(١) .

ومن ناحية أخرى انسحب نقفور فوكاس وجيشه من حلب في أوائل ذي الحجة سنة ٣٥١ هـ (الموافق ٣١ ديسمبر ٩٦٢ م) وقد عمل — أثناء انسحابه — على الانتقام من البلاد التي اتخذها المسلمون معاقل قوية ومراكز حصينة لغزو بلاد الروم . وكانت المصيصة وطرسوس من أقوى هذه المعاقل . وقد عرف أهلها بالصبر والجلاد والجهاد . وقد اعتمدتهم سيف الدولة في الكثير من غزواته وحروبه ، فكانوا سنده الملكين ودرعه الحصين^(٢) . ويروى أن الروم أسرت في شوال سنة ٣٥١ هـ أبا فراس الحارث بن سعيد بن حمدان من منبج التي كان منتقلا أمرها ، كما فتحت حصن دلوكة غنوة^(٣) .

أما سيف الدولة فقد سار مع غلامه نجبا الى طرسوس سنة ٣٥٢ هـ ، على رأس بغايا قواته الحمدانية ، وانضموا لأهلها في معركة ضد الروم . لكن سيف الدولة رأى — بخبرته الحربية — أن يقسم الجيش الى فريقين . فرقة من الطرسوسيين تتجه الى طرسوس ، وأخرى بقيادة غلامه نجبا الكاسكي من القوات الحمدانية تتوجه الى جهة أخرى ، ليشعب الجبهات على الروم فيشتت قواتهم . بينما تولى سيف الدولة مهمة حماية الحدود ، وظل جنوده يتعقبون جنود الروم حتى أجلوهم عن البلاد الاسلامية . ومما يذكره المؤرخون العرب أن القوات الطرسوسية والحمدانية وصلت في تعقبها للروم حتى مدينة قونية (أوقمونية)^(٤) .

فيذكر ابن مسكويه^(٥) أنه في هذه السنة (٣٥٢ هـ) ورد الخبر

(١) مصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١٣٧ — ١٢٨ .

(٢) سامي الكيالي : مرجع سابق ص ١١٩ .

(٣) ابن الوردي : تنبيه المختصر ١/٤٣٣ .

(٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ص ١٩٨/٢ .

(٥) ابن مسكويه : المصدر السابق ١٩٨/٢ — ١٩٩ .

بأن الطرسوسيين غزوا ودخلوا من درب من دروب الروم الى بلد الروم ، ودخل نجبا — غلام سيف الدولة — من درب آخر ، فغنم أهل طرسوس غنيمة يسيرة ، وأقام سيف الدولة على درب آخر ، ولم يدخل لانه عليلا من فالج لحقه قبل ذلك بسنتين (حول سنة ٣٥٠ هـ) • فلما خرج نجبا وانطرسوسيون عاد بسيف الدولة الى حلب وهو عليل ولحقته غشية ظن معها أنه تلف •

وقد أشاع هبة الله بن ناصر الدولة الحمداني ، خبر وفاة سيف الدولة خطأ • وكان يتعجل وفاته أملا في أيلولة ملك الحمدانيين اليه بعد سيف الدولة ، اذ كان خصما ومنافسا له • وكان هبة الله هذا يحكم حران ، فاستبد بأهلها حتى شغبت عليه البنذ وأهلها ، وضجوا من عسفه بهم ، فقاموا بثورة ضده ، ظنوا بعض المؤرخين — خطأ — أنها كانت ثورة على سيف الدولة • وحقيقة الامر أنها كانت ضد استبداد العمال ، لما أنزلوه بالرعية من عنت وارهاق^(١) •

أرسل سيف الدولة غلامه نجبا الكاسكي سنة ٣٥٢ هـ الى منطقة حران ، لاختاد الثورة التي اندلعت هناك ضد حاكمها هبة الله بن ناصر الدولة ، وانهاء تمرد هذا الحاكم على عمه سيف الدولة^(٢) • لكن نجبا لم يكن أمينا في تنفيذ ما كلف به من مهام • اذ ترك مهمته وطلق يفرض الضرائب والأتاوات على أهل حران ، « حتى ظلمهم وأجحف بهم ، وصادرهم على ألف ألف (مليون) درهم ، ووكل بهم حتى أدوها في خمسة أيام بعد المضرب الوجيع (المؤلم) بحضرة عيالاتهم وأهلهم • فأخرجوا أمتعتهم وباعوا كل ما يساوى دينارا بدرهم • لان أهل البلد كلهم كانوا يبيعون ، ليس فيهم من يشتري لانهم مصادرون • فاشتري ذلك أصحاب نجبا بما أرادوا وافترق أهل البلدة »^(٣) •

(١) سامي الكيالي : سيف الدولة ص ١١٩ — ١٢٠ •

(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ص ١١٩ •

(٣) ابن الأثير : ج ٨٠ ص ١٨٠ •

وقد أورد ابن مسكوية تفصيلا لما أوقعه نجبا بأهل حران من عسف ، وما وقع هو فيه من انحراف عن القصد ، الذي جاء من أجله الى حران ، وخروجه على ولي نعمته . حيث قال (١) : « . . . ونسار نجبا الى حران ، فلما قرب منها هرب هبة الله الى أبيه (ناصر الدولة) ، وأسلم (سنم) أهل حران ، فتحرك نجبا خارج حران ، وخرج اليه وجوه أهلها وأشرفها وهم سبعون شيخا ليسلموا عليه . فوكل بهم وتهددهم . . . ، وطلبهم عن البلد بألف ألف درهم أرش (مقابل) ما عمنوه من غلق الأبواب في وجه أخيه « نما » ولم يسمع لهم عذرا . وجرت لهم معه خطوب ، الى أن قنع منهم بثلاثمائة ألف درهم وعشرين ألف درهم ، ووجه معهم بالفرسان والرجالة ، والزمهم الاجمال (اللترات) الثقيلة ، ورسم (أمر) أن يستخرج له المال في يوم واحد ، وبعد الجهد الى أن يكون المدة خمسة أيام . وقسط المال على أهل البلد ، وأدخل فيه الملى والذمي والسوقة والنساء . الارامل وغيرهم ، ووضع عليهم المعصى والضرب في دورهم بحضرة حرمهم وعيالاتهم ، فأخرجوا أمتعتهم ، وباعوا ما يساوى دينارا بدرهم ، ولم يجدوا من يشتري ، لان أهل البلد كلهم كانوا يبيعون . فاشتري أصحاب نجبا الامنة والحلى بحكمهم وبما أرادوا ولزم (أصاب) أهل البلد من الاجمال ، أمر عظيم ، وضرب بذلك البلد ، وافترق أهله ، وانصرف عنهم نجبا الى ميافارقين بعد أن استوفى جميع المال ، وترك البلد شاغرا ، فتسلط عليه العيارون . وأظهر نجبا الخلاف على مولاة سيف الدولة ، والخروج على طاعته ، ولم يزرع في هذه السنة أحد بديار مضر كبير شيء للجور الذي كانوا فيه » .

وهكذا نجد أن من وثق فيه سيف الدولة ، وأوكل اليه مهمة اقرار الأمور وتهديتها في حران ، يقترب ما هو أبشع من الظلم . ذلك أنه « لما اجتمعت عنده (نجبا) هذه الاموال قوى بها ويطر ، ولم يشكر ولي نعمته ، بل كفره ، وسار الى ميافارقين ، وقصد بلاد

(١) ابن مسكوية : تجارب الامم ج ٢ ص ٢٠٠ (في الاصل ٢٦١) .

أرمينية • وكان قد استولى عليها — كثير منها — رجل من العرب ، يعرف بأبى الورد ، فقاتله (نجا) فقتل أبو الورد ، وأخذ نجا قلاعها وبلادها (خلاط ، وفلازكرد ، وموش) وحصل له من أموال أبى الورد شيء كثير فأظهر العصيان على سيف الدولة (١) •

والحق أن وقع ثورة هبة الله بن ناصر الدولة الحمداني ، على عمه سيف الدولة ، وتمرد نجا الكاسكى على طاعته ، كان شديدا على نفس سيف الدولة • ذلك أنه نم يكن يتصور أن يصل الامر الى هذه الدرجة من الجحود والنكران • وقد بلغ من تأثير سيف الدولة أنه كان كلما تذكر هذا الموقف طفر الدمع من عينيه • خامسة وأنه أصبح امام خصم عنيد يسعى الى قهره وقهر المسلمين في عقر دارهم وهو العدو البيزنطى ، بينما بعض رجاله ومن كان يعتقد في شدة اخلاصهم له ، ينقضون عليه بقيادة نجا ، فضلا عن طعنه نجلاء أغمدها هبة الله ابن ناصر الدولة في صدر سيف الدولة بتمرده عليه • واذا أضفنا الى هذا الهم كله أن المرض بدأ يهاجم سيف الدولة ، وأصبح بذلك لا يقوى على المغالبة والصمود ، أدركنا الى أى مدى كان وضع سيف الدولة وموقفه حرجا • لكنه مع ذلك لم يستسلم لكل هذه المؤامسات وصمم على معاقبة غلامه نجا • كان هذا هو الوضع في داخل الجبهة الاسلامية المتحملة مسئولية المواجهة مع الروم ، ونعنى بها جبهة الحمدانيين •

ومن ناحية أخرى فإن الوضع داخل الجبهة البيزنطية لم يكن أحسن حالا عما كان عليه الامر بين عناصر الحمدانيين • ذلك أن الامبراطور رومانوس الثانى مات سنة ٩٦٣ م (٣٥٢ هـ) تاركا زوجة شابة هى ثيوفانو Theophana وولدين ، أولهما باسيل (وكان عمره لا يزيد على سبعة أعوام ، وثانيهما قسطنطين وكان لا يزال في الثانية من عمره) • فأعلن نقفور فوكاس نفسه وصيا على هذين الطفلين ، ثم لم يمضِ كثير وقت ، حتى تزوج من أمهما

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ١٨٠ وابن مسكويه : تجارب الامم ص ٢٠٠ ، ٢١٠ ، ٢١١ ومصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١٥٠ — ١٥١ •

تيوفانو الجميلة • وبذلك أصبحت السلطة الفعلية في يده^(١) • وقد اهتم نقفور بالجيش ، حيث كرس كل موارد الدولة الامبراطورية لتدعيمه • بل أنه اشتط في هذا السبيل ، حيث أفرط في فرض الضرائب الباهظة ، مما جلب عليه غضب الشعب بعد أن كان موضع إعجابه وتقديره^(٢) • لكن كل ذلك لم يعره التفاتا ، لأنه كان يركز على تحقيق الهدف الرسمى عنده وتحطيم قوة الدولة الحمدانية ، ومد حدود امبراطورية الروم الى سورية والجزيرة ، وفتح بيت المقدس • وهو ما انتصح جليا حينما فتح طرسوس ، ووقف على منبرها وخطب قائلا « ان هذه البلدة هي التي كانت تعوقه عن الوصول الى بيت المقدس »^(٣) •

لقد كان ممكنا ان يأخذ نقفور فوكاس بيت المقدس ، لولا قوة سيف الدولة ويقلته التامة ، وقيادته الأقوية لجيوشه ومصابرته في القتال • الا أن نقفور كان — مع ذلك — طاغيا جبارا ، يصفه المؤرخون فيقولون أنه كان ضخم الجثة عملاقا لدرجة أن البعض كانوا يشبهونه بهرقل • وكان يزاول الاعمال العنيفة ويهوى الصيد والقنص ، ولا يصرف وقته الا في خوض غمار حرب أو الاستعداد لآخرى^(٤) •

على أي حال ، فقد سار سيف الدولة سنة ٣٥٣ هـ ، الى ميافارقين ، ففر منها غلامه الجحدود المتمرد نجب الكاسكي ، فملك سيف الدولة بلاده وقلاعه ، التي أخذها من أبي الورد ، واستأمن اليه (الى سيف الدولة) جماعة من أصحاب نجا فقتلهم (سيف الدولة)^(٥) وكان سيف الدولة أراد أن يقمع هذه الثورة بهذه الشدة لتكون

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ١/١٤٤ والانطاكي : تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ص ١١٩ — ١٢٠ ، فيصل السامر : الدولة الحمدانية ص ١٨٦ — ١٨٧ و

Finlay : Hist. of Byz. Empire, P. 302.

Finlay : Ibid., p. 306.

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ١/١٤٣ وبينز : الامبراطورية البيزنطية ص ٦٢ •

(٣) ومصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١١١ — ١١٢ • Schlumberger : Nicephore Phocas, P. 309 . 311.

(٤) ابن مسكويه : تجارب ص ٢٠١ — ٢٠٢ •

وأصحابها عبرة وعظة لمن تحدثه نفسه بمثل ذلك مستقبلا • ولعل
هذا مما دفع نما أخو نجا أن يستأمن سيف الدولة ، الذي آمنه وأكرمه
وأحسن إليه (١) •

لكن سيف الدولة رأى — بعد ذلك — أن يتجه الى أسلوب
الملاينة والكياسة ، في معالجة الموضوع مع نجا • فأخذ يرأسله
ويرغبه ويرهبه ، حتى عاد نجا تائباً نادماً • فأكرمه سيف الدولة ،
وأعادته الى سابق مكانته (٢) • وقد استمر نجا في خدمة سيده حتى
قتل • فهل قتل نجا بتدبير سيف الدولة ؟ ان هذا الحذر نستبعده
لأنه يتعارض مع خلق سيف الدولة وما جبل عليه من بسجاليا
وصفات حميدة •

على أنه ربما يكون لزوجة سيف الدولة — وقد عز عليها ما وقع
لزوجها بسبب نجا وهبة الله بن أخى سيف الدولة — يد في مقتل
نجا • فلا يبعد أن تكون هي التي حرّضت الغلمان على قتله • خاصة
وأنها كانت دائماً تتذكر اغارته على ميفارقين ، بعد أن عاش في حران
وديّار مضر • وكانت زوجة الأمير وقتذاك هناك فأمرت بصدده بكل
الوسائل الممكنة • لكن يحيى بن سعيد الأنطاكي يورد رواية أخرى نصها (٣)
« وسار سيف الدولة الى ميفارقين ، وأرسل الى نجا يأمره بالمسير
اليه ، وآمنه على نفسه وماله • وسار نجا اليه فصفح عنه ، وأقام
عنده ، وشرب بين يديه • فلما سكب شتم الغلمان وغلط عليهم في
القول فاغتابلوا عليه ، وكانت حرمة « زوجة » سيف الدولة أشد
غيظاً لحصاره لها ، وشتمه إياها ، فصاح نيف الدولة على نجا
وأمر أن يقام من بين يديه ، فرتب الغلمان عليه ، فقتلوه » •

ومما يروى أيضاً أن نجا أغلظ في القول لسيف الدولة ،
فأهاج هذا غلاماً آخر لسيف الدولة اسمه نجاح ، فضربه (ضرب
نجا) بسيف على رأسه فقتله • وقد فزع لذلك سيف الدولة فزعا

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ص ٢٠٢ •

(٢) سنامى الكيالى : سيف الدولة ص ١٢٠ — ١٢١ •

(٣) الانطاكي : تاريخ يحيى بن سعيد ص ٧٩٢ •

شبيداً ، حتى أغشى عليه فأمرت زوجة سيف الدولة أن يجز نجا من رجله ، إلى أن أخرج من القصر ، وطرح في مجرى ماء تصب فيه القاذورات والمباه ، وبقي كذلك ، حتى عصر اليوم التالي ، حيث أخرج نجا ودفن وكان ذلك فيما يروى سنة ٣٥٤ هـ (١) .

على أن اهتمام سيف الدولة بالمواجهة مع الروم لم يفتر ، بل ولم يصرفه عن ذلك ما واجهه من أحداث داخلية . هذا في الوقت الذي كان نقفور يكرر محاولاته لاختذ المصيصة منذ سنة ٣٥٣ هـ جامعاً لذلك جيشاً لجباً . ومع ذلك عجز عن فتح هذه المدينة الثغرية الحصينة على الرغم من « نقيب نيفا وستين نقبا في سورها » . إذ انصرف عنها عاجزاً عن فتحها « لما ضاقت به الميوغلا السعر وبعد أن أقام في بلاد الاسلام خمسة عشر يوماً » (٢) . وقيل أن ينصرف نقفور — عاجزاً — عن المصيصة ، خاطب أهلها ملوحاً لهم بالقوة والتهديد ، ويأني « منصرف عنكم ، لا لعجز عنكم وعن فتح مدينتكم ، ولكن لضيق العلوقة ، وأنا عائد إليكم بعد هذا الوقت فمن أراد منكم الانتقال إلى بلد آخر قبل رجوعي ، فلينتقل ومن وجدته بعد عودتي قتلته » (٣) . ولم ينس نقفور عند انسحابه أن يحرق ويخرب ضواحي المصيصة — كعادته الاجرامية دائماً — كما قتل كثيراً من سكانها العزل الأبرياء (٤) . كما حمل معه — حسبما يروى فنلاي Finlay والمؤرخون المسلمون (٥) — صليباً كبيراً كان المسلمون قد أخذوه في حروبهم السابقة ، حيث وضعه في كنيسة أجيا صوفيا بالقسطنطينية وحمل أيضاً أبواب طرسوس والمصيصة وأذنه ذات الصنعة الدقيقة حيث وضعها في كاتدرائية شبيدا (٦) .

(١) ابن مسكويه : تجارب ص ٢٠٩ ومصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١٥٠ .

(٢) ابن مسكويه : المصدر السابق ص ٣٠٢ .

(٣) ابن مسكويه : نفس المصدر ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .

(٤) ابن شداد : الاملاق الخطيرة (مخطوط) ١/ ورقة ١/٩٤ .

(٥) الانطاكي : تاريخ الانطاكي ص ١٢٢ و

Finlay : Hist. Byz. Emp. P. 307.

(٦) الانطاكي : المصدر السابق ص ١٢٢ وفيصل السامر : الدولة

الحمدانية ج ٢ ص ١٨٧ .

وكان سيف الدولة في وقت نزول نقفور على المصيصة سنة ٣٥٣ هـ قد أرسل خمسة آلاف متطوع خراساني لمعاونة أهل البلد على مقاومة الغزو البيزنطي ودحره ، وكان هؤلاء الخراسانيون قد جاءوا إلى سيف الدولة خلال اشتعال المعارك على الحدود^(١) . ولعل ذلك كان مما دعم قوة أهل المصيصة وساعدهم على الثبات والمقاومة ، واستعصوا بمدينتهم على الغازي نقفور وقواته ، فانسحبوا بعد تدمير الرسائل والقرى الواقعة على الحدود . وهو عمل خسيس لا يقوم به إلا مندحر جبان . عجز عن المواجهة الشجاعة ، وعن مقارعة السيف للسيف فاننقم من قرى آمنة عزلاء وأناس آمنون .

لما انسحب نقفور بقواته خائبا ، اعتقد الخراسانيون أن المواجهة قد انتهت مع الروم ، وبذلك تنتهي مهمتهم . فانسحبوا ، ولم يتعقبوا نقفور وقواته قتلا وتكبيلا واثخانا ، كما فعل هو بالمدنيين الآمنين . والحق أن ذلك كان تقديرا خاطئا ، وتصرفا غير سليم . ولا ندري كيف تركهم سيف الدولة يفعلون ذلك ؟ . اللهم إلا إذا كان ما أورده ابن مسكويه ، كان هو الدافع وراء انسحابهم : « وهو شدة الغلاء في الثغور وحلب » مما دفعهم إلى « رجوع أكثرهم لبغداد » ثم خراسان^(٢) . ومما يؤيد هذه الرواية ، ما قاله نقفور لأهل المصيصة : « من أن سبب عودته وتركهم هو نقص العلوفة ، وندرتهما ، وبالتالي ارتفاع أسعارها »^(٣) .

ويذكر ابن مسكويه في حوادث سنة ٣٥٣ هـ^(٤) . « أن الغلاء اشتد بانطاكية وجميع الثغور ، حتى لم يقدر أحد على الخبز ، وأكل الناس الرطبة والحشيش ، وانتقل قوم من الثغور إلى الرملة ودمشق وغيرها نحو خمسين ألف انسان هربا من الغلاء ، فان الدمستق (القائد البيزنطي) قد جمع الجموع لأخروج إلى بلاد الاسلام ، وأن السلطان (سيف الدولة) بحران مقيم بعد الذي جرى

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ص ٢٠٢ (حوادث ٣٥٣ هـ) .

(٢) ابن مسكويه : المصدر نفسه ص ٢٠٢ (حوادث ٣٥٣ هـ) .

(٣) ابن شداد : الاطلاق الخطيرة : ١ / ورقة ١٩٤ / ١ .

(٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ٢٠٣ .

على أهلها من نجا على ظلمهم وطرح الأمتعة عليهم ، والجور في معاملتهم وأن الغلاء بها وبالرقة شديد جدا » .

لكن نقفور رأى أن مصلحة دوائه تقتضى القيام بعملية تبريد للجبهة الإسلامية وتهدئة للموقف مع الحمدانيين ، ربما لتساعب داخلية كان يعاني منها ، فضلا عن انشغاله الى حد ما بتثبيت النفوذ البيزنطى في جزيرة كريت (اقريطش) التى استطاع الروم الاستيلاء عليها من المسلمين منذ سنة ٣٤٩/٣٥٠ هـ . ولذلك عمد الى سياسة المواءمة والملاينة مع سيف الدولة الحمدانى حيث « هادى سيف الدولة بهدايا ، فصار (ذلك) سببا لقيام (الدمشق) نقفور في بلاد الاسلام ثلاثة أشهر لا ينازعه أحد ، ولا يمكنه فتح المصيصة ، وانصرف عنها لان البلد لم يحمله ، ووقع في أصحابه الوباء فاضطر الى الانصراف^(١) . وقد قبل سيف الدولة ما أهدها اليه نقفور ورد عليه بهدايا أخرى^(٢) .

ويرجح أن سيف الدولة اتخذ من قبول الهدايا من نقفور والرد عليه بأهدائه هدايا أخرى ، سببا ووسيلة لاطلاق وقداء أسرى المسلمين لدى الروم ، وهو أمر هام بالنسبة لسيف الدولة . اذ كان يحاول تجميع قواته المبعثرة ، والعمل على إعادة تنظيمها ، ليتمكن بالتالى من التصدى للبيزنطيين فيحفظ بذلك دولته من التلاشى والانهيار بعد الجهاد الطويل الذى تحمله .

ويبدو أن ما دار بفكر سيف الدولة لم يكن بعيدا عن تقدير نقفور ولذلك انتقل من المصيصة الى قيسارية فأقام سنة يئلمس أنباء الثغور الإسلامية^(٣) . حتى اذا أيقن من ضعفها . وعدم قدرتها على

(١) ابن مسكويه : المصغر نفسه ص ٢٠٢ ، ٢٠٨ .

(٢) ابن مسكويه : المصدر نفسه ص ٢٠٨ وفيصل الساهر : الدولة الحمدانية ج ٢ ص ١٨٧ .

(٣) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١٢٣ وابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٢١٠ .

الضمود والدفاع ، قام — نقفور — بحملته الكبيرة للقضاء على دولة
الاحمدانيين التي شغلت الروم نحو عشرين عاما كاملة (١) .

وفي ذلك يذكر صاحب كتاب نجارب الامم . « .. ورد الخبر
أن نقفور ملك الروم بنى بقيسارية مدينة ، وهي تقرب من بلاد
الاسلام ، فأقام بها ، ونقل اليها عياله ، ليقرب عليه ما يريد من بلاد
الاسلام ، وأن أهل المصيصة وطرسوس أنفذوا اليه رسولا يسألونه
أن يقبل منهم اتاوة يؤدونها اليه ، على أن ينفذ اليهم صاحبها له
ليقيم فيهم ، فعمل على أجابتهم الى ذلك . فورد عليه الخبر بأن أهل
هذه البلدان قد ضعفوا جدا ، وأنه لا ناصر لهم . ولا دافع له عنها ،
وأنه لم تبقى قوات . وأنه آكل الإمر بأهل طرسوس انى أكل الكلاب
والميتة ، وأنه يخرج منها في كل يوم ثلثمائة جنازة . فانصرف رأيه
عما كان عمل عليه ، وأحضر رسولهم وضرب له مثلا ، وقال :
مثلكم مثل الحية في الشتاء اذا لحقها البرد ذبلت وضعفت حتى يقدر
من رآها أنها قد ماتت ، فان أخذها وأحسن اليها ، وأدفاها ،
انتعشت ولدغته . وأنتم انما بضعتم (أى خضعتم) بالطاعة لما
ضعفتم ، وان تركتم حتى تستقيم أحوالكم تأذيت بكم » وأخذ
الكتاب الذي أروده فأحرقه على رأسه فاحترقت لحيته ، وقال :
« امضى اليهم وعرفهم أنه ليس عندي الا السيف » . فانصرف
(الرسول) . وجمع الملك (نقفور) جيوشه وعمل على أن ينفذ
جيشا الى الشام ، وجيشا الى الثغور وجيشا الى ميافارقين . وكان
سيف الدولة بميافارقين قد تخلص البطارقة الذين في يد نجبا
وكان بميافارقين نحو ألف كر حنطة فمزقها (سيف الدولة) وفرقها
لئلا تأخذها الروم » (٢) .

انقض نقفور فوكاس بقواته البيزنطية على المصيصة ، ففتحها .
بالسيف عنوة يوم السبت الثالث عشر من رجب سنة ٣٥٤ هـ بعد أن

(١) سامى الكيالى : المرجع السابق ص ١٢٣ .

(٢) ابن مسكويه : تجارب الامم ص ٢١٠ — ٢١١ (حوادث ٣٥٤ هـ)
والعربى : الدولة البيزنطية ص ٤١٥ — ٤١٦ .

قتل من أهلها عددا عظيما^(١) ، ونقل كل من بها الى بلاد الروم ، وكانوا نحو مائتى ألف نسمة^(٢) . ويضيف الذهبي^(٣) : أن جماعة من أهل المصيصة رجعوا اليها وتنصروا . وقد أرجع الذهبي السبب في تمكن نقفور من المصيصة ، الى قيام أهلها « بهدم سورها بالنقوب ، وأن رجلا أشار عليهم أن يخرجوا الاسارى ليعطف عليهم نقفور فأخرجوهم . فعرفه الاسارى بعدم الاقوات وأطمعوه في فتحها ، فزحف عليها » .

على أن الثابت أن أهل المصيصة قاتلوا الروم في الشوارع ، من شارع الى شارع ، حتى قتلوا من الروم عددا يذكره الذهبي بأربعة آلاف . غير أن تكاثر الروم على أهل البلاد هزمهم ، ومكنهم منهم فقتلوهم . وأخذوا من أعيانهم مائة ضرموا أعناقهم بازاء طرسوس وكان ذلك مما دفع الطرسوسيين الى اخراج من عندهم من الاسرى البيزنطيين (ثلاثة آلاف رومى) وقتلوهم عن آخرهم ، انتقاما لما فعله نقفور وجيشه بأهل المصيصة^(٤) .

بعد أن انتهى نقفور من أمر المصيصة ، توجه الى طرسوس ، التى أذن أهلها له ، بعد أن أيقنوا بعدم جدوى المقاومة فسلم ابن الزيات (عامل سيف الدولة على طرسوس) ومولاه رشيق النسيمي طرسوس صلحا^(٥) . ودخل نقفور المدينة مشترطا على أهلها شروطا أهمها :^(٦)

أولا : أن يخرج الطرسوسيون عن البلد .

ثانيا : أن يحملوا معهم ما يمكنهم حمله .

(١) ابن الوردي : تنمة ٤٣٣/١ .

(٢) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ورقة ١/٩٤ — ١/٩٤ ب (مخطوط)

وابن الوردي : تنمة ٤٣٣/١ .

(٣) الذهبي : تاريخ دول الاسلام ١٧١/١ (حوادث ٣٥٤هـ) .

(٤) ابن مسكويه : تجارب الامم ج ٢ ص ٢١٢ (حوادث ٣٥٤هـ) .

(٥) الذهبي : تاريخ دول الاسلام ج ١ ص ١٧٢ .

(٦) ابن مسكويه : المصدر السابق ٢/٢١١ .

ثالثا : أن تصبح كل الدور بيد الروم •

رابعا : أن من أراد المقام في طرسوس فليتنصر •

خامسا : أن من أراد المقام في طرسوس على دين الاسلام
فعليه جزية •

ويذكر ياقوت الحموي^(١) أن « خلقا كثيرا تنصروا ، وبقي نفر
يسير على الجزية ، بينما خرج أكثر الناس قاصدين بلاد الاسلام
وملك نقفور البلد ، وحرق المصاحف وخرب المساجد ، وأخذ من
خزائن السلاح ما لم يسمح بمثله مما كان قد جمع من أيام بنى أمية
الى هذه الغاية » •

ويروي ابن الوردي^(٢) أن نقفور « أمن أهل طرسوس سنة
٣٥٤ هـ ، وكان فيها أربعون ألف فارس ، طلع نقفور على منبر
طرسوس ، فقال لمن حوله : أين أنا فقالوا : أيها الملك على منبر
طرسوس ، فقال : لا • ولكنى على منبر بيت المقدس ، وهذه — أى
طرسوس — كانت تمنعكم من ذلك ، وجمع مصاحف الجامع ، وكان
ألف مصحف في المحرم وطين عليها ، والله أعلم • وسار أهلها عنها
في البر والبحر ، وجهاز معهم من يحميهم الى أنطاكية • ولقيهم أهل
انطاكية بالبكاء والنحيب وكان في أول طرسوس رجل منهم يقرأ
(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير • الذين
أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله) • وجعل
(نقفور) جامع طرسوس اضطرابا ، وأحرق المنبر ، وحصن طرسوس
وتراجع بعض أهلها وتنصر بعضهم ، ثم عاد اللعين الى القسطنطينية »

كما أورد الذهبي — في تاريخه^(٣) • عرضا وافيا لما حدث
لمدينة طرسوس وأهلها سنة ٣٥٤ هـ على أيدي الروم وبسببهم ، حيث

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان (مادة طرسوس) •

(٢) ابن الوردي : تنبيه الخاطر ج ١ ص ٤٣٣ — ٤٣٤ •

(٣) الذهبي : تاريخ دول الاسلام ورقة ١/٩ وابن مسكويه :
تجارب ٢١٢/٢ حاشية ١ •

قال : « ٠٠ في هذه السنة (٣٥٤ هـ) اشتمد الحصار على مدينة طرسوس وتكاثرت عليهم جوع الروم ، وضعفت عزائمهم بأخذ المصيبة ، وبما هم فيه من القلة والغلاء . ولكن سيف الدولة لم يستطع أن ينجدهم ، فانقطعت عنهم المواد ، وطال الحصار فراسلوا نقفور ملك الروم ، ، في أن يسلموا اليه البلد ، بالامان على أنفسهم وأموالهم ، واستوثقوا منه بأيمان وشرائط . ودخل طائفة من وكلاء الروم ، فاشتروا منهم من البز الفاخر والاولانى المخروطة واشتروا من الروم دواب كثيرة تحملهم ، لانه لم يبق عندهم دابة الا أكلوها ، وخرجوا بحريمهم وسلاحهم وأموالهم ٠٠ ثم دخل الروم مدينة طرسوس فأحرقوا المنبر ، وجعلوا المسجد اصطبلا » .

لقد نزع الطرسوسيون عن مدينتهم سنة ٣٥٤ هـ ، بقلوب كبيرة وافئدة حزينة ملتاعة ، ونفوس جزعة ، وعيون دامعة . وظلوا سائرين حتى بلغوا انطاكية فلما علم بذلك أهل انطاكية « وجفوا وهلعوا ، فطردوا عامل سيف الدولة عليهم من بلدهم انطاكية ، واتصلوا بنقفور على أن يؤدوا اليه أربعمائة ألف درهم عدا ثلاثين درهما كجزية عن كل شخص سنويا » . وكان سيف الدولة في ميافارقين مرقب الموقف وقلبه يعتصر الما وحزنا^(١) .

ومما لا شك فيه أن الخيانات الداخلية كانت من أهم العوامل التي مكنت للروم من رقاب المسلمين ، وجعلتهم يتفوقون على الحمدانيين . وكان من أهم هذه الاحداث تخاذل ابن الزيات عامل سيف الدولة على طرسوس ، ومولاه رشيق النسيمي ، عن الصمود أمام الروم . وقد سار رشيق النسيمي الى جهة حلب وقاتل قرعوية (عامل سيف الدولة) فأرسل سيف الدولة قوة مع خادمه وغلame بشارة ، فقاتلا — بشارة وقرعوية — رشيق النسيمي ، فقتل رشيق وفر أصحابه الى انطاكية . فلما عاد سيف الدولة اجتمع على حربه ابن الأهوازي ووزير الديلمي ، الذي قام محل رشيق النسيمي ، في

(١) ابن مسكويه : تجارب الامم ٢/٢١٣ حاشية ١ .

طرسوس ، فقتل كلا من ابن الأهواز ودزبر كما قتل من ولايتها وقضائهما وشيوخهما خلقا» (١) .

هذا فضلا عن مرض سيف الدولة ، الذى أقعده ومنعه من صد غارات العدو ، لدرجة أنه طلب الهدنة من نقفور سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م) (٢) ، وهو ما لم يفعله قبل ذلك .

كان سيف الدولة قد سار — قبيل دخول الروم الى طرسوس — الى أرزن وأرمينية وحاصر بدليس ، وخلاط ، التى كان بها أخو نجا الكاسكى ، واسمه « نما » — كان قد تمرد الاثنان على سيف الدولة — فتملك سيف الدولة ورد الى ميافارقين (٣) .

هكذا تسببت الاضطرابات والمتاعب التى واجهت سيف الدولة ، منذ سنة ٣٥٤ هـ وحتى وفاته يوم الجمعة لخمس بقين من شهر صفر سنة ٣٥٦ هـ ، فى اعاقته عن التصدى بفاعية وقوة للروم . وكان من أهم هذه المتاعب : ثوره مروان القرمطى فى السواحل ، وتمرد الانطاكيين بتحريض من رشيق النسيى — الذى كان قد سلم وابن الزيات مدينة طرسوس للروم — ، وانضمام بعض الديالة اليه فى ثورته ، وسيرهم جميعا لاختذ حلب من يد عاملها الحمدانى المسمى قرعوية (غلام سيف الدولة) الذى دافع دفاعا مجيدا (٤) . لكن سيف الدولة انقض عليهم — رغم مرضه — فأعطاهم درسا قاسيا واستنقذ منهم حلب وضواحيها .

هكذا كانت هذه هى الظروف التى حملت سيف الدولة ٣٥٥ هـ (٩٦٦ م) ، الى قبول مصالحة الروم . فأرسل الى نقفور ملك (امبراطور) الروم يعرض عليه المهادنة ، ليتمكن الطرفان من تبادل

(١) ابن الوردى : تبة المختصر ج ١ ص ٤٣٤ .

(٢) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ورقة ١/٩٤ وب ونوصل السامر : الدولة الحمدانية ج ٢ ص ٢١٢ و ٢١٣ حاشية ١ .

(٣) ابن مسكويه : تجارب الامم ٢/٢١٢ حاشية ١ نقلا عن الذهبى : تاريخ دول الاسلام .

(٤) ابن مسكويه : تجارب الامم ٢/٢١٢ — ٢١٤ .

الأسرى • وقد وافق نقفور قوكاس على الهدنة • فأطلق سيف الدولة من كان عنده من بطارقة (قواد) الروم الذين كانوا أسرى لديه كما أطلق نقفور رجال سيف الدولة ، الذين كان منهم أبو فراس الحمداني ، ومحمد بن ناصر الدولة ، وغيرهما من رجال سيف الدولة وغلماؤه • كما اشترى حرية ألفى أسير بمائة وستين ألف دينار ، بواقع ثمانين ديناراً عن كل أسير^(١) • ولما نفذ ماله اشترى الباقين بأن رهن بدنته (درعه) والجواهر المدخومة المثل ، ثم عاد إلى عاصمة ملكه ومعه من أطلقهم من رجاله وغلماؤه^(٢) •

وقد أورد ابن الوردي وصفا لعملية الفداء هذه ، ضمن حديثه عن حوادث سنة ٣٥٥ هـ حيث قال^(٣) ، « ٥٠٠ وفيها (أي سنة ٣٥٥ هـ) وصلت الروم إلى آمد وحصروها ، ثم انصرفوا وقاربوا نصيبين ، ثم ساروا ونزلوا انطاكية طويلاً ثم رحلوا إلى طرطوس ، وفيها وقع بين سيف الدولة وبين الروم الفداء ، فخلص أبا فراس ابن عمه وغلماؤه روطاس وجماعة من أكابر الحلبيين والحمصيين ، ولما لم يبق معه من أسرى الروم أحد ، اشترى الباقين كل نفس بائتين وسبعين ديناراً ، حتى نفذ ما معه من المال • فاشترى الباقين ، ورهن عليهم بدنته الجواهر المدخومة المثل ، ثم لما لم يبق أحد من أسرى المسلمين ، كاتب نقفور ملك الروم ، وهذه مجاسن سيف الدولة »

وكان مما أنفقه سيف الدولة في عملية الفداء في هذه السنة (٣٥٥ هـ) نيفاً وعشرين ألف ألف درهم ومائتين وستين ألف دينار • وقد كان هذا الفداء في شهر رجب من عام ٣٥٥ هـ حيث بلغ جملة من فداهم سيف الدولة ثلاث آلاف ومائتين وسبعون نفساً ما بين أمير وزاحل^(٤) •

(١) الانطاكي : تاريخ يحيى بن سعيد ص ١٢٦ •

(٢) الذهبي : تاريخ دول الاسلام ١٧٢/١ وابن مسكويه : تجارب الامم ٢١٣/٢ ، ٢٢٠ •

(٣) ابن الوردي : تنبيه المخضر ٤٣٥/١ — ٤٣٦ •

(٤) ابن الوردي : المصنف السابق ٤٣٦/١ حاشية ١ ، وراجع

الذهبي : تاريخ دول الاسلام ج ١ ص ١٧٢ •

فإننا أضفنا ، الى الاضطرابات التي وقعت في كل من انطاكية وحلب ، أن الروم أحاطوا علما ، بأحوال القوى الاسلامية الأخرى آنذاك ، وما كانت تعانيه من مشاكل ، في بلدان العالم الاسلامي شرقا وغربا أدركنا لماذا تفوق الروم على المسلمين في هذا الوقت (منتصف القرن الرابع) .

نعم ، لقد كان عالم الاسلام وقتذاك (٣٤٩ — ٣٥٥ هـ) يشهد حالة تشرذم وبعثرة لقواء ، التي صارت كل منها تعمل لخدمة مصالحها الاقليمية فقط ، بصرف النظر عن ما يحدثه تصرفها ذلك من اضرار بمصلحة العالم الاسلامي ككل . الامر الذي كان من أهم نتائجه ضياع كريت (اقريطش) من يد المسلمين سنة ٣٥٠ هـ (١) ، وسيطرة الروم عليها ، وعلى بعض الثغور الشامية أمثال المصيصة وطرسوس وانطاكية .

وقد عاود نقفور — امبراطور الروم — الهجوم آخر ٣٥٥ هـ ، على مناطق الثغور الاسلامية ، بهدف دخول حلب . وذلك لأن الروم اعتبروا هذه المدينة المعبر ، الذي يمرون عليه الى بلاد الاسلام . لكن سيف الدولة تصدى لهم ودافع عن لؤلؤته الغالية دفاع الأبطال ، فظلت القوات البيزنطية تعيث وتفسد لمدة خمسين يوما في الضواحي المحيطة بحلب ، دون أن يمكنهم تحطيم تلك الصخرة « حلب الشهباء » (٢) .

غير أن سير الأحداث كلن يوحى آنذاك بانكدار نجم سيف الدولة لان المرض « الح عليه ، وظل ينخر في جسده ، الى أن اخترمت المنية حياته في يوم الجمعة لخمس بقين من صفر ٣٥٦ ، ونقل تابوته الى ميافارقين ، وكان المرض الذي مات به سيف الدولة هو « عسر البول والفالج » (٣) .

(١) صابر دياب : سياسة الدول الاسلامية في حوض البحر المتوسط ص ١٢٢ — ١٤٠ .

(٢) راجع : ابن مسكويه : تجارب الأمم ٢/ ٢٢٠ — ٢٢١ .

(٣) ابن الوردي : تكملة المختصر ١/ ٤٣٨ .

هكذا انطوت صفحة حياة بطل من ابطال الاسلام الافذاذ ، بعد أن عاش حياة حافلة بانجهد ضد أعداء الاسلام والمسلمين ، وكتب صفحاتها بممداد دمه ودماء الشهداء ، الذين شاركوا معه في المعارك ، حتى لقد قيل عنه أنه لم يكن بين الملوك من هو أغزى منه •

ومما يرى عنه انه جمع من نفخ الغبار الذي كان يجتمع عليه في غزواته شيئا ، وعمله لبنة بفدر الكف ، ثم أوصى بأن يوسد خده عليها عند دفنه^(١) ، وقد نفذت وصيته تماما •

وبوفاة سيف الدولة — بطل الجهاد الاسلامي ضد الروم — تبدأ الدولة الحمدانية في الضعف ثم التلاشي • لان ابنه أبو المعالي شريف ، لم يقو على توطيد ما عجز عنه أبوه • وبذلك صار المسرح خاليا أمام الروم ، ليعيثوا في أرض الاسلام ، قتلا وتذبيحا ونهباً وتخريبا • وتوغلوا فيها أينما وكيفما شاءوا ، سواء في الشام أو العراق ، بعد أن كان عبور الفرات في الجهات الواقعة ، أسفل جبل طوروس ، يعد من الأمور المستحيلة على الروم منذ أيام هيقل « القرن السابع الميلادي » • أما الآن — في منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وفي عصر يوحنا زيمسكيس ونقفور فوكلس — فقد استطاع الروم أن يكتسحوا الكثير من المدن العربية العريقة مثل : الحر (اديسا) ، ديار بكر ، ميافارقين ، نصيبين الواقعة عند حدود امبراطوريتهم القديمة على نهر دجلة^(٢) •

ولم يستطع الروم قط اخضاع المسلمين والنيل منهم — في وقت من الأوقات — مثلما أمكنهم ذلك أيام زيمسكيس ونقفور • إذ انتزعوا من المسلمين كيليكية ، وجزءاً من البلاد السورية ، كما اعترف شطركبير من بلدان الدولة العباسية بالتبعية للامبراطورية البيزنطية^(٣) •

هكذا نرى انه بوفاة سيف الدولة الحمداني سنة ٨٣٥٦ ، يتغير

(١) ابن مسكوية : تجارب الأمم ٢/٢٢٠ — ٢٢١ •

(٢) الانطاكي : تاريخ يحيى بن سعيد ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٧ •

١٥٨ — ١٥٩ وأبو الفدا : المختصر ص ١١٨ •

(٣) سامي الكيالي : سيف الدولة ص ١٥٥ •

ميزان القوى في غير صالح العالم الاسلامي ، وتتنقضى هذه الصفحات الطويلة المضيئة من للكفاح ، والجهاد الاسلامي ، الذي رفع لواءه سيف الدولة وسيل سيفه ولم يعده الى غمده الا في اواخر أيام حياته ، كما اهتم بفداء الاسارى ، قبيل وفاته بعام واحد (أى ٨٣٥٥/٩٦٥ — ٩٦٦م) ، بعد ان دوخ أكبر امبراطورية في زمانه ، وهى امبراطورية الروم ، التى كانت وقتذاك في عصرها الذهبى^(١) .

ولنتوقف هنا لحظة ، لنسجل كلمة حق في سيف الدولة . .
انصافا للرجل ، كما شهد له بذلك المؤرخون الاجانب قبل المسلمين .

ذلك ان سيف الدولة لم يكن يبغي بحروبه أو غزواته تلك بغيا أو عدوانا على أحد ، ولم يكن نهايا سلابا أو غازيا لمجرد الغزو ، كما ذهب بعض المؤرخين الاجانب في الحملة عليه ، امثال متر Metz وشلومبرجر . فبعض هؤلاء المؤرخين لا يكاد يلقى تهمة في سيف الدولة ، حتى يصرعه نور الحق وبرهانه الساطع ، فلا يلبث أن يسجل للرجل فضلا عظيما ، في عديد من المواضع والمواقف ومن هؤلاء شلومبرجر نفسه في كتابة الذى ألفه عن نقفور فوكاس^(٢) .

والحق ، أن طبيعة موقع الدولة الحمدانية في بلاد الشام ، ومتاخمتها للحدود البيزنطية ، جعل حكام هذه المنطقة العربية الاسلامية يوجهون عنابتهم لتحصين حدودهم مع الروم ، لتمنع عنهم عادية هجمة مباغتة من هنا . أو هناك . وكان هذا مما جعل سيف الدولة دائما ، على أهبة وحذر وتحفز للرد على أى عدوان . وهو الذى عرف عنه التزامه جانب الخلق الحميد ، واحترام آداب الحروب . هذا ، بينما ألف الإعداء (الروم) الغدر والخديعة ، فلا يكادون يحرزون نصر في معركة الا باستعمال أساليب يترفع عن ذكرها المخلق العربى الندى ، الذى تخلق به سيف الدولة^(٣) .

كما يذكر لسيف الدولة تدعيمه للثغور وشحنها بالمقاتلة ، وانشاء

(١) مصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١٣٨ .

(٢) Schlumberger : Nicephore Phocas P. 227.

(٣) مصطفى الشكعة : المرجع السابق ص ١١٣ — ١١٤ .

الحصون الجديدة ، ورم القديمة أو تجديدها • وكان بناء الحصن الواحد كثيرا ما يكلفه معركة دامية مع الروم ، الذين اعتبروا كل لبنة توضع في أى حصن أو ثغر إسلامي خنجرا مصوبا الى قلب امبراطوريتهم^(١) •

والغريب ان مؤرخا مثل شلومبرجر الذى يصف حروب سيف الدولة بأنها حملات سلب ونهب ، لا يلبث أن يقول : « ينبغي أن نحترس من الاعتقاد أن جيوش سيف الدولة لم تكن الا عصابات دون نظام أو ترتيب • • بل كان العرب يتبعون خططا (تكتيكا) في منتهى الدقة والأحكام ، ويخضعون لنظام صارم ، ويشنونها حربا فنية مدروسة ، ويقودون جيوشا متفوقة في تنظيمها وقد أعدوا لكل أمر عدته ، وتداركوا كل صغير وكبير من الأمور ، ونظموا الخدمة اليومية ، وأخذوا بنظام الاستطلاع والدوريات الصغيرة لكل فرقة (كتيبة)^(٢) • فهل هذه الصفات التى أوردتها شلومبرجر هى صفات سلاية نهاية أم سمات مجاهدين •

ولقد ابتكر سيف الدولة نظام القوات الفدائية (القوات الانتحارية) التى تقوم بعملياتها ، بنظام المباغتة ، من حيث لا يتوقع العدو زمانا ومكانا • لكنه — وهو المتحلى بالخلق العربى الاسلامى الكريم — حين شعر بما فى هذه العمليات من شبهة تتناقض مع الخلق العربى المسلم ، ألغاها وسرحها • بعد أن كانت قد أثقلت — بعملياتها — مضاجع الروم طوال عشر سنوات (٣٣٩ — ٣٤٩ هـ) / ٩٥٠ / ٩٦٠ • فهو اذن ألغاهوا لاساسه بمخالفتها — فى عملياتها — للخلق العربى الذى لا يغدر • لكن المؤرخ شلومبرجر عالى الغاهها بأن سيف الدولة وجد « اعمالها مخزية مخجلة »^(٣) •

وغريب أمر هذا المؤرخ حقا أن يعتبر أعمال القوات الفدائية مخزية مخجلة ، مع أن هؤلاء الفدائيين لم يوقعوا أذى الا بالجنود ،

(١) مصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١١٤ •

Schulberger . Nicephore Phocas , P. 226 - 227.

(٢)

Schlumberger : Nicephore Phocas P. 227.

(٣)

ولم يقتلوا الا المحاربين . أما ما كان يوقعه البيزنطيون بالأطفال والنساء والشيوخ المسلمين في الثغور ، وما أنزله نقفور فوكاس بأهل حلب سنة ٣٥١هـ وطرسوس سنة ٣٥٤هـ من قتل وغدر بالشيوخ والأطفال فليس أمرا مخزيا أو مخجلا^(١) .

والجدير بالذكر أن سيف الدولة اعتمد في حروبه وغزواته على عدد من القادة العظام أمثال : الفارس الشاعر الحارث أبو فراس الحمداني ، وابن عمه أبو تغلب وأئل بن داود بن حمدان ، أمير حمص ، وأبو زهير مهمل بن نصر بن حمدان — صديق أبي فراس — الذي أنكى في بلاد الاعداء واستشهد في إحدى معاركه على أرض الروم ، وأبو العشائر أمير أنطاكية الذي أسر في معركة عرندس ٣٤٥هـ (٩٥٦م) ثم حمل للقسطنطينية حيث مات بها ، وهبة الله ومحمد إينا تلصر للدولة اللذين ولاهما أكثر من مرة قيادة بعض جيوشه في المعارك^(٢) .

كما أن هناك أيضا من القادة عدد من غلمان سيف الدولة أمثال : نجا الكاسكي ، وقرعويه ، ويماك ، وكان أبرزهم نجا الذي لم يقهر في معركة واحدة^(٣) .

والحق أن قواد سيف الدولة جميعا اتسموا بالبسالة والافتداف ، وحب البخل والتضحية . فكان الواحد منهم يثبت في المعركة حتى يقتل أو يقتل أو يؤسر مثل ما حدث لأبي زهير المهمل الذي خر صريعا في معركة الصفصاف ، وأبو فراس ، وأبو العشائر محمد بن ناصر الدولة ، الذين وقعوا جميعا في الأسر ، فمات منهم في الأسر أبو العشائر وعاد الاثنان الآخران في الفداء العام سنة ٣٥٥هـ^(٤) .

لقد تنفست بيزنطة الصعداء بموت البطل المخول سيف الدولة ، لأنهم بذلك يكونون قد استرحوا من أخطر اعدائهم على الجبهة الإسلامية آنذاك . لهذا أمكنهم — بعد ذلك — التوغل في سورية ، وحاولوا

(١) مصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١١٦ — ١١٧ .

(٢) مصطفى الشكعة : المرجع السابق ص ١١٨ — ١١٩ .

(٣) Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 135/8, 142.

(٤) مصطفى الشكعة : نفس المرجع ص ١١٩ — ١٢٠ .

توجيه تيار الأحداث فيها ، وبخاصة في عهد سعيد الدولة الحمداني (١) .

ويتحدث فنلاي — نقلا عن غزيلايف Vasiliev — عن تفوق الروم في هذه المرحلة من مراحل المواجهة الإسلامية البيزنطية (منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) فيقول : « ١٠٠٠ » ان المدة بين ٩٦٣ — ٩٦٩ م (٣٥٢ — ٣٥٩ م) تكون أزهى فترات تاريخ العسكرية البيزنطية في صراعها مع المسلمين . فقد استطاع نقفور فوكاس ان يركز اهتمامه على الشرق . فاحتل طرسوس وكيلىكيا ، على حين نجح الاسطول البيزنطى في انتزاع جزيرة قبرص من العرب ، مما فتح له الطريق الى سورية . فبدأ يعمل على تحقيق حلمه العالى وهو غزو أنطاكية التى تعتبر قلب سورية . وبعد غارات تهديديه على سورية ، حاصر نقفور أنطاكية . ثم استولى عليها في آخر سنى حكمه (٩٦٩ / ٣٥٩ م) « (٢) .

على أن مما زاد موقف الجبهة الإسلامية سوءا في مواجهة الخطر البيزنطى — المهدق بالممتلكات الإسلامية في الشام والجزيرة وقبرس وكريت وغيرها — هو مآدب بين أفراد البيت الحمداني من صراع وقنافس أسرى . حيث أعيد فتح السجلات الحمدانية عن ثآثرات قديمة بين أبى قراس الحمداني ، وبين كل من أبى المعالى شريف بن سيف الدولة ، وابن ناصر الدولة ، وهو حساب لم يكن لأبى المعالى شريف فيه يد أو دخل . وانما هى شركة مثقلة ، ورثها عن أبيه سيف الدولة ، الذى تحملها صابرا ، وكان مجرد وجوده حيا ، كفيلا باطفاء نيران وحمم هذه الفتن ، التى سرعان ما تطاير شظاها بعد وفاته سنة ٨٣٥٦ ، ليصيب القريب والبعيد على حد سواء ، ولينعكس ذلك كله ضعفا وانهما اما امام الروم .

(١) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ج ٢ ص ١٩٠ .

(٢) ابن العديم : زبدة الطب ج ١ ص ١٥٧ ويحيى بن سعيد :

Finlay : Hist. of Byz. Emp., P. 306.

تاريخه ص ١٣١ و

ذلك أنه بمجرد اطلاق سراح أبى فراس الحمدانى من الأسر لدى الروم سنة ٣٥٥ هـ ، وما كاد أجل سيف الدولة ينقضى سنة ٣٥٦ هـ ، حتى نهض أبو فراس محاولاً السيطرة على حمص والتغلب عليها . وكان دافعه الى ذلك هو رغبته في الانتقام والثأر لنفسه من نكد الايام ، ولأبيه سعيد من ابن عمه ناصر الدولة . لكن أبا المعالى شريف بن سيف الدولة ، علم بنية أبى فراس فأرسل اليه من أتباعه من قاتله ، حتى تغلب عليه وقتله (١) .

غير أن هناك خلاف بين المؤرخين في مسألة مقتل أبى فراس الحمدانى . فمن قائل أن أبا المعالى شريف بن سيف الدولة ، أرسل قرعوية ، غلام أبيه سيف الدولة ، فقتله بعد أن ضربه ضربات اليمثأثناء الطريق . وهناك من يقول أن أبا فراس الحمدانى قتل في شهر ربيع الآخر ٣٥٧ هـ ، في قرية تعرف باسم « صدد » وذلك في حرب وقعت بينه — وكان مقيماً في مدينة حمص — وبين عسكر أبى المعالى شريف بن سيف الدولة الذين استظهروا على أبى فراس ، وقتلوه في الحرب . وحزوا رأسه ، وطرحوا جثته في البرية أياماً ، الى أن كفنه ردغة بعض الأعراب . كما يروى أن قرعوية أخفى خبر مقتل أبى فراس عن أبى المعالى شريف بن سيف الدولة ، حتى لا يفجعه النبأ . وهو الذى حزن فعلاً عندما بلغه نبأ مقتل أبى فراس الحمدانى . كما أن والة أبى فراس وكان اسمها سخيئة (٢) — صرعت عندما علمت نبأ مقتل ابنها (٣) .

وقد قيل في مقتل أبى فراس (٤) ، شعراً جاء فيه (٥) :

(١) سامى الكيالى : بسف الدولة ص ١٥٥ .

(٢) أورد ابن الوردي : (١) تتمة المختصر في أخبار البشر ج ١ ص ٤٣٩) أن اسمها « بجية » وليس « سخيئة » .

(٣) سامى الكيالى : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص ١٥٥-١٥٦ .

(٤) اسمه كاملاً هو أبو فراس الحارث بن أبى المعلاء سعيد بن حمدان . وهو ابن عم كلا من بسف الدولة وأخيه ناصر الدولة :

(٥) ابن الوردي : المصدر السابق ج ١ ص ٤٣٩ .

وعلمنى الصدد من بعده من اليوم مصرعه فى صدد
فسقيا لها اذ حوت شخصه . وبعدا لها حيث فيها ابتعد
هكذا أصبحت الاسرة الحمدانية كالنار تأكل بعضها ان لم تجد
ما تأكله . وذلك بعد أن كانت نارا . ولظى يكتوى بسعيره عدو المسلمين
أما الآن ، وبعد موت سيف الدولة ، فإن العدو البيزنطى أصبح ينظر
ويتملظ لالتهام بلاد الاسلام الواحدة بعد الأخرى ، وما شجعه
على ذلك سوى شعوره وادراكه بما صار فيه المسلمون من غفلة ،
أودت بوحدتهم . حيث فرقته المنازعات ، و'الصراعات الاقليمية ،
والأسرية ، والشخصية . وصار — واي للأسف — بأسهم بينهم
شديد ، وما ذلك الا لأنهم نسوا ما يدعو اليه الاسلام من الوحدة
والترايط ، ووجوب أن يكونوا كالبنيان الواحد المرصوص يشد
بعضه بعضا (١) :

لقد خاض المسلمون صراعا مريرا ضد الروم ، فى منطقة الثغور
الاسلامية — البيزنطية ، سواء فى اقليم الجزيرة ، أو بلاد الشام ،
وهو صراع استمر لعدة قرون . حتى أنه يمكن القول أنه يوجد على
وجه البسيطة مكان التهمت على ترابه نيران معارك ضارية ، مثلما
نشبت فى المنطقة بين الشام وشبه جزيرة آسيا الصغرى (الأناضول)
وهى المنطقة المعروفة بالثغور الشامية ، هذا فضلا عن المعارك
التي خاضها المسلمون ببسالة فى الثغور الجزرية .

وكان هناك دائما فارق وتمايز بين المنطقة الداخلية فى الجنوب ،
وهى التى سميت بالعواصم ، وبين المنطقة الخارجية المسماة بالثغور .
فيذكر الاصطخرى (٢) : « أن هذا النطاق (العسكرى) كان يبدأ
فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) . من أولاس على البحر
المتوسط ، ويضم طرسوس واذنه (أظنه) والمصيصة وزبطرة

(١) ابن الوردي : تنبيه المختصر ج ١ ص ٣٩ .
سامى الكيالى : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص ١٥٦ .
(٢) الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ .

ومر عش وملطية وحصن منصور حتى يصل الى سميساط على الفرات ، ويمتد على طول الرافد 'الغربي لهذا النهر في اتجاهه جنوبا حتى بالس' . وقد اهتم المسلمون بها ، الى ان دب الخلف والضعف فيهم فتدهورت المنطقة واضمحلت أمرها (١) .

ويصور ابن العديم تدهور مناطق الثغور الى نهايتها المؤسفة فيقول (٢) : « واهتم المتوكل العباسي (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ في الثغر بترتيب المراكب ، ومازال مشحونا من ملوك المسلمين بالراجل والراكب ، الى ان قصرت الهمم ، وولى من تعدى وظلم ، واشتعلوا باللذات ، وتعاطوا الأمور المنكرات ، فضعف أمر الثغور واختل ، ووهى عقد نظامها وانحل ، فجرى ما ذكرناه في باب طرسوس وحل بالمسلمين من أعداء الله الشدة واللبؤس » .

واذا كانت حلب الشهباء ، قد وجدت مجدا بانقلاب الحمدانيين اليها ، بعد قيامهم في اقليم الجزيرة ، الا أنها لم تستطع المحافظة على مجدها للنهائية . كما لم يكن باستطاعة الدولة الحمدانية (وهي دولة ثغرية) أن تظل واقفة صامدة الى ما لا نهاية ، أمام الحاح ضربات الروم وضغط هجومهم المتوالى . فيصور لنا ياقوت الحموي (٣) ، أحداث انهيار المؤلة للثغور الاسلامية تصويرا موجزا بليغا في قوله : « ولم يزل هذا الثغر طرسوس وأذنه والمصيصة وما ينضاف اليها بيد المسلمين ، والخلفاء مهتمين بأمرها لا يولونها الا شجعان القواد والراغبين منهم في الجهاد ، والخروب بين أهلها والروم مستمرة .. والامور على مثل هذه الحال مستقرة حتى ولى العواصم والثغور الامير سيف الدولة على بن أبي الهيثم ابن حمدان ، فصمد للغزو ، وأمن في بلادهم ، فكانت الحرب بينهم سجالا . الى أن كان من وقعة مغارة الكحل ٣٤٩ هـ . ومن ظفر الروم بعسكر سيف الدولة ، ورجوعه الى حلب في خمسة فرسان على ما قيل » .

(١) الاضطخري : مسالك الممالك ص ٥٣ .

(٢) ابن العديم : بغية الطلب ورقة ٨ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ١٧ .

« ٠٠٠ ثم تلا ذلك هجوم الروم على حلب سنة ٣٥١ هـ ، وقتل كل من قد روا عليه من أهلها ، وما كان من عجز سيف الدولة . فترك الشام شاغرا ، ورجع الى ميافارقين . والثغر من الحماة فارغا . فجاءهم نقفور الدمستق ، فحاصر المصيصة ، ففتحها ثم طرسوس ثم سائر الثغور وذلك سنة ٣٥٤ هـ فهي في أيديهم الى هذه الغاية (١) » .

ولعل من أسباب تدهور الثغور الاسلامية ، اختلاط فرق الجيش الاسلامي ، الذي ضم الخراسانية والفرغانية والسمرقندية وغيرهم . مع انحلال وضعف رابطة الاسلام الجامعة في نفوس هذا الخليط المتنافر ، وكذلك صراع الطوائف المختلفة على السلطة ، واستسلام الخلفاء العباسيين لاسبغداد القادة والمتغلبين عليهم . سواء من الترك أو الفرس أو الديلمة وغيرهم . هذا بينما كان الروم يغيرون على الثغور فيقتلون ويسبون ويأسرون ويحرقون ، دون صاد يصدهم أو رادع يقف في وجههم . والخلافة في كل ذلك اسم بلا جسم لا أمر ولا هيبة ولا جيش ولا سلطان .

وقد أماد ياقوت أن ملك الروم لما استولى سنة ٣٥٤ هـ على الثغور ، اشترط تخريب الجوامع والمساجد . وأن من أراد المقام في البلد على الذمة وأداء الجزية فعل . وأن تنصرف له الحياة والكرامة وتقر عليه نعمته . قال : فتتصر خلق ، فأقرت نعمة عليهم وأقام نفر يسير على الجزية ، وخرج أكثر الناس يقصدون بلاد الاسلام ، وتفرقوا غيها . وملك نقفور البلد ، فحرق المصاحف وخرّب المساجد ، وأخذ من خزائن السلاح ما لم يسمع بمثله قط مما كان جمع من أيام بني أمية الى هذه الغاية (٢) .

ويلخص رينيه جروسية Grousset الموقف بين سنتي ٣٥٠ و ٣٥٩ هـ (٩٦٢ — ٩٦٩ م) بين الروم والحمدانيين قائلا : (٣) « وفي

(١) ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ١٧ ويقصد ياقوت « بهذه الغاية » انها ظلت بيد الروم حتى أواخر أيامه — أيام ياقوت — التي انتهت بوفاة ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م) .

(٢) ياقوت : المصدر السابق ج ٦ ص ٢٩ .

Grousset : Hist. de l'armenie, p. 489 - 490.

(٣)

عام ٩٦٢م (٣٥٠ — ٣٥١ هـ) بدأ نقفور فوكاس ، الذى كان آنئذ مجرد قائد عسكري ، غزو كيليكيا ، فانترع من الأمراء الحمدانيين مدينة عين زربة Anezarbe وقلعة سيس Sis ثم عبر ممرات جبال أمانوس Amanoss في ديسمبر ٩٦٢م (ذو القعدة ٣٥١ هـ)^(١) وانترع من الحمدانيين — على مشارف سوريا الشمالية — مدن مرعش Maraash ودلوك (دلوص) Duluk ، عينتاب ومنبج ، ومضى يذهب إحدى عواصمهم • وهى مدينة حلب الكبيرة • ثم يستطرد قائلا : « وعندما أصبح امبراطورا ، أتم فتح كيليكيا باستيلائه على أطننة (٩٦٤ م / ٣٥٣ هـ) ، والمصيصة Mopsuesta^(٢) في ١٣ يوليية ٩٦٥م (١٠ رجب ٣٥٤ هـ) وطرسوس Tarse في ١٦ أغسطس ٩٦٥م (١٤ شعبان ٣٥٤ هـ) ، التى طرد منها الحمدانيون نهائيا • وقد غر كيليكيا (قاليقلا) ، بعد أخذها من الحمدانيين ، وأسكنها بالمسيحيين من الأرمن • وفى سنة ٩٦٦ (٣٥٥ — ٣٥٦ هـ) قامت كتيبة بيزنطية بمسيرة فى بلاد الحمدانيين ضربت فيها أسوار آمد (ديار بكر) ودارا وتصيبين • وفى عام ٩٦٨م (٣٥٧ هـ — ٣٥٨ هـ) — أى عقب وفاة سيف الدولة — اجتاح نقفور فوقاس — فى أراضى الحمدانيين — مدينة ميثافارقين ، ثم قام بحملة فرسان فى سوريا حتى حمص وطرابلس بينما نهب ابن أخيه بارداس فوقاس بلدة منازلكرت فى إقليم الابهونيك ، وهدم أسوارها (٩٦٨ — ٩٦٩ م / ٣٥٧ — ٣٥٨ هـ) • وبعد رحيل نقفور فوقاس انتزع قائده ميخائيل بورتريس • مدينة أنطاكية من العرب فى ٢٩ أكتوبر ٩٦٩م (١٣ ذى الحجة ٣٥٨ هـ) ، التى بقيت تابعة لبيزطة حتى عام ١٠٧٨م (٤٧٠ هـ) بل ونظريا حتى عام ١٠٨٥م (٤٧٧ — ٤٧٨ هـ) • وهنا أيضا — فى أنطاكية — طرد السكان المسلمين من المدينة ، وأسكن محلهم مهاجرين مسيحيين ، منهم جالية أرمنية كبيرة •

Grousset, R. : Hist. de L'Armenie P. 489 - 490.

(١)

وقد وافقنا بين التاريخ الميلادى والتاريخ الهجرى من كتاب التوفيقات الالهامية .

(٢) تكتب بالانرنجية مايسترا Mamistra أو مصيصة Massissa .

من ناحية أخرى لم تقنع السلطت البيزنطية، وهي في أوج انتصارها، بطرد المسلمين من الحدود الغربية والجنوبية الأرمنية، لكنها ثبتت أقدامها هناك بضم مقاطعة طارون الهامة (١).

(١) كانت الطارون — كما رأينا سابقا — تابعة لفرع أصغر من فروع الأسرة البجراتية، أسسه باجرات البجراتوني « أمير الأمراء » (٨٣٠ — ٨٥١ م / ٢١٥ — ٢٣٦ هـ). وكان باجرات (بجارات) البجراتوني قد أسره العرب في معركة عام ٨٥١ م / ٢٣٦ هـ، وقضى نحبه في بغداد، تاركا ثلاثة أبناء هم : أشوط، ودافيت أركاييك (أي الملك الصغير) وابنا ثالثا غير معروف من المحتمل أن يكون اسمه تورنك (طرنق أو ديرنيك Tornik). وقد وقع كل من أشوط ودافيت أركاييك في أسرة القوات العباسية بقيادة بغا الكبير وأرسلا إلى بغداد. ثم أطلق سراحهما عام ٨٥٨ م ليعودا إلى أرمينية. وقد أصبح أشوط (الكبير) منذئذ وحتى عام ٨٧٨ م أميرا على الطارون ثم خلفه دافيت أركاييك (٨٧٨ — ٨٩٥ م)، ثم ابن أخيه جورجيين بن أشوط (٨٩٥ — ٩١٧ م)، ثم خضع الطارون لأحمد بن عيسى الشيباني أمير منطقة آمد (ديار بكر) بعد قتله لجورجيين ابن أشوط. ثم حاول الملك سببات ملك أرمينية إعادة الطارون إلى الوريث الشرعي « أشوط بن دافيت أركاييك » لكنه هزم قرب طوخ Thoukh سنة ٨٩٨ م. ثم مات أحمد بن عيسى — بعد قليل — عام ٩١٨ م نفسه (٩٢٨ هـ). وبموت أحمد بن عيسى مات الطارون للأسرة البجراتية المحلية، ليحكمها جريجوريك — بعد أن سجن أشوط بن دافيت من ٨٩٨ — ٩٢٣ م تقريبا. وطلب سببات تدخل إمبراطور الروم ليو السادس « الحكيم » لاطلاق سراح الأسير أشوط بن دافيت. وقد حافظ جريجوريكوس على علاقاته الطيبة مع كل من الخلافة، والإمبراطورية البيزنطية بطريقة متوازنة إلى حد ما. وعندما توفي جريجوريكوس ٩٢٣ م تقاسم إقليم الطارون أو تنازعه ولداه باجرات (بانكراتيوس في المصادر البيزنطية) وأشوط من ناحية، وأبناء أخيه أبو جاثم (غاثم) ماهان، سببات، وتورنك الذي كان أول من سافر للإبلاط البيزنطي، حيث حصل على لقب ورتبة بطريق. ولم يغفل باجرات (بانكراتيوس) أهمية توثيق علاقته ببيزنطة كذلك. ويبدو أن بانكراتيوس هذا — كما يؤكد جروسية —

هو المذكور عند العرب باسم ابن طورنق أو طرنق Ibn - Tornik حين ذكرت المراجع حمله سيف الدولة سنة ٩٤٠ م أمير حلب على بلد ابن طورنق، وأنه دمر مدينة موش، وكنيسة مشهورة، ثم انتزع من أشوط أخى ابن طرنق مدينة سماسون (ساسون) وكولب (قلب)، وهذه الحملة هي من الحملات الخاطفة السريعة. وقد أثبت المؤرخون ولاية باجرات (بانكراتيوس من ٩٣٥ — ٩٤٠ م) وحكم أخوه أشوط الطارون من ٩٤٠ — ٩٦٧/٩٦٦ م، وهو الذي منحه رومانوس ليكابينوس لقب « بروتوسباتير » (قائد عسكري إمبراطوري) وحكم طارون الشرعي. وبذلك ثبت النفوذ البيزنطي في صميم أرمينية الجنوبية راجع

وكان ضم اقليم طارون للامپراطورية البيزنطية حدثاً خطيراً في ذاته فهو أول خطوة نحو زوال استقلال الارمن ، كما أن وجود القوات البيزنطية في هذه المنطقة • اعتبر مقدمة لشن حملة صليبية مشتركة ضد القوات الاسلامية الأخيرة الموجودة في هذه المنطقة^(١) •

الفصل الرابع

جهاد المسلمين ضد الروم

خلال النصف الثاني

من القرن الرابع الهجري

(٣٥٦ - ٣٩٤ هـ / ٩٦٦ - ١٠٠٣ م)

جهاد المسلمين ضد الروم

خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري

(١) خلفاء سيف الدولة وجهودهم في صد الروم :

زالت أكبر عقبة اسلامية من طريق الروم في عهد نقفور فوقاس (٩٦٣ - ٩٦٩ م) في جبهة المواجهة مع المسلمين ، وبخاصة في مناطق الثغور وذلك بوفاة بطل الجهاد الاسلامي سيف الدولة الحمداني سنة ٣٥٦ هـ . ومع ذلك لم تستطع الروم الافادة من هذه الفرصة . وذلك بسبب انشغال الامبراطورية آنذاك بالحروب ضد بلغار ، ولما ظهر وقتذاك في جوف الامبراطورية من مشاكل داخلية . وبهذا لم يتيسر للروم الافادة من خلو مسرح المواجهة من شخصية سيف الدولة ، ومما دب - بعد وفاته - في كيان الاسرة الحمدانية من توترات وصراعات في عهد سعد الدولة (١) (٣٥٦ - ٣٨١ هـ ٩٦٧ - ٩٩١ م) . ولذلك مرت سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) هادئة نسبيا ، فيما عدا بعض اغارات سريعة قام بها المسلمون على بعض مناطق الثغور البيزنطية في الشام (٢) .

غير أنه ما أن آذنت سنة ٣٥٧ هـ (٩٦٨ م) بالانتهاء ، حتى كان الامبراطور نقفور فوقاس في وضع يسمح له بتحويل اهتمامه نحو الجبهة الشرقية (الاسلامية) ، واضعا في اعتباره الأول أخذ حلب والسيطرة على انطاكية سيطرة تامة (٣) .

لما علم سعد الدولة (أبو المعالي شريف بن سيف الدولة) بعزم نقفور على التوجه لمهاجمة المناطق الاسلامية في بلاد الشام ، وأنه سار فعلا بجيشه ، خرج سعد الدولة من حلب الى بالنس . وقد « ترك على حلب قرعوية الحاحب ، أما نقفور فنزل على انطاكية ، حيث مكث هناك يوما » ثم رحل في اليوم الثالث الى معرة مصرين فدخلها

(١) هو سعد الدولة أبو المعالي شريف بن سيف الدولة الحمداني .

(٢) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ج ٢ ص ١٩١ .

(٣) فيصل السامر : المرجع السابق ١٩١/٢ .

وهجر ألفا ومائتين من أهلها الى بلاد الروم^(١) . كما فتح الروم — بقيادة نقفور — معرة النعمان وخرب جامعها وأكثر دورها ، وسار الى كفر طاب وشيزر وأحرق جامعها ، ثم توجه الى مدينة حماة ففتحها^(٢) . ثم أتجه الى حمص حيث أخذ منها رأس يوحنا المعمدان^(٣)

وفي العاشر من شهر ذي الحجة سنة ٣٥٧ هـ سار الروم الى طرابلس واستولوا عليها ، وأسر نقفور حاكمها أبا الحسن أحمد بن تحرير الارغلي من حصن « عرقة » ، الذي أقام ثييه بعد أن طرده المطرابلسيون^(٤) ، ثم حاصر الروم — بقيادة نقفور — مدينة عرقة تسعة أيام ، ثم له فتحها بعدها باغتحام حصنها المنيع ، وأسر جميع من لجأ اليها من البلاد المجاورة ، وأخذ كثيرا من الاموال^(٥) .

ثم عاد نقفور فوكاس — بعد هذه الاغارات الناجحة — الى بلدان السلط الشامى ، وفي موجب اعداد ضخمة من السبى ، وفتح حصن أنطوسوس^(٦) ، وصالح أصحاب اللاذقة ، وخرب الكثير من القرى التى مر بها .

والحق أن المدن الشامية قاست كثيرا من الآلام والمرارة ، من جراء أعمال نقفور فوقاس وقوانه ، حيث صاحب حملاته وغزواته دائما تكتيل وتخريب ، وارتكاب أعمال يندى لها جبين الانسان خجلا^(٧) . ثم حاصر نقفور أنطاكية لكنه لم يلبث أن فك عنها الحصار عند اقتراب فصل الشتاء ، انتظارا لمقدم فصل الربيع . وقد

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ١/٢٥٧ ، والأنطاكي : تاريخه ص ١٣١

(٢) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ٢/١٩١ .

(٣) الأنطاكي : تاريخه ص ١٣١ وابن العديم : زبدة الحلب ١/١٥٧

(٤) ابن العديم : المصدر السابق ١/١٥٨ .

(٥) الأنطاكي : نفس المصدر ص ١٣١ .

(٦) وهى ثغر لجند حمص على بحر الروم (البحر المتوسط) وبرقية وحصن جبلة وهى قلعة مشهورة من اعمال حلب قرب اللاذقية . راجع ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٢٤ .

Camb. Med. Hist., Vol., 4, P. 146.

(٧)

ترك هناك حاميات صغيرة لمراقبة السكان ، حتى لا يستعدون له بالسلاح والذخيرة ، وأمر قواده هناك (حول انطاكية) الا يفتحوها في غيبته^(١) . وقد أقام نقفور في مواجهة انطاكية حصن بغراس Bagras^(٢) ، على سفح جبل اللكام ، ورتب فيها جيشا بقيادة ميخائيل البرجى . وقد استطاع هذا الجيش أن يستولى على انطاكية في سنة ٣٥٩ هـ — كما يذكر ابن الوردي — أو في ١٣ ذى الحجة ٣٥٨ هـ (الموافق ٢٩ أكتوبر ٩٦٩ م) كما يذكر آخرون ، بعد أن ظلت في يد المسلمين نحو ثلثمائة وثمان وعشرون سنة^(٣) .

وقد أورد يحيى بن سعيد الانطاكي^(٤) تفاصيل احتلال الروم لانطاكية . فذكر أن بطرس الاسطراطوبدرج وميخائيل البرجى حاصرا انطاكية بجيوش ضخمة . وكانت المدينة في حالة متداعية ، بسبب غارات الروم المتلاحقة عليها وعلى أعمالها ، « وضجع أهلها في حراستها ، لانهم ما كانوا يشعرون أنها تتصد في ذلك الوقت ، ولم يتمكنوا من جمع رجال يصعدون الى الجبل . لبحفظوا السور ، فرآه الروم خاليا ، فبادروا بالطلوع اليه ، فلم يروا أحدا فيه . . . وطرح المسلمون النار لتحول بينهم وبين الروم ، وفتحوا باب البحر وخرج منه جماعة من أهلها ، وأسر الروم جميع من فيها ، وأطلقوا من كان بها من النصارى وأقروهم^(٥) » .

Finlay : Hist., of BYZ. Emp. P. 307.

- (١) بغراس : مدينة في لحف جبل اللكام . بينها وبين انطاكية أربع فراسخ (١٢ ميلا) في البلاد المطلة على نواحي طرسوس . راجع ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٦٩٣ .
(٢) راجع ابن الوردي : تنمة المختصر ج ١ ص ٤٤١ (ضمن حوادث ٣٥٩ هـ) وانظر أيضا : فيصل السامر : الدولة الحمدانية ج ٢ ص ١٩٢ — ١٩٣ .

- (٤) الانطاكي : تاريخه ص ١٣٣ — ١٣٤ .
(٥) ذكر ابن العديم : (زبدة الحلب ١/١٦٣) أن دخول الروم انطاكية كان ليلة عيد الميلاد . فلما طلع الروم على جبلها جعلوا يأخذون الحارس ، فيقولون له كبر وهلك ، فمن لم يفعل قتلوه . فكانوا يهللون ويكبرون والناس لا يعلمون ، حتى ملئوا جميع أبراجها (أبرجتها) ، وصاحوا صيحة واحدة ، فمن طلب باب الجنان أسر واجتمع جماعة الى باب البحر فبردوا القتل فسلموا وخرجوا . راجع أيضا ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٧ ص ٣٧ .

وهكذا أمكن للروم السيطرة على معرة النعمان ، ومعرة مصرين وعرة وطرابلس والملاذقية ، ثم أخيرا انطاكية • وقد « أسروا وسبوا في هذه الغزوات — كما قيل — مائة ألف من فتيان المسلمين وفتياتهم ، وقتلوا الشيوخ والعاجزين^(١) » • « كما يذكر ابن الجديم أيضا » أن نقفور ملك الروم فتح ثمانية عشر منبرا ، أما القرى فلا يحصى عددا ما أخرج وحرقت منها » •

لقد جرى كل ذلك للثغور والسواحل الإسلامية في بلاد الشام على أيدي الروم ، بينما كان سعد الدولة مشغولا الى أذنيه في صراعه الحاد مع قمرعية ، الذين هادن الروم • والجدير بالذكر أن أهل بوقا من النصارى ، الذين انتقلوا الى انطاكية ، قاموا بدور فعال في مساعدة الروم وتسهيل مهمتهم في اقتحام المدينة^(٢) •

وكان نقفور يعتبر الاستيلاء على انطاكية أمنية غالية وحلما جميلا كبيرا ، باعتبارها قلب سورية • وها قد تحقق الحلم الكبير ، واستولى النصارى على « انطاكية العظيمة »^(٣) — كما سماها جستنيان قبل ذلك (٥٢٧ — ٥٦٥ م) — « والمنافسة القديمة لبيزنطة في الشرق ، ومدينة البطارقة العظام والقديسين المبجلين • ومركز الهرطقات »^(٤) • ولكن على الرغم من فرحة نقفور باحتلال انطاكية ، وأخذها من المسلمين بواسطة قائده ميخائيل البرجى (برتريس) ، إلا أنه حقد على هذا القائد بسبب الحريق الذي أحدثته بالمدينة^(٥) •

أصبحت حلب — بعد سقوط انطاكية ٣٥٨ هـ — هي الهدف المباشر والرئيسي لحملات نقفور فوقاس • أما عن سعد الدولة ، فإنه لما علم بدخول الروم أنطاكية هجر عاصمته • وانتقل الى مدينة حمص ،

(١) ابن العديم : المصدر نفسه ١٥٩/١ — ١٦٣ •

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ١٥٩/١ ، ١٦٢ وفيصل السامر : الدولة الحمدانية ١٩٢ — ١٩٤ •

(٣) Vestiliev : Hist. Byz. EMP., P. 308 - 309.

(٤) Sshlumbgrer : Nicephore Phocas, P. 723.

(٥) الانطاكي : تاريخه ص ١٣٥ •

تاركاً حلب وشؤونها ليتصرف فيها قرعوية ذى النوايا السيئة . وسار القائد البيزنطى تجاه حلب^(١) . وقد تحصن أهل حلب فى القلعة لمدة سبعة وعشرين يوماً . ترددت خلالها المراسلات والمفاوضات بين الجانبين ، الى أن تقرر الأمر على عقد هدنة ومال يحمل فى السنة الى ملك الروم^(٢) .

ومما لا شك فيه أن استيلاء الروم على مدينة حلب ، أواخر أيام نقفور (أواخر ٣٥٩/٩٦٩ م) . يعد انتصاراً كبيراً أحرزه الروم على المسلمين . وقد عقدت الهدنة — قبيل مقتل نقفور فى نهاية ٩٦٩ م (صفر ٣٥٩ هـ) . بين الروم وقرغوة ، وكانت شروطها مهيبة بالنسبة للمسلمين ، حيث جاء فيها^(٣) .

١ — يتعهد المسلمون (الحمدانيون) بدفع جزية سنوية للروم ، بواقع ست دراهم عن كل فرد فى حمص ، وجوشية ، وسلمية ، وحماة ، وشيزر ، وكفر طاب ، وأفاميتة ، ومعرة النعمان ، وحلب ، وجبل الساق ، ومعرة مصرين ، وقنسرين ، والأثارب وغيرها من الحصون والقبلاع .

٢ — يصير قرعويه أميراً على المسلمين (فى الشام) ، ثم يخلفه بكجسور ، ويُنصب ملك الروم أميراً يختاره من سكان حلب . وليس للمسلمين من سكان حلب أن يختاروا أميراً بأنفسهم .

٣ — لا يؤخذ من نصرانى جزية فى هذه المدن ، الا اذا كان له بها مسكن أو ضيعة .

(١) القائد البيزنطى هو نظرس الاسطرابدريج . ويسميه الأنطاكى الاصطر الجوبدريج ، وربما يقصد الاسنراتيجوس (الحاكم العسكرى) ، اما ابن العديم فيسميه الطريازى . راجع : الأنطاكى : تاريخه ص ١٣٤ وابن العديم : زبدة الطلب ١/١٦٣ و Vasiliev : Ibid., P. 309.

(٢) الأنطاكى : المصدر السابق ص ١٣٤ .
(٣) ابن الوردى : تنبيه المختصر ١/٤٤١ وابن العديم : نفس المصدر ١/١٦٤ — ١٦٥ .

- ٥ — على قرعويه أن يصد أى جيش اسلامى يريد غزو الروم •
فان عجز فعليه أن يخبر الروم بذلك • وعلى بكجور أن يستقبل
جيوش الروم الغازية ، ويشيعها عند رحيلها ، ويسهل لها
الحصول على الاقوات والميرة •
- ٦ — على قرعويه أن يساعد الروم على غزوهم لبلاد غير اسلامية
ليس للمسلمين أن يعترضوا على من يدخل النصرانية منهم ،
وليس للروم أن يعترضوا على من يدخل الاسلام منهم •
- ٧ — اذا هرب عبد مسلم أو نصرانى ذكرا أو أنثى ، فعلى المسلمين
رده أو اعطاء صاحبه ثمنه •
- ٨ — على المسلمين أن يقوموا بتسليم المجرمين النصارى من الروم
الى قائد الجيوش البيزنطية •
- ٩ — للروم الحق فى اعتقال أى جاسوس مسلم يدخل حدود بلادهم •
- ١٠ — ليس للمسلمين الحق فى هدم الحصون ، أو بناء حصون
جديدة • وللروم أن يعمرؤا الكنائس المخربة ، وعلى المسلمين
تكريم البطارقة (كبار قادة الروم) والساقفة الذين يفدون
عليها •
- ١١ — يقدر الروم العشر الذى يؤخذ عن تجارتهم ، وبخاصة
الذهب والفضة والديباج الرومى والاحجار الكريمة والسندس
وعلى قرعويه وبكجور أن بقوما بالمحافظة على القوافل التجارية
البيزنطية ، وتقديم الادلاء لارشادها فى الطريق • فاذا
تعرض لها قطاع الطرق وجب عليهما أن يقوموا بتعويض ما نجم •
وقد شهد على هذا الصلح جماعة من الشيوخ مع قرعويه وبكجور
وسلم الى الروم رهائن من وجوه أهل حلب ، وكان الوسيط فى هذه
المفاوضات طاهر الهاشمى (١) •

ويورد الانطاكى عن هذا الصلح ما يلى (٢) « • • • تقرر الامر على

(١) ابن العديم : زبدة الطلب ١/ ١٦٩ •

(٢) الانطاكى : تاريخه ص ١٣٤

صلح وهدنة مؤبدة ، ومال يحمل في كل سنة الى ملك الروم عن حلب وحمص وجميع أعمالها ، من المدن والقرى ، وهو ثلاثة قناطير ذهب عن حق الارض ، وسبعة قناطير ذهب عن خراج هذه الاعمال . وعن كل رجل حالم دينار واحد في السنة سوى ذوى العاهات . وان يكون ملك الروم صاحب مقيم بحلب ويستخرج أعشار الامتعة الواردة من البلاد ١١ » .

أن المتأمل في هذا الصلح يجده على جانب كبير من الأهمية . فهو يعتبر وثيقة قيمة ترسم صورة واضحة لحالة العلاقات الاسلامية — البيزنطية . . عسكريا ، وتجاريا ، واجتماعيا ، ودينيا وقتذاك . كما نستدل منه على رواج حركة التجارة والبضائع المستوردة والصادرة وعلى حالة العبيد وطريقة معاملاتهم . ويتضح منه كذلك كثرة عدد الكنائس وتنظيماتها الاكليريكية في هذه المناطق التي شملها الصلح .

والحق أن المسلمين لم يتعرضوا في حروبهم ضد الروم لمثل هذه الهزائم . فقد أخذت منهم قناطيرا وجزء من سورية . الا أن الوضع لم يستقر لنقفور طويلا ، اذ قتل^(١) بيد زوجته الجميلة ثيوفانو وقرينة يوحنا زيمسكيس (الشمشقيي) Jean Tzimiskes الذي اشترك معها في مؤامرة اغتيال نقفور ، ثم تولى هو نفسه عرش الامبراطورية^(٢) .

(١) قتل نقفور نوكاس — عقب توقيع هذه المعاهدة — في ١٠/١١ ديسمبر ٩٦٩ م . راجع الهامى : التوفيقات الالهامية ص ١٨٣ حوادث ٣٦٦ هـ (٩٧٦ — ٩٧٧ م) .

Camb. Med., Hist., Vol., 4, P. 146.

(٢)

أورد ابن الوردي (تنبيه المختصر ١/٤٤١ — ٤٤٢ و ٤٥٢) ذكر مقتل نقفور ملك الروم ساردا قتله وسببه فقال : (ضمن حوادث ٣٥٩ هـ) « . . وفيها (٣٥٩ هـ) طمع نقفور ملك الروم في ملك جميع الشام ، ولم يكن من بيت المملكة ، وانما قتل الملك الذى قبله وتزوج امراته بفانو (ثيوفانو) ، وأراد أن يخص أولادها من بيت المال ، ليقطع نسلهم ، ويبقى الملك في نسله . فاتفقت أمهم مع الدمستق وأدلته في جماعة على زى النساء الى كنيسة متصلة بدار نقفور . ونام نقفور فدخلوا عليه ، وقتلوا نقفور وأراح الله المسلمين منه . واتام الدمستق أحد الأولاد المذكورين ملكا . قلت : وهو بسيل بن أرماتوس ، والمعتمد في هذه الترجمة أن بفانو الملكة زوجة أرماتوس

ويذكر المؤرخ ليو الشماس — وهو معاصر للأحداث^(١) — : « أن نقفور لو لم يقتل لامكنه مد حدود امبراطورية الروم في الشرق حتى الهند ، وفي الغرب حتى نهاية العالم ، أو بعبارة أخرى حتى المحيط الاطلسي » . ومما لا شك فيه أن كلام هذا المؤرخ فيه الكثير من المبالغة والتحمس المنطلق من التعصب لبني جلدته ودينه . لأن مشاريع نقفور فوكاس في الغرب أخفقت جميعها .

أما يحيى بن سعيد الانطاكي — وهو معاصر كذلك للأحداث — فقد ختم كلامه عن أعمال نقفور فوكاس بقوله :^(٢) « ولم يشك أحد في أن نقفور الملك يفتح جميع الثامات (البلاد الشامية) ، وديار مصر ، وديار ربيعة ، وديار بكر ، وتحصل في يديه ، وذلك أنه بنى أمره على قصد سواد المدن والقرى التي يمر بها فيغزوها ، ويحرقها ويسبى أهلها ومواشيها ، وإذا بلغ وقت الحصاد للزرع خرج وأحرق جميع الغلات ، وترك أهل المدن يموتون جوعا . وكان لا يزال يفعل ذلك بهم سنة بعد سنة ، الى أن تدعيهم (وضغطها تدعوهم) الضرورة الى تسليم المدن اليه حتى كانت غزواته قد صارت كالنزهة له ، ولأصحابه ، وكان يقصد حيث يشاء ، ويخرب من غير أن يلقاه أحد من المسلمين يدافعه عما يريد » .

والحق أن الفتن والمنازعات التي وقعت في الدولة الاسلامية وقتذاك — النصف الثاني من القرن الرابع الهجري — كانت هي الفرصة الثمينة التي مكنت للروم أمر الاستيلاء على ما أخذوه من البلاد الاسلامية . وليس أدل على ذلك من إشارة أوردها ابن الاثير^(٣) أنه حين استولى الروم على ملازكرد عام ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م)

قتلت أرماتوس ، وتزوجت نقفور الملك ، ثم قتله وتزوجت يانيس بن الشمشقيق (يوحنا زيمسكيس) ، وولته الملك ثم خافته على ولديها بسيل وقسطنطين ابني أرماتوس فجهزت اليه وهو بالشام سنا فقتله قبل عودته الى الروم وكان ذلك في بداية عام ٩٧٧ م (٣٦٦ هـ) وولت ابنها بسيل ، وملك بعده على الروم أخوة قسطنطين وكان زمانا لأن دبا وثبت عليه فآزمه .

(١) عن فيصل السامر : الدولة الحمدانية ج ٢ ص ١٩٧

(٢) الانطاكي : تاريخه ص ١٣٥

(٣) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٤٤

— وهو حدث معاصر لاخذهم انطاكية » — عظمت شوكتهم ، وخافهم المسلمون في أقطار البلاد ، وصارت (أى البلاد) كلها سايية (أى لا حامى لها ولا مدافع عنها) لا تمنع عليهم ، يقصدون أيها شاعوا » • كما يشير ابن الاثير أيضا ، ويؤيده ابن كثير^(١) ، الى أطماع نقفور فوقاس في بلاد الاسلام بقوله : « أنه — أى نقفور — جعل همته قصد بلاد انشام ، والاستيلاء عليها • وتم له ما أراد ، باشتغال ملوك الاسلام بعضهم ببعض ، فدوخ (أى نقفور) البلاد وكان قد بنى أمره على أن يقصد سواد البلاد مينييه ويخرجه ، فيضعف البلاد فيملكها • وغلب على الثغور الجزرية والشامية ، وسبى وأسر ما يخرج عن الحق ، وهابه المسلمون هيبة عظيمة ولم يشكوا في (أى توقعوا) أنه يملك جميع الشام ومصر والجزيرة وديار بكر لخلو الجميع من مانع •

كانت حلب وقتذاك يحكمها سعد الدولة بن سيف الدولة (٣٥٦ — ٣٨١ هـ) ولم يكن سعد الدولة كأبيه عقلا وتدبرا • فعصى عليه جند حلب سنة ٣٥٧ هـ ، فنزلها وبقي القتال عليها مدة ، واستولى الرعيلى على انطاكية ، وجاءت الروم ، فنزلوا عليها وأخذوها ، وهرب الرعيلى من باب البحر هو وخمسة آلاف انسان ناجين بأنفسهم من الروم • فأسر هؤلاء أهل انطاكية ، وقتلوا أناسا من أكابرهم • وقال عظيم الزوم لما ضيقوا عليه : « ارحل واخرب الشام كله وأعوذ اليكم من الساحل ورحل في اليوم الثالث ، ونزل معرة مصرين فأخذها ، وغدر بهم ، وأسر منهم أربعة آلاف ومائتى نسمة ثم سار الى عرقة فافتتحها • ثم سار الى طرابلس فأخذ ريفها ، وأقام في الشام أكثر من شهر ورجع ، فأرضاه أهل انطاكية بمال عظيم ، وأحرق حمص ، وقد أخلاها أهلها ، وملك ثمانية منبرا ، وعاد الى بلاده بالأسرى والاموال^(٢) •

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٤٤٧ • وابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٤٤ • وقد أوردنا القصيدة المسماة « القصيدة الارمنية » ، المنسوبة الى نقفور فوقاس ، حيث يتبين منها نيته تجاه الشعوب الاسلامية •

(٢) محمد كرد على : خطط الشام ج ١ ص ٢٠١ •

قال يحيى بن سعيد الانطاكي « أن نقفور فوكاس لما توجه الى الشام ، خافه سعد الدولة فخرج عن حلب الى بانيس ، واستخلف فيها قرعويه الحاجب ، ونزل الملك (نقفور) على انطاكية وأقام يومين ورحل في اليوم الثالث ، ونزل على معرة مصرين ، وأمن أهلها من القتل ، وكانت عدتهم ألفا ومائتي نفس ، وسيرهم الى بلد الروم ، وفتح معرة النعمان وحماه وحمص . وأخذ منها رأس القديس يوحنا المعمدان ، ونزل على طرابلس ، وأحرق ربضها ، وحاصر مدينة عرقة تسعة أيام ، وكان لها حصن منيع ففتحه بالسيف ، وأخذ منها خلقا كثيرا كانوا التجأوا اليه من الأقاليم المجاورة ، وأخذ منه مالا كثيرا ، وكان في الحصن أمير طرابلس أحمد بن تحرير الارغلي . . . وفتح حصن انطربوس ومرقية وحصن جبلة ، وصالح أصحاب اللاذقية عليها ، وخرّب كثيرا من القرى ، وعبر بانطاكية ، وميز السبي الذي معه ، وأعتق عليها من الشيوخ والعجائز زهاء ألف نفس ، وبنى حصن بغراس مقابل انطاكية في فم الدرب ، ورتب فيه رئيسا يقال له ميخائيل البرجي ورسم لسائر أصحاب الاطراف طاعته ، ورتب معه ألف رجل ورجل الى القسطنطينية . . (١) » .

ومما يدل على مدى غلظة وفضاعة نقفور ووحشيته في بلاد الاسلام ، ذلك الوصف الذي أورده ابن كثير مصحوبا « بالقصيدة الارمنية » من نظم بعض كتاب نقفور — ممن يعرفون العربية — والتي أرسلها نقفور فوكاس للخليفة العباسي « المطيع لله » (٢) (٣٣٤ — ٣٦٣ هـ / ٩٤٦ — ٩٧٤ م) . حيث يقول ابن كثير : « كان هذا الملعون — يقصد نقفور — من أغلظ القلوب ، وأشدهم كفرا ، وأقواهم بأسا ، وأحدهم شوكة ، وأكثرهم قتلا وقتالا للمسلمين في زمانه . استحوذ في أيامه — لعنه الله — على كثير من السواحل ، وأكثرها انتزعها من أيدي المسلمين قسرا ، واستمرت في يده قهرا ،

(١) الانطاكي : تاريخه ، ومحمد كرد علي : خطط الشام / ١

٢٠١ — ٢٠٢

(٢) هو أبو القاسم الفضل المطيع لله بن المقتدر بالله بن المعتضد العباسي

وأضيفت الى مملكة الروم قدرا» (١) .

ولا يفوت ابن كثير أن يورد السبب الذى مكن نقفور من رقاب المسلمين وبلادهم آنذاك فيقول : « ٥٥٥ . وذلك لتقصير أهل ذلك الزمان ، وظهور البدع الشنيعة فيهم ، وكثرة العُضيان من الخبايا والعام منهم ، وفشو (انتشار — أو شيوع) البدع فيهم ، وكثرة الرفض ، والتشيع منهم ، وقهر أهل السنة بينهم ، فلهذا أدب عليهم (تغلب عليهم) أعداء الاسلام ، فانتزعوا ما بأيديهم من البلاد مع الخوف الشديد ، ونكد العيش ، والفرار من بلاد الى بلاد ، فلا يبيتون ليلة الا في خوف من قوارع الاعداء ، وطوارق الشرور (أي النوازل) المتردفة (أى المتتالية) ٥٥٥ . وقد كان — لعنه الله — لا يدخل في بلد الا قتل مقاتلة ، وبقيّة الرجال ، وسبى النساء والاطفال ، وجعل جامعا اصطبلا لخيوله ، وكسر منبرها ، واستنكت مأذنتها بخيله ورجله وطبوله (٢) .

وقد أرسل قصيدة الى الخليفة المطيع لله العباسى ، نظمها له بعض كتابه — ممن كان قد خذله الله وأذله — هذا نصها :

| | |
|----------------------------------|--------------------------------|
| من الملك الطهر المسيحى مالك | الى خلف الأملاك من آل هاشم |
| الى الملك الفضل المطيع أخى العلا | ومن يرتجى للمعضلات العظام |
| أما سمعت أذنك ما أنا صانع | ولكن دهاك الوهن عن فغل هازم |
| فان تك عما تقلدت نائما | فانى عما همنى غير نائم |
| ثغورك لم يبق فيها لو هنكم | وضعفكم الا رسوم المعالم |
| فتحنا الثغور الأرمينية كلها | بفتيان صدق كالليوث الضراغم |
| ونحن صلبنا الخيل تملك لجمها | وتبلغ منها قضمها للشكلثم |
| الى كل ثغر بالجزيرة أهل | الى جند قنسرينكم فالعواصم |
| ملطية مع سميساط من بعد كركر | وفى البحر أضعاف الفتوح التواجم |
| وبالحدث الحمراء جالت عساكرى | وكيسوم بعد الجعفرى للمعالم |

(١) راجع ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٣٤ — ٢٤٦
(٢) ابن كثير : المصدر السابق ج ١١ ص ٢٤٥ — ٢٤٦

وكم قد ذللنا من أعزة أهلها
وسد سروج اذ ضربنا بجمعنا
وأهل الرها لاذوا بنا تحزبوا
وصبح رأس العين منا بطارق
ودارا وميفارقين وأرزننا
واقريطش قد جازت اليها مراكبي
فحزتهم أسرى وسيقت نساؤهم
هناك فتحننا عين زرية غوة
إلى حلب حتى استبحنا حريمها
أخذنا النساء ثم البنات نسوقهم
وقد فرعنها سيف دولة دينكم
وملنا على طرسوس ميلة حازم
فكم ذات عز حرة علوية
سبينا فسقنا خاضعات حواسرا
وكم من قتل قد تركنا مجندلا
وكم وقفة في الدرب أفنت كمالككم
وملنا على أرياحكم وحريمها
فأهوت أعاليها وبديل رسمها
إذا صاحبها اليوم جاويه الصدى
وانظراك لم تيعد على واننى
ومسكن آبائي دمشق فأننى
ومصر سأفتحها بسيفي غوة
وأجزى كافورا بما يستحقه
إلا شمروا يا أهل حمدان شمروا
فان تهربوا تنجوا كراها وتسلموا
كذلك نصيين وموصلها إلى

فصاروا لنا من بين عبد وخدام
لنا رتبة تلو على كل قائم
بمنديل مولى علا عن وصف آدمي
بييض غزوناها بضرب الجماجم
اذقناهم بالخييل طعم العلاقم
على ظهر بحر مزيد متلاطم
ذوات الشعور المسبلات النواعم
نعم وأبدنا كل طاغ وظالم
وهدم منها سورها كل هادم
وصبيانهم مثل الممالك خدام
وناصرهم منا على رغم راغم
اذ لمن فيها احز العلاقم
منعمة الاطراف ريا المعاصم
بغير مهور ، لا ولا حكم حاكم
يصب دما بين الله واللاهزم
وسقناهم قسرا كسوق البهائم
مدوخة تحت العجاج السواهم
من الأنس وحشا بعد بعض نواعم
واتبعه في الريح نوح الحمائم
سأفتحها يوما بهتك المحارم
سأرجع فيها ملكنا تحت خاتمي
وأخذ أهوالا بها ويهائم
بمشط ومقراض وقص محاجم
أنتكم جيوش الروم مثل الغمام
من الملك الصادي بقتل المسالم
جزيرة آبائي وملك الإقادم

سأفتح سامرا وتوثا وعكبرا
واقتل أهليهما الرجال بأسرها
ألا شمرؤا يا أهل بغداد ويلكم
رضيتم بحكم الديلمي ورفضه
وياقاطعى الرملات ويلكم ارجعوا
وعودوا الى أرض الحجاز أذلة
سألقى جيوشا نحو بغداد سائرا
وأحرق أعلاها وأهدم سورها
واحرز أموالا بها وأسر
واسرى بجيشى نحو الأهواز مسرعا
وأشعلها نهباً وأهدم قصورها
ومنها الى شيراز والرى فاعلموا
الى شناس ويلخ بعدها وأخواتها
وسابور أهدمها وأهدم حصونها
وكرمان لا أنس سجستان كلها
أسير بجندى نحو بصرتها التى
الى واسط وسط العراق وكوفة
وأخرج منها نحو مكة مسرعا
فأملكها دهرأ عزيزا مسلما
واحوى نجدا كلها وتهامها
وأغزو يمانا كلها وزبيدها
فاتركها أيضا خرابا بلاقعا
واحوى أموال اليمانية كلها
أعود الى القدس التى شرفت بها
واعلو سريرى للوجود معظما ..
هنالك تخلو الارض من كل مسلم
وتكريتها مع ماردىن العواصم
واغنم أموالا بها وحرائم
فلكم مستضعف غير رائم
فصرتم عبيدا للبيد الديالم
الى أرض صنعا راعين البهائم
وخلو بلاد الروم أهل المكارم
الى باب طاق حيث دار القماقم
واسبى ذرا ريبها على رغم راغم
واقتل من فيها بسيف النقايم
لاحراز ديباج وخز الواسم
واسبى ذرا ريبها كفعل الاقدام
خراسان قصرى والجيوش يحارم
وفرغاته مع مروها والمخازم
واوردها يوما كيوم السمائم
وكانها النائي ملك الاعاجم
لها بحر عجاج رائع متلازم
كما كان يوما جندنا ذو العزائم
أجر جيوشا كالليالى السواجم
أقيم بها للحق كرسى عالم
وسوا واتهام منمخج ومخاطم
وصنعاها مع صعدة والتهائم
خلاء من الاهلين أهل نعمائم
وما جمع القرماط يوم محارم
بغز مكين ثابت الاصل قائم
وتبقى ملوك الأرض مثل الخوادم
لكل نقي الدين أغلف زاعم

نصرنا عليكم حين جارت ولاتكم
قضائكم باعوا القضاء بدينهم
عدو لكم بالزور يشهد ظاهرا
سأفتح أرض الله شرقا ومغربا
فعبسى علا فوق السموات عرشه
وصاحبكم بالترب أودى به الثرى
تناولتم أصحابه بعد موته
بسب وقذف وأنتهاك المحارم

كما يذكر الانطاكي^(١) « أن المسلمين أيقنوا أن « نقفور فوكاس » سوف يستولى على كل بلاد الشام وسائر الأقاليم . اذ أصبحت اغاراته متعة لغساکره ، خاصة وانهم لم يكونوا يواجهون مقاومة أو هجوما مضادا . بل كانوا يسيرون أينما شاءوا ، فيدمرون ويخربون ما يريدون ويشتهون ، دون أن يلتقيهم أو يواجههم أحد المسلمين ، يحول بينهم وبين بغيتهم » . وذلك لما انتاب العالم الاسلامى وقتذاك — القرن الرابع — من تفكك ، وتنازع على السلطات ، وعلى اقامة المسلمين ، فضلا عن المنازعات الداخلية في كل قطر أو اقليم .

لذلك كانت النتيجة الطبيعية لمثل تلك الاوضاع المتردية ، التى عاشها العالم الاسلامى وقتذاك ، ان انساح نقفور بقواته في بلاد الاسلام ، دون أن يجد من يردعه . أما المؤرخ اليونانى (البيزنطى) ليون الشماس — وكان معاصرا لأحداث القرن الرابع الهجرى في نصفه الاخير — فقال — بزهو — عن نقفور انه لو لم يلق مصرعه لاستطاع أن يمد أطراف دولتهم (البيزنطية) الى الهند شرقا ، وإلى تخوم الأرض غربا أى الى المحيط الأطلسي^(٢) . وهو ما عقبتنا عليه سابقا . فلما تسلم يوحنا يزمسكيس عرش الامبراطورية البيزنطية —

(١) الانطاكى : تاريخه (صله اوتيجا) منشور في مجلة Patrologia Or. 8, 825 - 826 . وراجع ابن كثير : البداية والنهاية ٢٤٢/١١ —

٣٤٤ والعرينى : الدولة البيزنطية ص ٤٢٦ .

(٢) من العرينى راجع : Schlumberger, L' Epopée, P. 224 .

خلفا لنفثور فوكاس — (٩٦٩ — ٩٧٦ م / ٣٥٩ — ٣٦٦ هـ) والى سياسة الفتوح فى كىلىكيا (قلىقىة) وسورىة • لكىنه فى السنوات الاولى من حكمه ، لم ىشارك فى الحرب بنفسه فى الجبهة الشرقىة ضد المسلمين • وذلك بسبب انشغاله بحرب الروس والبىلغار وثورة « باراداس فوكاس » Barades Phocas • وقد وفق ىوحنا زىمسكىس فى مواجىهة الروس والبىلغار ، واخماد ثرة باراداس فوكاس ، كما تغلب على المشاكل التى واجهت الامبراطورىة البىزنطىة فى اىطالىا ، بمصاهرة وارث التاج الالمانى اوتو الثانى Otto II امبراطور المستقبل ، مما اتاح له فرصة التفرغ للجبهة الاسلامىة فى بلاد الشام (١) •

كانت أولى الحملات التى شنفا الروم على مناطق الثغور الاسلامىة فى عهد زىمسكىس ، بقىادة القائد ملىاس (ملىح الأرمنى عند العرب) فى سنة ٣٦١ هـ (٩٧١ م) • فقصد الى اقليم الجزىرة ، حىث أغار على مدىنة الرها (أدىسا Edessa) ، وبلغ نصىیین فملكها وأحرقها وسبى من المسلمين ، وفعل مثل ذلك فى دىار بكر • ولم ىستطع أبو تغلب الحمدانى أن ىحرك سلكنا لصدد هذه الحملة البىزنطىة (٢) • بل أنه — أى أبى تغلب — دفع للقائد البىزنطى مبلغا من المال مقابل الكف عن عدوانه ، ولاطفه ، وهاداه ، ومازاه (أى قدم له المیره ومالاه) وقاد الیه الخىل العتاق ، ومما هو عون للكفر على الايمان ، وكان فىما اتحفه به الخمر الذى حظر الله علیه أن یشربها وىسقىها ، وصلىبان ذهب صاغها له وتقرب بها الیه (٣) •

(ب) موقف الخلافة العباسىة من هذه الأحداث :

أحدثت هذه التطورات على جبهة الشام رد فعل غاضب وعنف بین جماهیر المسلمين فى بغداد — عاصمة الخلافة العباسىة — المتى سارت فى تظاهرات أمام دار الخلافة ، واتهمت الخلیفة المطیع

Vasiliev : Hist., of Byz. Emp. P. 310. and Camb. Med. Hist.

(١)

Vol., 4, P. 174.

Camb. Med. Hist., Vol., 4, P. 147.

(٢)

(٣) الصابى : رسائل الصابى ج ١ ص ٨٩ •

الله بن المقتدر (٢٣٤ — ٣٦٣ هـ / ٩٤٦ — ٩٧٤ م) بالعجز عن مناجزة الروم ومناهضتهم ، فوعد بشن الغارة عليهم . وكتب بذلك الى أبى تغلب الحمدانى يأمره باعداد العدة لذلك انغرض^(١) . وفى ذلك يذكر ابن مسكويه^(٢) : « أن الكتب وردت عليه (أى على الخليفة المطيع لله) بأن الروم غزوا نصيبين فملكوها ، وأحرقوها ، وقتلوا الرجال ، وسبوا الذرارى ، ثم ورد خلق من ديار ربيعة وديار بكر ومدينة السلام (بغداد) ، واستنقروا المسلمين فى المساجد الجامعة ، والأسواق ، وحكوا انفتاح الطريق للروم ، وأنه لا مانع لهم من تورده ديارهم ، وهى متصلة بالعراق . فلما تجمع معهم خلق من أهل بغداد ، ساروا الى دار المطيع لله ، وحاولوا الهجوم عليها ، وقاعوا البعض من شبابيكها ، فأغلقت الأبواب دونهم ، بعد أن كادوا يصلون اليه ويأتون عليه ، فاسمعوه ماكره ، ونسبوه الى العجز . عما أوجب الله على الأئمة ، وتجاوزوا ذلك الى ما يقبح ذكره » ، وقد أئذه فى ذكر هذه الحادثة ووصفها أيضا ابن الأثير^(٣) .

على أن موقف المسلمين تحسن قليلا ، بفضل ما أحرزه هبة الله ابن ناصر الدولة الحمدانى من مصر على الروم فى ميافارقين ، آخر شهر رمضان ٣٦٢ هـ وأسره للدمستق (القائد) الذى حبسه أبو تغلب الحمدانى . فساغت حالة الدمستق فى الأسر ، ولم يلبث أن مات فى ٤ يوليو ٩٧٣ م (٣٦٣ هـ)^(٤) . « وكانت غدة الدمستق عظيمة كثيفة ، لكنه انحصر فى مضيق لا تجول فيه العساكر ، وكان الدمستق فى أول عسكره على غير أهبة تامة ، فانهزم الروم ، وأخذ الدمستق أسيرا . وتمكن المسلمون منهم ، وأعز الله دينه ، وكثر القتل والأسر فى الروم ، حتى أرسلت الكثير من رؤوس ، وأيدي قتلاهم لبغداد لتبشر هناك » ، ولترفع من معنويات عامة المسلمين بعد أن أثر فيهم ما وقع قبل

(١) ابن الوردى : تنمة المختصر ٤٤٣/١ — ٤٤٤ .

(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ٣٠٣ — ٣٠٤ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٢٤٤ .

(٤) ابن الوردى : تنمة المختصر ج ١ ص ٤٤٥ .

ذلك على يد مليح الأرمني في نصيبين والرها وديار بكر سنة ٣٦١ هـ
(٩٧١ م) (١) .

ومن ناحية أخرى ، حاول الخليفة الفاطمي — حاكم مصر وجنوب
بلاد الشام — استعادة مدينة انطاكية في سنة ٣٦١ هـ (٩٧١ م) . لكن اغارات
القرامطة على القوات الفاطمية ، اضطرتته الى فك الحصار عن المدينة ،
فأرسل الروم اليها ميخائيل البرجي حاكما ، فأعاد بناء سور المدينة
(انطاكية) الذي تهدم (٢) .

وعلى الرغم من انشغال زيمسكيس بحروبه ضد الروس والبلغار ،
التي لم يفرغ منها نهائيا حتى ٩٧٤ م (٣٦٣ هـ) ، فإنه سار في هذا العام
(٩٧٤ م) على رأس حملة الى الجبهة الشرقية (الاسلامية) لتأمين
الحدود مع ارمينية ، وتدعيم النفوذ البيزنطي هناك . حيث عقد حلفا
مع حكامها ، ومر في طريقه بآمد وميفارقين ونصيبين (٤) .

وقد تميزت حملة زيمسكيس هذه بالرسالة التي كتبها الى حليفه
الأرمني الملك اشو الثالث ملك ارمينية الجرجاني . وهذه الرسالة
تعتبر وثيقة هامة ، نستدل منها على أن خطة زيمسكيس كانت تهدف
الى السيطرة — كسلفه نفقور فوكاس — على بيت المقدس وأخذة من
المسلمين ، بحرب صليبية يشنها على العالم الاسلامي .

على أن يوجنا زيمسكيس — قبل أن يهبط الى اقليم الجزيرة
— عبر نهر الفرات ، وتوغل في اقليم طارون (دارون) Daron
بأرمينية ، المتاخم للشاطئ الغربي لبحيرة Van حيث أقام معسكرا

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٢٤٧ والعريبي : الدولة البيزنطية
ص ٤٧٤ ، ٤٧٩ .

(٢) ابن مسكويه : تجارب الامم ج ٢ ص ٣١٢ .

Cambr. Med., Hist., Vol., 4, P. 147.

(٣)

Schlumberger : L'Epopée, P. 244 - 245.

(٤) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ج ٢ ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

أمام حصن اترنابرد Atzia berd المعروف بقلعة المعيز — وقد أخبرنا جروسية Grousset — نقلا عن ماثيو الادسي — أن حملة زيمسكيس العسكرية على الحدود الارمنية ، كانت قد سبقتها فترة من التوتر بين الامراء الارمن والامبراطورية البيزنطية . فلما تواتر خبر حملة زيمسكيس ووجهتها ، تجمع الأمراء الأرمن حول مليكهم آشو الثالث البجراطي ، وهم يتخوفون مما ستسفر عنه الأحداث المقبلة . وكان ممن حضر هذا التجمع بقواته : الابن الثالث لآشو الثالث وهو الامير جورجين أمير جوجارك ، وعباس (اباز) Abas بن موشيل ملك قارص Kars نيابة عن والده ، والامير فلبيلب السبيوني سيد كابان Kapan باقليم ملك (شوشه) بـسيونيا الشرقية وعدد كبير من زعماء ارمنية وامرائها . وكلهم قد جمعهم شعور الكراهية ضد النفوذ البيزنطية^(١) .

وكان المكان الذي تجمع فيه الارمن بقواتهم هو منطقة هارك (الهرق ، Hark الهرق) بين ملازكردوزرنك Zarnak ، وهو موقع ملائم للدفاع عن انقليم الفاسنبوراكان وأرمنية البجراطية ، ضد أية قوات بيزنطية ، يمكن أن تقدم من ناحيه اقليم طارون . وقد بلغ مجموع الحشد الارميني نحو ثمانين ألف مقاتل . وبمعنى آخر — كما يذكر جروسية — «كانت كل الأمة الأرمنية مجتمعة تحت السلاح في مكان واحد»^(٢) .

فلما علم يونان زيمسكيس بتجمعات الأرمن ، واستعدادهم للمقاومة ضد الترخيل ، لم يستمر في خطته ، ايثارا منه لكيب ود الارمن ومباصرتهم له ، في جهودة المقبلة ضد عالم الإسلام . فتودد للأمراء الأرمن ، وخلق عليهم الالقاب ، ومنحهم الرتب . وقد نجحت المساعي لبعوثيه في عقد معاهدة سلام وتحالف أرمني — بيزنطي ليتفرغ لنجبة مع المسلمين^(٣) .

Grousset : Hist. de L'Armenie, P. 495.

(١)

Grousset : Ibid., P. 496.

(٢)

Grousset : Ibid., P. 496.

(٣)

وعلى الرغم من معاهدة السلام والتحالف الأرمنية — البيزنطية التي عقدت ، إلا أن مخاوف الروم من وقوع صدام بينهم وبين الأرمن ، ظلت مهيمنة على تحركات وتصرفات الإدارة البيزنطية . لا سيما إذا علمنا أن أبناء إقليم طارون لم يكونوا راضين عن الانضمام في معاهدة تحالف ضد المسلمين^(١) .

وأيما كان الأمر فقد دل اجتماع الأرمن ، والتفافهم حول قائد واحد — هو مليكهم أشسوط الثالث البجراطي — على ما كان في مقدور أرمنية أن تفعله طوال العصور الوسطى ، لو أن الانقسامات المستعصية في صفوف زعمائها الاقطاعيين لم تمحق قوتها . كما يجب ألا يغيب عن بالنا جنسية الامبراطور زيمسكيس الأرمنية . مما يجعلنا نتساءل هل كان الامبراطور — زيمسكيس الأرمني الذي تحول الى الارثوذكسية اليونانية وأصبح وريثا للقيصرة — يحلم بضم وطنه الاصلى الى أملاك امبراطورية الروم ؟ أم أن سلالته الأرمنية — على العكس من ذلك — أوقفت في آخر لحظة ومنعته من المضي في طريق الانفصام ؟ . فلعل هذا التعاطف العرقي العنصري الملا ارادى ، قد قوى في نفسه النصائح الحكيمة التي أملاها عليه مشهد الاستعدادات للمقاومة التي نظمها أشسوط وبسائر الامراء الأرمن وقتذاك . وكانت النتيجة هي أن أرمنية ، بدلا من أن تدخل في صراع مع زيمسكيس ، زودته بأشجع جندها ، من أجل شن الحرب الصليبية البيزنطية التي جردها ضد العالم الاسلامي^(٢) ، والمعروف أن ملك أرمنية البجراطي أشسوط الثالث (٩٥٢ — ٩٧٧م) كان قد اتخذ سياسة — المسالمة والمهادنة منها في التعامل مع المسلمين . وبذلك استطاع أن يكسب ود الخليفة العباسي في بغداد ، بعد أن أنزل أشسوط الثالث الهزيمة بأحد الثائرين — على الخلافة — الذي عاث فسادا في أذربيجان والجزيرة وقتذاك^(٣) . وقد رأينا كيف خرج الملك الأرمني

Grousset : Ibid., P. 496 - 497.

(١)

Grousset : Ibid., P. 497 - 498.

(٢)

(٣) عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبي ص ١٧٢ — ١٧٣

Camb. Med. Hist., IV, P. 161.

أشوط الثالث وسائر أمراء أرمينية — رغم ما كان بينهم من خلافات داخلية — بجيش قوامه ثمانين ألف مقاتل للقاء ورصد تحركات ذلك الامبراطور البيزنطى زيمسكيس ، الذى كان حريصا على تدعيم الوجود البيزنطى فى الجبهة الأرمينية ، قبل زحفه إلى بغداد^(١) .

ولذلك أجرى زيمسكيس مفاوضات مع ملك أرمينية أشوط الثالث وأمراء أرمينية ، انتهت بعقد معاهدة بين الطرفين نصت بنودها على تعهد نظام الحكم الأرمينى بمساعدة الامبراطور البيزنطى فى عملياته العسكرية ضد المسلمين^(٢) . وتبذلت المراسلات بين كل من الامبراطور البيزنطى زيمسكيس (وهو أرمينى الاصل) والملك الأرمينى « أشوط الثالث » كان من بينها تلك الرسالة التى يرجع تاريخها الى ما قبل عام ٩٧٥ م ، ونص الرسالة جاء فيه^(٣) :

« يا أشوط يا شاهنشاه أرمينية الكبرى ، يا بنى الروحى أنصت الى ، ولتعلم الاعاجيب التى أتاها الرب لصالحنا ، وانتصاراتنا التى تتم عن اعجاز ، والتى تدل على أنه يستحيل سبرغور العناية الالهية . واننا نريد يا صاحب المجد ، يا أشوط ، أن نطلعك على أدلائل الساطعة على الفضل ، الذى أضافه الرب الى نعمه هذا العام ، على يد جلالتنا ، وأن نبصرك بها . فأنت بوصفك مسيحيا وصديقا وفيما لجلالتنا ، سوف تسعد بذلك وتلهج بعظمة مولانا المسيح السامية . وهكذا ستعرف أن الرب لا يكف عن حماية المسيحيين ، وهذا الذى أتاح لجلالتنا أن نخضع كل بلاد الشرق الفارسي . وستعرف كذلك كيف استولينا على نصيبين مدينة المسلمين وعلى مخلفات البطريق القديس جاك (الصبى) وكيف أجبرناهم على دفع الجزية ، التى يدينون لنا بها ، وكيف أخذنا منهم الاسرى »

Camb. Med. Hist., IV, P. 161.

(١)

(٢) العربى : الدولة البيزنطية ص ٤٧٩ / ٤٨٠ .

(٣) راجع ممر كمال توفيق : مقدمات الغدوان الجهليى

ص ١٦٥ — ١٧١ .

« لقد كانت حملتنا تهدف أيضا الى الاقتصاد من كبرياء أمير المؤمنين وزهوه ، وهو ملك الافريقيين المعروفين بالعرب المغاربة ، (وهو يقصد الخليفة الفاطمي) ، الذي كان قد تصدى لنا بقوات هائلة عرضت جيشنا في البداية لخطر^(١) ولكننا هزمناها بعد ذلك بفضل القوة وعون الرب . فانسحبت في خزي ، شأنها شأن أعدائنا الآخرين ، وعندئذ جعلنا من أنفسنا سادة على بلادهم ، حكمنا بقطع رقاب أهالي عدة أقاليم ، وبعد ذلك تعجنا بالانسحاب وعدنا الى قواعنا الشتوية . . »

« واذا كنا قد أطلعناك ، يا صاحب المجد ، على جميع هذه الحقائق ، فلكي يثير سردها فيك الإعجاب . . وحتى تلم بالأعمال العظيمة ، التي تم انجازها في هذا الزمن ، وما أكثر عددها . . »^(٢)

وفي خريف عام ٩٧٤ م ، (٣٦٣ هـ) سار زيمسكيس بقواته جنوبا ، فأغار على الجزيرة (ما بين النهرين) وعبر الفرات من ناحية ملطية ، ثم يهجم نحو الجنوب الغربي ، قاصدا آمد على نهر دجلة ، التي كان المسلمون قد استعادوها — بعد أن هزموا مليح الارمني بقواته — فاستولى زيمسكيس عليها ، واقتدى أهلها بأنفسهم ، بما دفعوه من أموال وفيرة . كما هاجم الجيش البيزنطي مدينة ميفارقين فنهبها ، وأشعل فيها الحرائق . وحازت قوات الروم منها الكثير من الغنائم . ثم توجهت الى نضيين فاستباحوها بعد أن هجرها سكانها .

(١) لعل هذه تعتبر اشارة صريحة لما يكبده الروم من خسائر فادحة على يد القوات الفاطمية في مرحلة من مراحل المواجهة الاسلابية البيزنطية (الصليبية) . وبخاصة موقعة ريمطة والمجاز أمام صقلية سنة ٣٥٤ هـ ، ثم الحملة الفاطمية التي هفت الى استرداد انطاكية . سنة ٣٦٦ هـ . راجع صابر دياب : سياسة الدولة الاسلامية ص ٢٠٨ و

Camb. Med. Hist., 4, P. 149.

(٢) الجدير بالذكر أن صحة هذا الخطاب كانت موضع خلاف ونزاع . فثمة بعض النقاد يرون فيه عملا أدبيا ، على غرار الخطب ، التي يؤلفها المؤرخون اليونانيون واللاتين لأبطالهم . واذا كانت الفقرات المتعلقة بالحملة على سوريا ولبنان قد أيدها أمثال يحيى بن سعيد الانطاكي ، فان الفقرات التي تتعلق بالجليل تبدو مبالغ فيها بدرجة كبيرة . راجع عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبي ص ١٧١ و

Grousset : Hist. de L'Arménie, P. 498 - 499.

وأقام بها زمسكييس الى أن تقرر الحال بينه وبين أبى تغلب بن حمدان على هدنة ومال يتعهد أبو تغلب الحمدانى ، بدفعه اليه سنويا على أن يدفع جانبا منه عاجلا^(١) . وقد استولى يوحنا زمسكييس فى هذه الحملة على بعلبك كما سلمت له دمشق صلحا ، وأقرت بدفع الجزية ، وخضعت له منطقة طبرية والناصرية وقيصرية صلحا^(٢) .

أما عن الموقف فى الخلافة العباسية ، فقد خلع الخليفة العباسى المطيع لله (٣٣٤ — ٣٣٣ هـ) ، واعتلى ابنه « الطائع لله » عرش الخلافة سنة ٣٣٣ هـ^(٣) . وكان خلع المطيع لله بسبب ظهور عجزه عن مواجهة أخطار الروم ، وفشله فى فض النزاع بين السنة والشيعة فضلا عن فشله فى اخمد ثورات واضطرابات العساكر الأتراك^(٤)

أما عن الرسالة التى أرسلها زمسكييس للملك الارمنى آشوط الثالث الجراطى عام ٣٣٤ هـ (٩٧٥ م) ، والتى أوردنا بعضا منها فيما سبق ، فتشير الى المواضع التى هاجمها الروم فى ربيع هذا العام . اذ استولى على بانياس ، وزحفوا الى طبرية وعين عليها حاكما بيزنطيا (استراتيجوس) ، ثم توجه زمسكييس بقواته الى عكا . حيث لم تجد قواته هناك أدنى مقاومة فاطمية ، فزحف حتى وصل الى قيسارية^(٥) .

على أن الملاحظ أن تلك الرسالة لم يرد فيها ما يشير الى مسير الجيش البيزنطى من انطاكية الى القسطنطينية . ولعل هذا

(١) العرنى : الدولة البيزنطية ص ٤٨٠ .

Grousset : Hist. de L'Armenie, P. 498.

(٢)

وصابر دياب : سياسة الدولة الاسلامية ص ٢١٠ .

(٣) تولى «أبو الفضل عبد الكريم الطائع لله» بن المطيع لله بن المقتدر بالله سنة ٣٦٣ هـ وظل يحكم حتى سنة ٣٨١ هـ (٩٧٤ — ٩٩١ م . راجع : زامبارو معجم الانساب والاسرات + بورفير وجنتس : ادارة الامبراطورية ص ٢٣٠ .

(٤) العرنى : الدولة البيزنطية ص ٤٨١ .

(٥) الانطاكي : تاريخه ص ١٤٥ .

Schlumberger : L'Fpopee Tome I, P. 843.

يؤجى بأن هذه الرسالة تم تحريرها اما أثناء وجود القوات البيزنطية في أنطاكية ، أو أثناء سير زيمسكيس بقواته - وقد أسكرته خمر النصر - الى عاصمته القسطنطينية . وأيا كان الامر فقد أسهم زيمسكيس بعمله هذا في اذكاء ونمو روح العداء الصليبية البيزنطية ضد العالم الاسلامي ، وهي الروح التي كان قد أطلق شرارتها القائد البيزنطي الصليبي - ثم الامبراطور بعد ذلك - نقفور فوكاس (١) .

وفي سنة ٣٦٦ هـ (٩٧٦م) خرج يوحنا زيمسكيس ملك الروم في جيوش عظيمة من النصرانية ، كان أولها في منطقة عقاب الروج ، وآخرها في الغرزل من علاه قفرة النعمان ، فنزل على أفامية ، ثم رحل ففتح بعلبك ، وأسر أهلها وكانوا قد تحصنوا في الملعب ، كما حاصر طرابلس ، ثم انصرف عنها (٢) . ثم لم يلبث زيمسكيس أن مات في مستهل عام ٩٧٧م مسموما بيد ثيوفانو .

أثناء هذه الفترة كان الخليفة الفاطمي (العزيز بالله ٣٦٥ - ٣٨٦ هـ) يرغب في حلب . فأنجد بكجور ضد سعد الدولة الحمداني الذي اضطر للاستعانة بالروم . فأمده بجيش بقيادة ميخائيل البرجي صاحب أنطاكية ، الذي حلت به الهزيمة في عهد سعد الدولة (٣) .

وفي عام ٣٦٨ هـ رد الامبراطور البيزنطي باسيل الثاني ولاية اللاذقية الى كرمروك ، لشسته الغارة على طرابلس وما يليها ، وقتله وأسر من أهلها ومن المغاربة خلقا كثيرا (٤) . ثم سار القائد البيزنطي الى حلب سنة ٣٧١ هـ ، ليطلب سعد الدولة بمال الهدنة ، على أن يحمل للروم كل سنة ٤٠٠٠٠ درهم فضة نقية ، صرف كل عشرين

Ostrogrowsky : Hist. of Byz. State, P. 284.

(١)

(٢) ابن الوردي : تمة المختصر ٤٥٢/١ .

(٣) ابن القلائسي : ذيل تاريخ دمشق ٢٨ والانطاكي تاريخه ١٧٦

وبما بعدها .

(٤) محمد كرد علي : خطط الشام ٢٠٣/١ .

دروهم بدينار • وقد اعترف لهم سعد الدولة سنة ٣٧٣ هـ — بسبب اختلال البلاد عليه ، وسعيا الى تمديد الهدنة — بالسيادة وتعهد وأداء الجزية السنوية لبستظل بالحماية البيزنطية ، هربا من السيادة الفاطمية^(١) •

لكن سعد الدولة لم يلبث أن رفض أداء الجزية • فاستولى الروم على كليس ، وأوقعوا بجماعة من الحمدانيين ، وحاصروا أقامية وقاتلوا أشد قتال ، وجاءوا الى حلب • هذا بينما سار قرعويه الى دير سمعان فحاصره ثلاث أيام وفتحته بالسيف ، وقتل جماعة من رهبانه ، وسبى خلقا كانوا قد التجأوا اليه من انطاكية ، ودخلوا بهم الى حلب وأشهروا بها • كما أنفذ الروم سرية الى كفر طاب حيث أوقعت بالعرب وجماعة من الحمدانية^(٢) •

وفي سنة ٣٧٦ هـ يتوتر الموقف أكثر بين الروم وصاحب حلب (سعد الدولة بن سيف الدولة) • حيث رفضوا الصلح معه حتى يدفع المتأخر عليه من الجزية • وسار الامبراطور بسيل المقدوني بجيشه فحاصر حلب ، وفتح حمص وثير ، وأقام على طرابلس • واستمرت معاهدة صاحب حلب منذ وقعها سعد الدولة الى سنة ٣٩٢ هـ — الى نهاية حكم سعيد الدولة أبو الفضائل (٣٨١ — ٣٩٢ هـ)^(٣) •

وهكذا أصبحت الدولة الحمدانية بعد عزها على عهد سيف الدولة ، ذليلة خاضعة لسلطان غيرها في عهد من خلفه • ولا غرو فقد تناهض المسلمون بالعداء ، وصار باسهم بينهم شديد ، فلا جرم أن يطمع فيهم عدوهم •

لقد وقع القتال بين منجوتكين والقوات الحمدانية على أقامية فانهزم الحمدانيون سنة ٣٨٢ هـ وقتل وأسر جماعة منهم ونزل منجوتكين على

(١) محمد كرد علي : حطط الشام ٢٠٤/١ •

(٢) محمد كرد علي : حطط الشام ٢٠٣/١ — ٢٠٤ •

(٣) زمباور : معجم الانساب ٢٠١/٢ + ابن خلكان : وفيات ج ١

حلب ووقع الحرب في جميع جوانب المدينة • ودخل الى أعمال الروم بسبب اعتقال البرجي (صاحب انطاكية البيزنطية) لرسوله ونزل على حصن في بلدة أرتاح فقاتله وسبى وقتل وسار الى انطاكية فرشقه الانطاكيون بالنشاب • وعاد منجوتكين الى منزلة حلب ورجع القتال (١) •

أما في اللاذقية فقد قام المسلمون هناك بثورة ضد الروم ، فتوجه اليهم ميخائيل البرجي ، وأخذ ثورتهم وسباهم وحملهم الى الروم • وفي سنة ٣٨٣ هـ تسلم منجوتكين أقمية من وفاء خادم سيف الدولة ، ثم رحل الى شيزر وقاتلها وتسلمها من سوسن غلام سعد الدولة وعاد ثانية لمنازلة حلب (٢) •

وقد طلب أبو الفضائل سعيد الدولة من الامبراطور باسيل أن ينجده — وكان باسيل يقاتل البلغار — فكلف باسيل نائبه بانطاكية « ميخائيل البرجي » ، بمساعدة أبي الفضائل ، على منجوتكين • فلما علم منجوتكين بذلك ، بادر لملاقاة الروم وهزمهم الى انطاكية وأكثر القتل فيهم ، حتى بلغ ما جمعه من رؤوس قتلاهم نحو عشرة آلاف رأس حملت الى مصر • وقد ذكر الانطاكي في ذلك أنه « قتل من الروم في هذه الواقعة التي دعيت بوقعة المخاضة عام ٣٨٤ هـ زهاء خمسة آلاف » ، ويهم منجوتكين الى انطاكية ، ونهب رسا نيقيا وأحرقها • وعاد منجوتكين الى حلب • فاقام عليها ثلاثة عشر شهرا ، فعاد صاحب حلب الى مراسلة ملك الروم والاعتضاد به (٣)

أرسل ملك الروم النجدة لصاحب حلب ، فلما شارفت النجدة البيزنطية المدينة ، أحرق منجوتكين الخزائن والأسواق ، والابنية ، التي كان قد استحدثها ، ورحل في الحال منهزما ، أمام قوات باسيل البيزنطي الذي نزل على باب حلب ثم رحل •

(١) محمد كرد علي : خطط ٢١١/١ •

(٢) محمد كرد : نفسه ٢١١/١ •

(٣) الانطاكي : تاريخ يجيى بن سعيد الانطاكي ومحمد كرد علي :

خطط : ٢١١/١ •

وهكذا... يستعين المسلمون بعدو الله وعدوهم • تاركين الالتزام بقوله تعالى عز وجل : (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاه ويحذركم الله نفسه ، وإلى الله المصير ») (سورة آل عمران : آية ٢٨) •

ومن ناحية أخرى ففي سنة ٣٨٦ هـ سير انخليفة الفاطمي العزيز بالله القائد منجوتكين لاختذ حلب^(١) • لكن الامبراطور — باسيل الثاني (٩٧٧ — ١٠٢٥ م / ٣٦٦ — ٤١٦ هـ) — ظهر عند أسوار حلب ، وفك عنها حصار القوات الفاطمية وأخذ حمص وشيزر^(٢) • ثم عقد باسيل الثاني عام ١٠٠١ م (٣٩٢ هـ) صلحا مع الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٨٦ — ٤١١ هـ) ٩٩٦ — ١٠٢٠ م مدته عشر سنوات • واستمر الجو هادئا بين المسلمين والروم حتى وفاة الحاكم بأمر الله الفاطمي^(٣) •

وما أن انتهى الامبراطور باسيل الثاني (٩٧٧ — ١٠٢٥ م) من توطيد نفوذه في أرمينية ، وينجح في تهدئة أو تبريد جيبهة المواجهة مع المسلمين في بلاد الشام بعقده المعاهدة سنة ١٠٠١ م (٣٩٢ هـ) مع الفاطميين ، حتى كرس كل جهوده لمحاربة البلغار والصقالبة وتعقبهم بالقتل والافناء حتى سمي باسم سفاح البلغار^(٤) •

على أن الصراع البيزنطي ضد الفاطميين حول حلب احتدم مرة أخرى ، بمجرد تخلص باسيل الثاني من متاعبه مع البلغار •

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٥٠٢ •

(٢) ابن العديم : زبدة الطلب ج ١ ص ١٩٢ + أبو المحاسن : المصدر نفسه ج ٢ ص ٥٠٣ — ٥٠٤ •

(٣) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٢٧٢ + فيصل السامر : الدولة الحمدانية ٢/٢٠٠ — ٢٠١ و :

Camb. Med. Hist., IV, P. 147. and Schlumberger, L'Epopée, II, P. 201, 211.

Schlumberger : Ibid., II, P. 211.

(٤)

وصابر دياب : سياسة الدول الإسلامية ص ٢١٧/٢١٩ •

الامر الذى انعكس بآثاره السيئة على المدينة وأهلها • فعانت الكثير بسبب حروب الروم ضد الفاطميين وسيادتهم عليها ، بحيث صارت حلب كالكرة تارة يختطفها الروم ، وأخرى يستردها الفاطميون (١) •

بعد أن استعرضنا الحروب بين المسلمين يمثلهم آنذاك الحمدانيون وبين البيزنطيين نستطيع أن نستخلص ما يأتى :

١ — أن مقام بين الحمدانيين والروم من حرب ، كانت ذات صبغة دينية للفريقين • فالمسلمون اعتبروها جهادا في سبيل الله • بينما وقف الروم في وجه المد الاسلامى ، مطولين بدورهم نشر المسيحية أو على الأقل تثبيت مكانها ومكانة الكنيسة المزعومة في قلوب الرعايا ، كما حرص الروم على استرجاع الايقونات Icons الدينية كالصور والصلبان ومنديل المسيح • يدلنا على ذلك محاولة ابن الشمشيق غزو بيت المقدس • وقد خرب كل من الفريقين المتحاربين البعائر الدينية للجانب الآخر (٢) •

٢ — أدت هذه الحروب — التى غالبا مابداها الروم — الى ايقاع الاضرار الاقتصادية والبشرية بكل من الطرفين • إذ أودت بحياة الكثير من سكان المدن والقرى ، وشردت من لم يقتل أو يمت ، وعطلت الزراعة والصناعة والتجارة ، حتى خلت مدن الحدود (الثغور) من كل مظهر للحياة •

٣ — راح في هذه الحروب عشرات الآلاف من الفريقين من مختلف الاجناس (٣) • •

٤ — حوادث هذه الحروب متكررة متشابهة وهى عبارة عن غارات — أغلبها صيفى — يشنها الفريقان على العواصم والثغور ، فيحرقون

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 720.

(١)

صابر دياب : سياسة الدول الاسلامية ص ٢١٨ — ٢١٩ •

(٢) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ٢/٢٠١ •

(٣) فيصل السامر : المرجع نفسه ٢/٢٠٠ — ٢٠١ •

ويدمرون ويسلبون ويسبيون ثم يعودون إلى قواعدهم^(١) .
 • إن الجاسوسية لعبت دورا كبيرا في هذه الحروب • فلجأ إليها
 الفريقان المتحاربان • كما أن الروم استخدموا الرشوة لتفريق
 صفوف الحمدانيين ، الذين ظهر من بين أعوانهم بعض الخونة
 من أمثال رشيق التسيبي وقرعوية وبكجور^(٢) .

وعلى الرغم من أن العداء بين الحمدانيين والبيزنطيين كان
 مستحكما ، إلا أننا نجد في فترات السلم القصيرة أو الهدنات —
 وبخاصة في فصل الشتاء — علاقات سياسية وأخرى تجارية
 بين الفريقين • هذا فضلا عن العلاقات الدينية بين القسطنطينية
 والبطريشيات الشرقية الموجودة في بلدان العالم الاسلامي
 وأهمها : انطاكية وبيت المقدس (كنيسة القيامة) وكنيسة
 الاسكندرية^(٣) .

كما يجد الباحث في التاريخ البيزنطي عدة مراسلات رسمية
 بين الابطاطة من ناحية ، وبين الخلفاء العباسيين وأمراء العباسيين
 وأمراء سوريا وحكام مصر من ناحية أخرى • وقد أرسل
 الامبراطور قسطنطين السابع (بورغويوجنتس^(٤) ٩١٣ — ٩٥٩ م)
 كثيرا من السفارات إلى سيف الدولة بطلب ، ••••• أورد ذكرها كل من
 أبو فراس الحمداني والمتنبي^(٥) .

ويكفي أن نعلم أن عمليات تبادل الاسرى بين الحمدانيين
 والبيزنطيين ، وما استنزمتها هذه العمليات من مفاوضات ومراسلات ،
 تعد أكبر دليل على أن العداء بين الفريقين (المسلمين والروم) لم يطل
 دون قيام علاقات سياسية بين الدولتين • فمثلا المعاهدة التي عقدت
 بينهم وبني قرعوية — أحد قادة الحمدانيين — ذات دلالة كبيرة على مكان

(١) ، (٢) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ٢٠١/٢ — ٢٠٢ .

(٣) فيصل السامر : نفس المرجع ٢٠٢/٢ .

(٤) هو مؤلف كتاب إدارة الامبراطورية البيزنطية .

(٥) انظر فيصل السامر : المرجع السابق ٢٠٢/٢ وراجع

قائما وقتذاك من نشاط تجارى . كما كانت تعد خطوة كبيرة في سبيل تنظيم الثئون المدنية بين الطرفين (١) .

كذلك كان وجود نوع من العلاقات الدينية بين الطرفين أمرا بالغ الاهمية ، بسبب وجود العناصر النصرانية التى تعيش في الدولة الاسلامية متمتع بـجو التسامح والأمان من جانب المسلمين . وقد أمدنا المؤرخ شيد Chedd بحقائق طريفة عن هذه العلاقات وعن ثورة الكتيبة ورجال الدين المسيحي في العالم الاسلامي ، وعن العلاقات التى قامت بينهم وبين الخلفاء والامراء المسلمين ، والأساليب التى اتبعها رجال الدين النصارى ، للوصول الى كرسى البيطريركية في المدن الاسلامية مثل ، الموصل ونصيبين وبغداد (٢) .

كما مر بنا ما ذكره المؤرخون من قبول سيف الدولة تبادل الهدايا مع الامبراطور البيزنطي نقفور فوكاس ، الذى أرسل اليه بغلا وثيابا وديباجا ومصوغات ذهبية ، وردة عليه بمثلها سنة ٣٥٣ هـ (٣) . حيث قال ابن مسكويه : « وأقام نقفور على المصيصة وهادى سيف الدولة بـغال ودواب رثياب وديباج رومية وصياغات ذهب ، وقابله سيف الدولة بهدايا ، فصار سببا لمقام الدمستق في بلدان الاسلام ثلاثة أشهر ، لا ينازعه أحد ، ولا يمكنه فتح المصيصة ، وانصرف عنها لان البلد لم يحمله ، ووقع في أصحابه الوباء فاضطر الى الانصراف بعد أن حمل اليه مال المصيصة (٤) » . وفضلا عن ذلك يورد الصابى في رسائله أن أبا تغلب بن ناصر الدولة هادى ذلك الروم ، وقاد اليه الخيل الاصلية والخور وصالبان الذهب (٥) . مما يؤكد قيام علاقات تجارية بين الطرفين — الحمدانيين والروم — وأن الروم حرصوا — برغم عدائهم للمسلمين — على صيانة هذه العلاقات وتدعيمها لمصنحتهم وأن المسلمين — رغم عنهم بمشاعر

(١) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ٢/٢٠٢ .

(٢) Shedd : Islam and the Oriental Churches P. 196 - 248.

(٣) فيصل السامر : المرجع نفسه ٢/٢٠٣ .

(٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٢/٢٠٨ .

(٥) الصابى : رسائل الصابى ١/٨٩ .

الروم العدائية — لم يمانعوا في ذلك تماشيا مع الحاجات الضرورية للبشر والامم .

هكذا تنقضى في هذه الفترة تماما — بعد سيف الدولة ٣٥٦ — ٣٩٤ هـ / ٩٦٧ — ١٠٠٣ م — سلطة الحمدانيين من حلب ، كما اختفت أيضا من الموصل منذ عام ٣٦٧ هـ / ٩٧٨ م .

لقد كان خلفاء سيف الدولة في سوريا ، واقعين تحت سيطرة النفوذ البيزنطى ، بينما استمرت الحرب في منطقة بلاد الشام والهلال الخصيب (الميزوبوتوميا) وهى الحرب التى فاز فيها الحمدانيون في اقليم الجزيرة بانتصار على الروم كان من أبرز معالمه أسر قائد الجيش البيزنطى .

ومن ناحية أخرى نجد أن امبراطورية الروم استطاعت كسب اراضى في هذه المواجهة مع المسلمين في أعلى الشام و اقليم الجزيرة . ثم يسود الهدوء تلك المنطقة لمدة ثلاثين عاما في النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) . وكان السبب في هذا الهدوء الذى شهدته جبهة الثغور الاسلامية البيزنطية في هذا الوقت ، يرجع الى انشغال الروم في مواجهة المتغيرات ، التى طرأت على منطقة الحوض الشرقى للبحر المتوسط ، بانتقال الفاطميين من بلاد المغرب الى مصر ، التى اتخذوها مقرا لخلافتهم الشيعية . وكان القلق البيزنطى نابع من احساسهم بأن الفاطميين — وكانوا قوة بحرية لها وزنها آنذاك في عالم البحر المتوسط — اعتبروا مصر نقطة ارتكازهم ، ويسيطون منها نفوذهم على بلاد الشام ، وصولا الى ديار الخلافة العباسية و املأوها في الشرق .

الملاحق

ثبت بالخلفاء الراشدين المعاصرين فترة البحث*

| سلسلة الترتيب | اسم الخليفة ولقبه | فترة حكمه بالتقويم الهجري | فترة حكمه بالتاريخ الميلادي |
|---------------|--|---------------------------|-----------------------------|
| ١ | أبو الفضل جعفر المنصور علي الله بن المفضل | ٢٢٢ — ٢٤٧ هـ | ٧٤٧ — ٨٦١ م |
| ٢ | أبو جعفر محمد المنتصر بالله بن المنصور علي الله | ٢٤٧ — ٢٤٨ هـ | ٨٦١ — ٨٦٢ م |
| ٣ | أبو العباس أحمد المستعين بالله محمد بن المفضل | ٢٤٨ — ٢٥٢ هـ | ٨٦٢ — ٨٦٦ م |
| ٤ | أبو عبد الله محمد المعتز بالله بن المنصور | ٢٥٢ — ٢٥٥ هـ | ٨٦٦ — ٨٦٩ م |
| ٥ | أبو إسحق محمد المهدي بالله بن الواثق | ٢٥٥ — ٢٥٦ هـ | ٨٦٩ — ٨٧٠ م |
| ٦ | أبو العباس أحمد المعتضد علي الله بن المنصور | ٢٥٦ — ٢٧٩ هـ | ٨٧٠ — ٨٩٢ م |
| ٧ | أبو العباس أحمد المعتضد بالله بن البرقي بن المنصور | ٢٧٩ — ٢٨٩ هـ | ٨٩٢ — ٩٠٢ م |
| ٨ | أبو محمد علي المكتفي بالله بن المعتضد | ٢٨٩ — ٢٩٥ هـ | ٩٠٢ — ٩٠٨ م |
| ٩ | أبو الفضل جعفر المقتدر بالله بن المعتضد | ٢٩٥ — ٢٩٦ هـ | ٩٠٨ — ٩٠٩ م |
| ١٠ | أبو منصور محمد القاهر بالله بن المعتضد | ٢٩٦ — ٣٢٢ هـ | ٩١٢ — ٩٢٤ م |

| | | | | |
|----|----|--|--------------|--------------|
| ١١ | ٢٠ | أبو العباس أحمد الراضي بالله بن القنبر . | ٢٢٢ — ٢٢٩ هـ | ٩٣٤ — ٩٣٤ م |
| ١٢ | ٢١ | أبو اسحق إبراهيم التقي بالله بن القنبر . | ٢٢٩ — ٢٣٣ هـ | ٩٤٠ — ٩٤٤ م |
| ١٣ | ٢٢ | أبو القاسم عبد الله المستفي بالله بن الكتي | ٢٣٣ — ٢٣٤ هـ | ٩٤٤ — ٩٤٦ م |
| ١٤ | ٢٣ | أبو القاسم الفضل بطبع لله بن القنبر . | ٢٣٤ — ٢٣٦ هـ | ٩٤٦ — ٩٤٦ م |
| ١٥ | ٢٤ | أبو الفضل عبد الكريم الطابع لله بن المطيع لله | ٢٦٣ — ٢٨١ هـ | ٩٧٤ — ٩٩١ م |
| ١٦ | ٢٥ | أبو العباس أحمد القافر بالله بن اسحق بن القنبر | ٢٨١ — ٤٢٢ هـ | ٩٩١ — ١٠٣١ م |

* اعتبرت في ذلك على:

- ١ — زابارو: جميع الانساب والامرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي — ترجمة حسن أحمد محمود وسيدة كاشف . (جزءان) .
- ٢ — أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الاسلامية (جزءان) .
- ٣ — محمود سعيد عمران (مترجم) : كتاب ادارة الابصارطورية البيزنطية لولائه الاميراطور قسطنطين السابع (بورفيروجيتس) .

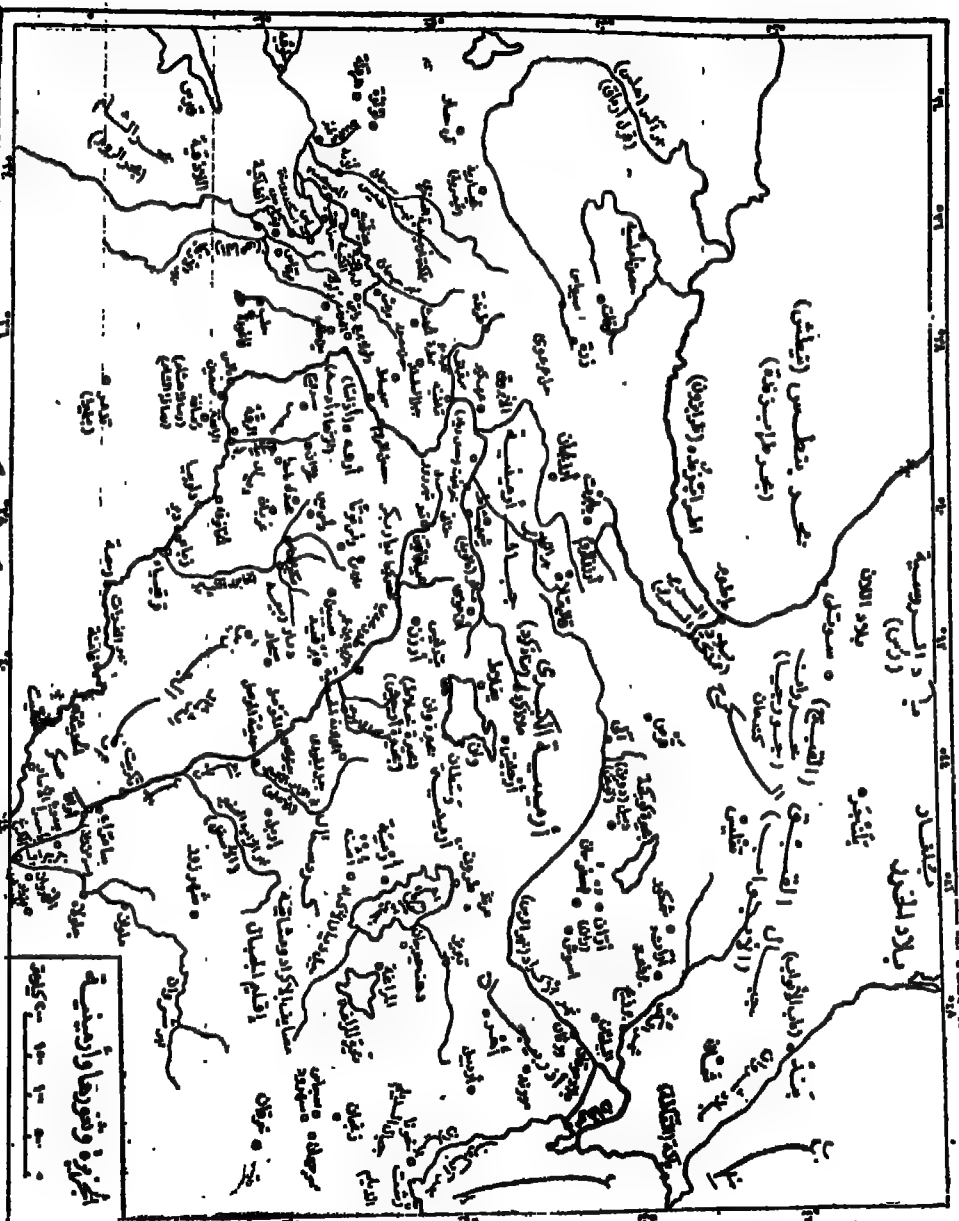
بيت الحمدانيون في حلب
٢٢٣ هـ - ٩٤٤ / ١٠٠٣ م

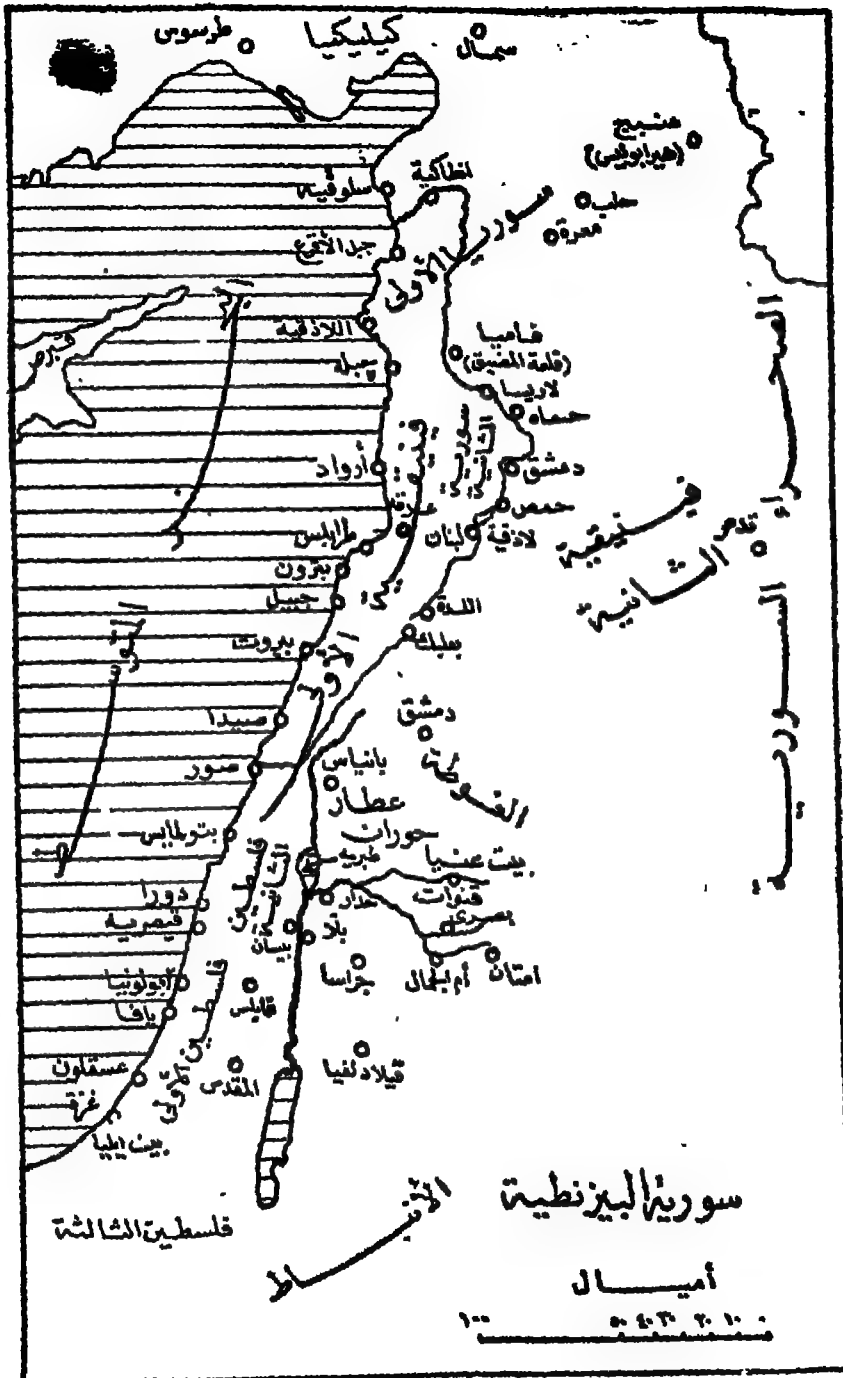
| مسلسل | الاسم واللقب | فترة الحكم بالتقويم الهجري | فترة الحكم بالتاريخ الميلادي |
|-------|---|----------------------------|------------------------------|
| ١ | أبو الحسن علي ، سيف الدولة الحمداني | ٢٢٣ - ٢٥٦ هـ | ٩٤٤ - ٩٦٧ م |
| ٢ | محمد الدولة ، أبو المعالي شريف الحمداني | ٢٥٦ - ٢٨١ هـ | ٩٦٧ - ٩٩١ م |
| ٣ | سعيد الدولة أبو الفضائل سعيد الحمداني | ٢٨١ - ٢٩٢ هـ | ٩٩١ - ١٠٠١ م |
| ٤ | أبو الحسن علي أبو المعالي شريف الثاني | ٢٩٢ - ٢٩٤ هـ | ١٠٠١ - ١٠٠٣ م |

ثبت باسماء الإباطرة البيزنطيين في فترة البحث*

| مسلسل | الترتيب بين الإباطرة | اسم الخاتمة ولقبه | فترة حكمه بالتقويم الهجري | فترة حكمه بالتاريخ الميلادي |
|-------|----------------------|--|---------------------------|-----------------------------|
| ١ | ٤١ | ميخائيل الثالث « السكر » (الاميرة القونية) . | ٨٤٢ — ٨٦٧ م | ٢٢٧ — ٢٥٢ م |
| ٢ | ٤٢ | باسيل الاول . | ٨٦٧ — ٨٨٦ م | ٢٥٢ — ٢٧٢ م |
| ٣ | ٤٣ | ليو السادس « الحكيم » | ٨٨٦ — ٩١٢ م | ٢٧٢ — ٢٩٩ م |
| ٤ | ٤٤ | السكر | ٩١٢ — ٩١٢ م | ٢٩٩ — ٣٠١ م |
| ٥ | ٤٥ | قسطنطين السابع (بورنيرجيتس) الشريك معه رومانوس الاول ليكابينوس من ٩١٩—٩٤٤ م | ٩١٢ — ٩٥٩ م | ٢٩٩ — ٣٤٨ م |
| ٦ | ٤٦ | رومانوس الثاني . | ٩٥٩ — ٩٦٢ م | ٣٤٨ — ٣٥٠ م |
| ٧ | ٤٧ | نقور فوقاس . | ٩٦٢ — ٩٦٢ م | ٣٥٠ — ٣٥٨ م |
| ٨ | ٤٨ | يوحنا زيمسكس (ابن القسطنطين عند العرب) | ٩٦٢ — ٩٧٦ م | ٣٥٨ — ٣٦٦ م |
| ٩ | ٤٩ | باسيل الثاني « مسفاح البلغار » . | ٩٧٦ — ١٠٢٥ م | ٣٦٦ — ٤١٦ م |

* اعتمدت في هذا الترتيب على كتاب ادارة الإمبراطورية البيزنطية الذي كتبه الإمبراطور قسطنطين المسابح (بورنيرجيتس) ونقله للمربية الدكتور محمود سعيد عمران .
كما واصلت التواريخ الألاحية بالتواريخ الهجرية على وجه التقريب معتمدا على كتاب اللواء مختار الهامى باشا :
« التوقيعات الألاحية » .





نقلا عن : Philip Hitti. History of Syria
 (أوكتور فتحي عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية)

المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع العربية :

(١) المصادر العربية :

- ١ — ابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨ م) ، على بن أحمد بن أبي الكرم — الكامل في التاريخ . ط . بولاق ، مصر ، ١٢٧٤ هـ . ١٢ جزءا .
- ٢ — ابن الاثرق .
— تاريخ الفارقي (تاريخ ميفارقين) .
٣ — الاصطخرى (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) ، أبو اسحق ابراهيم ابن محمد الفارسي الاصطخرى المعروف بالكرخي .
— مسالك الممالك . نشرة دى غوية ضمن المجموعة الجغرافية العربية . الجزء الاول من المجموعة . طبعة ليدن ، بريل ١٩٢٧ و ١٩٦٧ م .
- ٤ — الاصفهاني (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م) ، أبو الفرج .
— كتاب الاغانى . ط . القاهرة ، ١٢٨٥ هـ ، ط ١٩٢٧ — ١٩٣٦ م .
- ٥ — الانطاكي ، يحيى بن سعيد (أفتيشسيوس) .
— تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي (يلى تاريخ سعيد بن الطريق المسمى « كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » والمعروف بصلة أوتيا . نشره كراشكوفسكى وفازيليف في مجلة
Patrologia Orientalis, vols. : 8, 9, 1924.
موجود بمكتبة دير الآباء الدومينيكان ، العباسية ، القاهرة
مصر برقم 2898/1 — F — 16, 2901/1 — F — 16

٦ — اليلاندري (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) أحمد بن يحيى بن جابر

— كتاب فتوح البلدان • نشره ووضع ملاحقه وفهارسه
الدكتور صلاح الدين المنجد ، النهضة المصرية ، القاهرة
١٩٥٦ / ١٩٥٧ م •

٧ — بورفويوجنتس ، قسطنطين السابع « الامبراطور » •

— كتاب ادارة الامبراطورية البيزنطية • تعريب وعرض
وتحليل وتعليق د. محمود سعيد عمران ، طبعة دار النهضة
العربية ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م •

٨ — الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) أبو منصور عبد الملك
ابن حمدان اسماعيل النيسابوري •

— يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر • تحقيق محمد محيي
الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ط ١ مصر ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م
وط ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م •

٩ — ابن الجوزي (٥٠٨ هـ — ٥٩٧ هـ) أبو الفرج عبد الرحمن
ابن علي بن محمد بن علي •

— المنتظم في تاريخ الملوك والامم • ١٠ أجزاء ، الطبعة
الاولى ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن
١٣٥٧ هـ •

١٠ — ابن حزم (ولد ٣٨٤ وتوفي ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م) أبو محمد
علي بن أحمد بن سعيد الاندلسي •

— جمهرة أنساب العرب • تحقيق عبد السلام محمد
هارون ، دار المعارف ، مصر ، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م •

١١ — ابن حوقل (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) أبو القاسم محمد •

— صورة الارض • ط ١ بريث ، لندن ، ١٩٦٧ م ، نشره
J.H. Kramers ضمن المجموعة الجغرافية العربية (B.A.G.)

١٢ — ابن خرداذبة (ت ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م) ، عبد الله بن أحمد ابن خرداذبة أبو القاسم .

— المسالك والممالك . نشره دى غوية ، ضمن المجموعة العربية (الجزء السادس من المجموعة ، طه بريل ، ليدن ١٩٦٧ م ومعه نذ من كتاب الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر) .

١٣ — ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) ولى الدين « عبد الرحمن ابن محمد ابن خلدون الحضرمي » .

— تاريخ العبر. وديوان المبتدأ والخبر. في ذكر أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر . طه بولاق ، مصر ، ١٢٨٤ هـ / ١٨٦٧ م (٨ أجزاء)

١٤ — ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨١ م) شمس الدين أحمد — وفيات الاعيان . طه. القاهرة ، ١٣١٠ هـ .

١٥ — الذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الحافظ الذهبي .

— تاريخ دول الاسلام . مخطوطة مصورة عن نسخة المكتبة الاحمدية بحلب ، محفوظة بمعهد المخطوطات العربية بمبنى جامعة الدول العربية بالقاهرة ، مصر تحت رقم ٥٨٠ / ٦٥ .

ونسخة أخرى عن حيدر آباد ، الدكن ، الهند . طه مطبعة جمعية دائرة المعارف النظامية ، ١٣٣٧ هـ . و ١٣٦٤ هـ . وقد نشر في القاهرة سنة ١٣٦٨ هـ باسم « تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام » .

١٦ — ابن رسته (ت حوالي ٢٩٠ / ٩٠٣ م) ، أبو علي أحمد بن عمر — الاعلاق النفيسة . نشره دى غويه ضمن المجموعة العربية ، طه ليدن ، بريل ، ١٩٦٨ م .

- ١٧ — ابن الشحنة (ت ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م) محب الدين شيخ الاسلام أبو الوليد محمد .
- الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب . طه مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت .
- ١٨ — ابن شداد (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) ، عز الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن خليفة الحلبي .
- الاطلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة . مخطوط مصور بمعهد المخطوطات بجامعة أندول العربية ينتهي الجزء الاول منها عند سنة ٣٩٣ هـ ، وعدد أوراقه ١٥٠ ورقة .
- ١٩ — الصابي (ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م) ، الصاحب أبو القاسم اسماعيل بن عباد — رسائل الصابي .
- ٢٠ — الصولي (ت ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م) أبو بكر محمد بن يحيى .
- أخبار المراضى بالله والمتقى لله (أو تاريخ الدولة العباسية من ٣٢٢ هـ الى ٣٣٣ هـ من كتاب الاوراق) . نشره هيوارث دن ، القاهرة ، ١٩٣٥ م .
- ٢١ — الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)
- تاريخ الامم والملوك . نسخة بريل ، ليدين ، ١٩٦٨ م . ١٣ جزءا .
- ونسخة أخرى طه المطبعة الحسينية ، القاهرة ، ١١ جزءا .
- ٢٢ — أبو الطيب المتنبى .
- ديوان المتنبى . شرح اليانجي ، طه بيروت ، ١٨٨٧ م .
- ٢٣ — ابن ظافر الأزدي (ت ٦٢٣ هـ) ، جمال الدين أبو الحسن علي ابن كمال الدين بن حسين الأزدي المصري .
- كتاب أخبار الزمان في تاريخ بني العباس أو كتاب أخبار

الدول المنقطعة • مخطوط مصور بدار الكتب المصرية ، القاهرة
تحت رقم ٨٩٠ / تاريخ •

٢٤ — ابن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م) •

— مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع • تحقيق
البجاوي ، طه دار احياء الكتب العربية •

٢٥ — ابن العبري (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) جريجوريوس أبو الفرج
ابن هارون اللطفي المعروف بان العبري •

— تاريخ مختصر الدول • طه ثانية ، المطبعة الكاثولوكية ،
بيروت ، ١٩٥٨ م •

٢٦ — ابن العديم (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) ، كمال الدين أبو القاسم
عمر بن أحمد بن هبة الله •

— زبدة الطلب من تاريخ حلب ، نشره محمد سامي الدهان
دمشق ، ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م •

٢٧ — ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) •

— شذارات الذهب في أخبار من ذهب • نشر مكتبة القدس ،
القاهرة ، ١٣٥٠ هـ •

٢٨ — أبو الفدا (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) الملك المؤيد عماد الدين
اسماعيل صاحب حماة •

— المختصر في أخبار البشر : « المعروف بتاريخ أبي الفدا »
طه استببول ١٢٨٦ هـ (٤ أجزاء في مجلد واحد)

٢٩ — أبو فراس (ت ٣٥٧ هـ / ٩٦٧ — ٩٦٨ م) الحارث بن سعيد
ابن حمدان •

— ديوان أبو فراس ، شرح ابن خالوية أبو عبد الله الحسين
ابن محمد بن أحمد (٣٠٠ — ٣٧٠ هـ) ، تحقيق فخر محمد سامي

الدهان ، طاه دمشق ، المعهد العلمى الفرنسى للدراسات
العربية ، ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٤ م .

— ونسخة أخرى ط . بيروت ، ١٩١٠ م .

٣٠ — قدامة بن جعفر (ت حول ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م) ، أبو الفرج بن
جعفر الكاتب البغدادي .

— نبذة من كتاب الخراج وصناعة الكتاب . نشره دى غوية ،
ليدن ، بريل ، ١٨٨٩ م .

— ونسخة أخرى ملحقة بكتاب المسالك والممالك لابن
خراداذبة ، الجزء السادس من المجموعة الجغرافية العربية ،
نشر دى غوية ، طاه بريل ليدين ، ١٩٦٧ م .

٣١ — القرطبي ، عريب بن سعد (ت ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ — ٩٧٧ م) .
صلة تاريخ الطبري . نشر دى غوية ، ليندن بريل ، ١٨٩١
ونسخة أخرى طبعة القاهرة ، ١٣٢٠ هـ .

٣٢ — ابن القلانسي (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) ، أبو يعلى حمزة .

— ذيل تاريخ دمشق . نشر وتحقيق أمدروز (Amedroz)
طبعة مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨ م .

٣٣ — القلقشندي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) شهاب الدين أبو العباس
أحمد بن علي

— صبح الاعشى في صناعة الانشا . طبعة المطبعة الاميرية ،
القاهرة ، ١٣٣١ — ١٣٣٨ هـ / ١٩١٣ — ١٩١٨ م (١٤ جزء)

٣٤ — ابن كثير (٧٠٠ — ٧٧٤ هـ) عماد الدين أبو القداء اسماعيل
ابن عمر .

— كتاب البداية والنهاية في التاريخ . طبعة مطبعة السعادة ،
القاهرة ، ١٩٣٢ م .

- ٣٥ — أبو المحاسن (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) ، جمال الدين أبو المحاسن بن تغرى بردى •
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة • دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م — ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م (٨ أجزاء)
- ٣٦ — المسعودى (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ م) ، أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى •
- التنبية والاشراف • ط • دى غوية ، ليدن ، بريل ، ١٨٩٣ م • وط • القاهرة ، ١٣٥٧ هـ / ١٨٣٨ م •
- ٣٧ — مروج الذهب ومعادن الجوهر • جزآن ، القاهرة ، ١٣٤٦ هـ وترجمه الى الفرنسية باربييه دى مينار Barbier de Meynard تحت عنوان Prairies d'Or باريس ١٨٦١ — ١٨٧٧ م •
- ٣٨ — ابن مسكويه ، أبو على أحمد بن محمد •
- تجارب الامم وتعاقب الهمم • ط • مطبعة التمدن الصناعية مصر المحمية ، ١٣٣٣ هـ / ١٩١٥ م • بالافست • ج ٢ (حوادث السنوات من ٣٢٩ — ٣٦٩ هـ) •
- ٣٩ — المقدسى (حوالى ٣٨٧ هـ) شمس الدين أبو عبد الله البشارى — أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم • طبعة ليدن ، بريل بالافست ١٩٦٨ م (ضمن المجموعة الجغرافية العربية • نشر دى غوية •
- الجزء الثالث من المجموعة) •
- ٤٠ — البقرى (١٠٤١ هـ / ١٦٣٣ م) ، تقى الدين أحمد بن على •
- نفح الطيب من غصن الاندلس الوطيب • ط • بولاق ، ١٢٧٩ هـ / ١٨٦٢ م (٤ أجزاء)

٤١ — ابن نباتة (٣٧٤ هـ / ٩٨٤ م) أبو يحيى: عند الرحيم بن محمد بن اسماعيل ابن نباتة الفارقي .

— ديوان الخطب ابن نباتة ، بيروت ، ١٣١١ هـ .

٤٢ — ابن الوردي (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) ، زين الدين أبو حفص عمر بن المظفر أبا الفوارس محمد الوردي .

— تاريخ ابن الوردي (تنمة المختصر في أخبار البشر) تحقيق أحمد رفعت البدرأوى ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م (الجزء الاول) .

٤٣ — ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) ، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي .

— معجم البلدان . طه القاهرة ١٢٣٥ هـ / ١٩٠٨ م (١٠ أجزاء)

وطه . الخانجي ، مصر ، ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٦ م ، وطبعة ليبزج نشر وستفالد ١٨٦٦ — ١٨٧٣ م ، ونسخة طه . شتوتجارت ، نشرها Sachnider Von Oscar Rescher ١٧٧٨ م (٨ أجزاء)

٤٤ — اليعقوبي ، أحمد بن واضح (ت بعد ٢٨٤ هـ / وحوالي ٢٩٢ هـ) — كتاب البلدان (كتب حوالي ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م) . ملحق بالأعلاق النفيسة لابن رسته ، ضمن المجموعة الجغرافية ، العربية ، طه بريل ، ليدن ، ١٩٦٨ . بالاونست .

(ب) المراجع العربية الحديثة والمعربة :

٤٥ — ابراهيم أحمد العدوي

— دراسات في التاريخ البيزنطي . مقال منشور بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، أكتوبر ، ١٩٤٩ م .

٤٦ — ارشيبالد ، لويس

— القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط
(٥٠٠ — ١١٠٠ م) ، نقله للعربية أحمد محمد عيسى ، راجعه
وتقدم له محمد شفيق غريال ، القاهرة ١٩٥٦ م .

٤٧ — أحمد السعيد سليمان .

— تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسرات الخائكة ، ط ٥
دار المعارف مصر ، القاهرة ، ١٩٧٢ م (جزآن)

٤٨ — أسيد رنستيم

— الروم « في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم
وصلاتهم بالعرب »

دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٥٥ م . (جزآن في مجلدين)

٤٩ — بينز ، نورمان

— الامبراطورية البيزنطية ، تعريب حسين مؤنس ومجمود
يوسف زايد ، القاهرة ، ١٩٥٠ م .

٥٠ — جاسم الخلف

— محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية
والبشرية ط ٥ معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة
١٩٥٩ م .

٥١ — الخانجي ، محمد أمين

— منجم العمران في المستندرك على معجم البستان . ط ٥
أولى ، القاهرة ، ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م .

٥٢ — حسن ابراهيم حسن

— تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى •
دار النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ٥ سابعة ، ١٩٦٤ م •
(٣ أجزاء)

٥٣ — دائرة المعارف الاسلامية • وضع مجموعة من العلماء •
تعريب أحمد زكى خورشيد وآخرون • ط ٥ القاهرة • دار
الشعب •

٥٤ — زامبور

— معجم الانساب والاسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى
ترجمة حسن أحمد محمود وسيدة كاشف وآخرون ، طبعة
مطبعة جامعة القاهرة ، (جزأان) •

٥٥ — سامى الكيالى

— سيف الدولة وعصر الحمدانيين • دار المعارف بمصر ،
١٩٥٩ م •

٥٦ — السيد الباز العربى

الدولة البيزنطية (٣٢٣ — ١٠٨١ م) • دار النهضة العربية
القاهرة ، ١٩٦٠ م •

٥٧ — صابر دياب

— أرمينية من الفتح الاسلامى حتى مستهل القرن الخامس
الهجرى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨ م •

٥٨ — عبد المنعم ماجد

— التاريخ السياسى للدولة العربية • مكتبة الانجلو المصرية
القاهرة ، ١٩٥٦ / ١٩٥٧ م • (جزأان)

٥٩ — عمر كمال توفيق

— مقدمات الهدوان الصليبي — « الامبراطور يوحنا »
زيمسكيس وسيسته الشرقية » • الاسكندرية ، ١٩٦٦ م •
٦٠ — غازيليف ، ١٠١٠ •

— العرب والروم • ترجمة محمد عبد الهادي شميرة ، دار
الفكر العربي ، القاهرة •

٦١ — فتحي عثمان

— الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك العربي
والاتصال الحضاري طبعة: دار القومية للطباعة والنشر ،
القاهرة ، ١٩٦٦ (٣ أجزاء)

٦٢ — فيصل السامر

— الدولة الحمدانية في الموصل وحلب • طه جامعة بغداد
١٩٧٣ م ج ١ : في الموصل ، ج ٢ : في حلب (جزءان)

٦٣ — الكبسي ، حمدان عبد الحميد

— عصر الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥ — ٣٣٠ هـ / ٩٠٧ —
٩٣٢ م) طبعة جامعة بغداد ، مطبعة النعمان ، النجف ،
١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م •

٦٤ — لي سترانج ، جاي LeStrange., Guy.

— بلدان الخلافة الشرقية • تعريب بشير فرنسيس وكوركيس
عواد ، نشر المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٥٤ م

٦٥ — محمد جمال الدين سرور

— تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق • « من عهد نفوذ
الأتراك الى منتصف القرن الخامس الهجري » • القاهرة ،
دار الفكر العربي ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م •

٦٦ — محمد كرد علي

— خطط الشام • طبعة دار العلم للملايين ، بيروت ،
١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م (٦ أجزاء في ٣ مجلدات)

٦٧ — مختار الهامى باشا : (اللواء المصرى)

— التوقيقات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين
الافرنكية والقبطية • طه أولى مطبعة بولاق الميرية ،
١٣١١ هـ / ١٨٩٣ — ١٨٩٤ م

٦٨ — مصطفى الشكعة

— سيف الدولة أو مملكة السيف ودولة الاقلام • نشر عالم
الكتب ، بيروت ، ومكتبة المثنى بالقاهرة ، طه ثانية ،
١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م •

ثانيا : المراجع الاجنبية :

1 — Allen, W.E.D.

The History of the Georgian People «from the
Begining to the Russian Conquest in the 19th Century».
Introducing by : Sir Denision Roso, London, Kegan
Paul, 1932.

2 — Brehier, Louis.

Le Monde Byzantine «Vie et mort de Byzance», A.
Michele, Co., Paris, 1947.

3 — Brooks, E.W.

Arabic Lists of Themes (Journal of Hellenic Studies,
Vol. 21, 1901).

4 — Burry, T.B.

History of the later Roman Empire. London, 1931.
(2 vols.)

5 — Cambridge Medieval History, Cam. Univ Prs., England,
1913.

6 — Canard, Marius.

Histoire de la Dynastie des Hamanides de Jazira et
des Syrie. Alger, 1961 & Paris, 1974 Tome 1.

7 — Canard, M.

Arabes et Bulgares au début du Xème Siècle. (Byzan-
tion, 1936, pp. 213 - 223).

8 — Defremery

Memoires sur la Famille des Sadjides (J. Asiatique,
Serie 4, IX 1847 & 4, 1848).

9 — Dussaud :

Topographie Historique de la Syrie Antique et
Medievale, Paris, 1927.

10 — Finlay, George

History of Byzantine Empire (716 - 1507 A.D.)
London, 1859, 1865.

11 — Finlay, G.

History of the Greece from the Conquest by the
Romans to the Present times (146 B.C. — 1864 A.D.),
Oxford, 1877 (7 vols.)

12 — Grousset, René,

Histoire de L'Arménie des Origines à 1071. Payot,
Paris, 1947.

13 — Huart :

Sajides. (Encyclopaedia of Islam.)

14 — Laurent, J. :

Les Bagratuni Sont en Georgie de la IX Siècle.

15 — Laurent, J. :

L'Arménie Entre Byzance et l'Islam, Depuis la Con-
quente Arabe Jusquen en 886. Paris, 1919.

16 — Ostrogorowsky, G.

History of Byzantine State (tr. Hussey), Oxford.
1961.

17 — Paul, Bourain.

Allep, Autrefois et Aujourd'hui. Alep, 1930.

18 — Runciman, Steven.

The Emperor «Romanus Lecapenus».

19 — Schlumberger, G. :

Un Empreur Byzantine au 10ème Siècle «Nicephore
Phocas». Paris, 1923.

20 — Sourdel, Dominique.

Le Visirats Abbasside de 749 à 936 (132 A 324 de
l'Hégire). Damas, 1960 Tome : 2.

21 — Sterck :

Art. : Armenia (Ency. of Islam, vol. I, p. 637 etc).

والطبعة العربية مادة « أرمينية » ج ١

23 — Vasiliev, A.A.

History of the Byzantine Empr. Wisconsin, U.S.A.,
1952. & Madison, 1961. (2 vols.).

رقم الايداع بدار الكتب ٨٤/٤٦٤٥

المطبعة التجارية الحديثة
٢٠٢ شارع ادريس راغب - ت ٩٠٣٣٦٤

